الشخصية المصرية المعاصرة

قراءة في:

ثورة ٢٥ يناير

رؤية نفسية وشهادة شخصية

دكتور

محمد حسن غانم

دار غريب

للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة

ثورة ٢٥ يناير
رؤية نفسية وشهادة شخصية


mohamed khatab

الشخصية المصرية المعاصرة
قراءة في:

ثورة ٢٥ يناير

رؤية نفسية وشهادة شخصية

دكتور
محمد حسن غانم

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الكتـــاب: ثورة ٢٥ يناير

المؤلـف: الدكتور محمد [illegible]

تاريخ النشر: [illegible]

رقم الإيداع: [illegible]

الترقيم الدولي: I.S.B.N. [illegible]

الناشر:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

[illegible]

[illegible] (القاهرة)

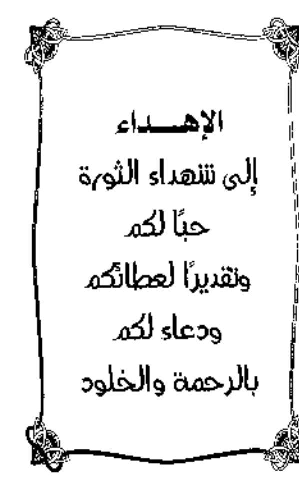
تليفون: [illegible] فاكس: [illegible]

[illegible]

[illegible] - القاهرة

تليفون: [illegible]

[illegible]



الإهـــداء

إلى شهداء الثورة

حبًا لكم

وتقديرًا لعطائكم

ودعاء لكم

بالرحمة والخلود


mohamed khatab

مقدمة الكتاب

يسعدني أن أقدم كتاب. (الشخصية المصرية المعاصرة قراءة في: ثورة ٢٥ يناير، رؤية نفسية، وشهادة شخصية)

حيث يتضح من العنوان أن الرؤية لأحداث ثورة ٢٥ يناير رؤية نفسية- بحكم تخصصي، كما أن تواجدي ومشاركتي في بعض الأحداث، ومتابعتي بالرصد والقراءة والتحليل قد سمح لي أن أكتب شهادتي الشخصية

ورغم أنني أتبعت منهج الكتابة والأحداث مازالت جارية وطازجة وساخنة، مع خطورة المنهج خاصة وأن تكتنف وغبار المعركة لم ينجلي بعد، إلا أنني غامرت وأتبعت هذا المنهج

وقد جاء الكتاب كالآتي:

- تمهيد في دراسة المنهج ومدخل إلى الدراسة
- الشخصية المصرية المعاصرة .
- السلطة .
- الشباب .
- أسباب ثورة (٢٥) يناير ٢٠١١م .
- رؤية ورصد للعديد من الظواهر (هتافات - لافتات....إلخ) من ميدان التحرير .
- أحلام وتطلعات .

آملين بذلك أن نسد فراغًا في المكتبة المصرية؛ وأن نحاول قدر الجهد والوقت رصد أحداث وتطورات هذه الثورة على الأقل في تتبع الأحداث قبيل اندلاعها... وتسجيلها لحظة اندلاعها حتى تنحي الرئيس عن السلطة.

والله وحده أسأله السداد والتوفيق...

أ.د. محمد حسن غانم

كتابة أولى: جدة في ١٥ فبراير ٢٠١١م

مراجعة: القاهرة في ٥ أبريل ٢٠١١م

***

الفهرس المختصر

●●●

الفهرس التفصيلي



تمهيد في دراسة المنهج
ومدخل إلى الدراسة



تمهيد في دراسة المنهج ومدخل إلى الدراسة

-١-

ترددت كثيراً في الكتابة عن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ العظيمة تلك الثورة التي أشعلها الشباب، ثم سرعان ما انضم إليها جميع أطياف الشعب المصري، وقد شاركت أيام الثورة والتي امتدت من ٢٥ يناير ٢٠١١ وانتهت بإسقاط النظام (بقمة رمزه) يوم الجمعة ١١/ ٢/ ٢٠١١م

والحقيقة إن الكتابة عن الأحداث الهامة (وهل هناك أهم من حدث الثورة؟ والذي يتمثل في الانتقال من عهد بائد بكل ما له وما عليه من صور تزكم الأنوف، إلى عهد جديد مشرق بإذن الله)، يوجد له وجهين من النظر:

الأولى:

يذهب أصحابها إلى القول بأن الحدث الجديد هو في حقيقة الأمر أشبه ما يكون بمعركة بين القديم (بكل ما كان يملكه من أدوات قهر وذل للآخرين وجبروت ويقين بأن الأمور سوف تدوم له إلى أبعد ما يكون)، وبين الجديد المتمرد على القائم والذي لديه أمل في غد مشرق جديد ينسج خيوطه على عينيه، وأن أرض المعركة لا شك تفرز العديد من الجرحى والقتلى وكثير المتصاعد من الغبار والأتربة أو حتى الرياح (الصادقة أو المصطنعة)، فكيف تؤرخ للأحداث وأنت في خضم هذا المعترك

الأفضل أن تنتظر وتتحفز وأنت في مكمنك حتى إذا انتهت المعركة وانقشع الدخان (أو التراب)، وتم رفع الأنقاض المتبقية من أثر المعركة، هنا

فقط وحين (يصفو) الجو تستطيع أن تكتب وأنت في كامل الحياد دون أن (يشغلك) دخان، أو غبار، أو تزكم أنفك رائحة جثة قد تعفنت، أو تؤلم ناظريك منظر الجرحى والمصابين أو حتى الأشلاء.

الثاني:

يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن التسجيل الحي للوقائع التي تحدث أمامك لاشك أنه يجعلك منتبهًا ويقظًا إلى كل شيء، وهنا تكون ساحة المعركة أمامك فيسجل قلمك ما شاهدته، وتصبح الكتابة مطابقة أو تساوي الواقع.

ولاشك أن دارسي التاريخ والمؤرخون يعرفون مزايا وعيوب كل طريقة أو منهج من المنهجين السابقين في دراسة مثل هذه الوقائع، بيد أن لكاتب هذه السطور وجهة نظر في وجهتي النظر تلك وهي: لا مانع من التواجد في الميدان، وعلى مسافة إلى حد ما تمكنك من التقاط جميع المشاهد والزوايا والاتجاهات (حتى لا تسقط فريسة للإعجاب أو التسجيل لجانب وتهمل جوانب أخرى) حتى إذا انقشعت الرؤية، وانتهى الصراع، أو أوشك، تستطيع في هذه الحالة أن تكتب وتحت يديك (المستندات)، وفي عقلك ووجدانك ما لم تختزنه من وقائع وأحداث، وقد تضطرك (أحداث) أو ظروف شخصية إلى انتاج هذا المنهج في التاريخ الذي يجمع – إن جاز المصطلح – بين الرؤية (البُعدية)، والرؤية (القريبة أو من قُرب)

-٢-

حين اندلعت الثورة في يومها الأول الموافق ٢٥ يناير ٢٠١١ ، وهو اليوم الذي منحته الحكومة المصرية، ربما للمرة الأولى والأخيرة – قبل أن تصبح

تاريخًا لما مضى - أجازة لكل الشعب المصري رغم أنه عيداً يخص الشرطة خوفًا من الدعوة التي انطلقت من ساحات الإنترنت بالتجمع في هذا اليوم للتعبير عن الغضب من السلطة والحكومة لأشياء كثيرة ومسلسلة من المظالم والانتهاكات والتعسف لا تنتهي وطالت تقريبًا كل أفراد الشعب المصري (باستثناء الأحبة والمنافقين وحملة المباخر بالطبع)، كنت في المملكة العربية السعودية أستاذًا في جامعة الملك عبدالعزيز، حيث اضطرتني ظروف كثيرة إلى السفر - مثلي مثل ملايين المصريين - وأنا في هذه السن متحملاً آلام ووجع الغربة من جميع نواحيها الصحية والنفسية والاجتماعية في وطن لم يعد يتسع لتحملي أو لتوفير أبسط حقوقي كمواطن (وبالتالي حقوق أبنائي التي لاح في الأفق أنني عاجز عن تحقيقها لهم بل ولي).. وكان قبل هذا اليوم تجرى امتحانات نهاية الفصل الأول، والحقيقة إنني لم أنتبه إلى مثل هذه المظاهرة أو الاحتجاج، في البداية نظرًا لأن مصر قد امتلأت بالعديد من صور الاحتجاج والمظاهر في الآونة الأخيرة (أشارت بعض البيانات إلى وجود ٤٨٧ مظاهرة عمالية فقط عام ٢٠٠٩)، حيث اعتاد المحتجون على التجمع على الرصيف، ثم تحاصرهم جحافل وتتار الأمن ويتركونهم (يهتفون قليلاً) حتى تنتهي وسائل الإعلام من التصوير (بهدف إرسال رسالة إلى الآخرين أن في مصر حرية، وأنه لا صوت يكمم كما اعتدنا على مثل هذه الشعارات في الآونة الأخيرة)، ثم يتم التعامل معهم بعنف لينفرطون.

-٣-

ولكن ليلاً حين شاهدت قناة الجزيرة وطرقت أذني لأول مرة هذه الهتافات (الشعب يريد إسقاط النظام) (ارحل) وهذا الإصرار على التحدي ومواصلة (تغيير الواقع) كتبت في يومياتي في نفس هذا اليوم ملاحظة

ملاحظتها: إن هذه المظاهرة لن تنقضي – مثل سابقيها – على خير، بل سيكون لها شأن، وأي شأن، وقد تأكد لدي هذا الإحساس، وأصبح يقيناً حين أذاعت الأنباء عن وجود قتلى ومصابين بين صفوف المتظاهرين، هنا أدركت أن النظام قد وقع في (غلطة عمره)، وأن المسألة قد أصبحت (ثأراً) بين الشعب من جهة؛ والنظام وأمنه من جهة ثانية. وبدأت أحلام العودة إلى القاهرة تراودني حتى أشاهد (أو أشارك كما كتبت في يومياتي) في مثل هذا الحدث.

-٤-

صباح الأربعاء الموافق ٢٦ يناير ٢٠١١ وكنوع من تأكيد أو نفي هذا الاحتمال شاهدت الجزيرة قبل أن أذهب إلى الكلية في الصباح فعرفت أن المتظاهرين قد أصروا على المبيت في ميدان التحرير، وهتفوا بهذا الشعار:

هتيفت هي الميدان

والجدع جدع

والجبان جبان

يلا بينا يا جدع

فتأكدت هواجسي من أن هذه المظاهرة لن تمر بسلام، وإن في الأمور أمور.

وقد تصادف في مثل هذا اليوم أن هطلت السيول في جدة، فتم قطع الكهرباء عن مبنى الكلية، وصدرت لنا التعليمات أن نترك مكاتبنا، ثم جاءت رسالة على (الموبايل) بأنه قد تم تعليق الاختبارات في هذا اليوم، نظراً لسوء الأحوال الجوية، وفي أوقات قليلة كانت جدة قد غرقت في السيول، وتعطلت العديد من السيارات وجرفتها السيول في طريقها أو قلبتها، وتوارت الأرصفة مع نهر الشارع من جراء الماء المنهمر في عنف وغزارة.. وعدت

بصعوبة إلى منزلي وأنا مشغول بمتابعة ما سوف تسفر عنه هذه المظاهرات وكلما مر الوقت أدركت أنني يجب أن أعود فورًا إلى القاهرة خاصة بعد أن تذكرت مقولة طارق بن زياد: البحر من ورائكم والعدو من أمامكم. فقضلت أن أترك جدة بسيولها رغم انفطار قلبي عليها وعلى قاطنيها، وأولي وجهي شطر القاهرة حتى يتاح لي التخلص من (العدو) والانتصار عليه، ويبدأ صفحة جديدة في حياتي وحياة كل المصريين.

وقد حاولت أن أسافر ليل يوم الأربعاء ولكن صدمتني دوريات الدفاع المدني التي كان يقول أفرادها لي: الطريق إلى المطار مغلق كان الوضع يبدو باعثًا على اليأس، ولكن ثقتي في الله وتذرعي بالصبر والإصرار قد مكناني من مغادرة جدة مساء يوم الخميس الموافق ٢٧/ ١/ ٢٠١١ حتى أكون في خطوط التماس الأولى مع اندلاع وتداعيات الثورة

•٥•

وصلت إلى القاهرة ليلاً مع نسمات صباح يوم الجمعة وحت أجوب شوارع حلوان.. وكنت قد قرأت في المواقع الاجتماعية عبارة مهينة لساكني حلوان: «إن كنت عايز طرقان . روح حلوان» وحلوان - للتذكير - كانت ومازالت (قلعة الصناعة والنضال والكرامة)؛ وكثيرًا من احتفالات عيد العمال - كمثال - كانت تُقام في حلوان ويحضرها الزعيم جمال عبدالناصر، ولكن ضربات المطرقة على الرؤوس والخصخصة التي تمت بلا ضمير ولا خطة ولا مصلحة لوطن أو لأبنائه وغيرها من (سلسلة المظالم) وترسانة النفاق والشعارات من النظام، لقد أدى ذلك إلى أن تصبح حلوان مثلها مثل أي مكان في مصر.. منتظرة على محطة لحظة الانفجار.

واقترب موعد صلاة الجمعة.. لاحظت أن غالبية المساجد قد تم محاصرتها أمنيًا.. أو يجلس على بابها ثلاثة رجال من الأمن، ربما ليقوموا بمتابعة خطبة الجمعة... وربما ليقوموا بأداء الظاهرة وهي في مهدها.. وربما - كما اعتادوا - فإن جلوسهم هكذا قد يزرع الرعب في نفوس من يريدون التعبير عما يجول في نفوسهم.. وربما كل ما سبق

وكانت الخطبة - كما كانت في السنوات الأخيرة - ومن خلال التقارير الأمنية أو تهذيب أو تعذيب كل من يجرؤ على (التلميح بكلمة الحق).. كانت خطبة عادية.. أخذ (الخطيب) يحاور ويناور دون أن يرتطم أو يشير أو يلمح - ولو حتى من باب الكناية أو المجاز - بالأوضاع السيئة وبالقتلى الذين ضحوا بحياتهم خلال الأيام المنصرمة.

انتهت الصلاة، ولا أدري ماذا انتابني إحساس بضرورة أن أذهب عند محطة (مترو) حلوان لكي أتابع الجرائد.. لكن كان في النفس إحساسًا أن شيء ما يتشكل ويتكون: وأن النهر - كما قال أحد فلاسفة اليونان القدامى - لن يكون هو النهر الذي اعتدت أن تنزل فيه، وأن شيء قد تغير، وما إن اقتربت من محطة المترو حتى وجدت ما يُقارب الـ ٢٠٠ شخص يهتفون بسقوط النظام.. توقفت لكي أتابع المشهد.. فوجدت برجال الشرطة، وقد انزووا في ركن بعيد يتابعون.. ووقفت أنا على الرصيف المقابل، وأتابع.. وبعد دقائق معدودة تحول الـ ٢٠٠ شخص إلى ما يُقارب الـ ١٠ آلاف شخص حيث كان ينضم إلى (المتظاهرين) الكثير من الأفراد الذين كانوا قادمين من محطة المترو. ترك الباعة الجائلون أماكنهم وانضموا وهتفوا.. جاءت من الشوارع الجانبية هذا العدد الكبير الهادر، صعد أحد الشباب إلى صورة كبيرة للرئيس المخلوع - قبل الخلع طبعًا - ومزق

الصورة وسط تهليل وتكبير وحماس الرجال وزغاريد النساء.. ولا أدري كيف تم رفع هذا الشاب كل هذه المسافات حيث صعد على الأكتاف، وربما الرؤوس. وبعد أن انتهى من تمزيق صورة الرئيس الكبيرة التي كانت تتصدر الميدان. لا أدري من أشار إلى المتظاهرين بأن يقوموا بتمزيق صورة عضو مجلس الشعب (المفروض عليهم من قبل الحكومة وهو د. سيد مشعل) وكانت له صورة معلقة أيضًا بجوار (محل لشركة بيع الأسماك).. حيث تم تمزيقها وسط فرحة المتظاهرين. ثم سار الجمع - وأنا معهم - بطول شارع منصور - أطول شوارع حلوان والذي يمتد من مدخل حلوان حتى نهاية حلوان (عند كوبري حلوان). كان الناس لا أرى لهم ولا آخر.. وكنت أنتقل من مكان إلى مكان - في نفس الشارع - لأجد هتافات كلها تدور حول ضرورة رحيل الرئيس وإسقاط النظام. وشعرت - والله - وأنا في هذه اللحظة أنني أسير في جنازة النظام.. فكان ينتابني الصمت احترامًا لمن مات، وكنت أتذكر قدرة الله (مغير الأحوال).. وكنت في صميم الأعماق مندهشًا ومعجبًا بهذا الشعب الذي قد (تعتقد ولا تظن) أنه قد خلد إلى النوم، وأنه قانع وخانع ومتقبل لكل صنوف وأشكال القهر والتعذيب، بل ربما يقول لجلاديه هل من مزيد؟ فإذا به في لحظة يصيح بكل هذه الاحتجاجات، وها هو المارد قد انطلق ولن يقف في طريقه إنس أو جان أو حتى مقاتلات .

٠٦٠

ظل المتظاهرون يسيرون في الشوارع .. كالعادة كانت جميع الشرفات يقف فيها نسوة وأطفال ورجال وعجائز (كمتفرجين) غير مصدقين ما

يصليك.. وبحس الشعب المصري المرح وبحضارته العريقة كانت الجموع تقف ويهتفون للواقفين في (البلكونات): انزل.. شارك.. تعال.. متخافش.. علشان يرحل النظام. وقد كان يشارك في هذه المظاهرة الحاشدة والتي كلما كنا نسير أمتاراً ينضم إلينا المئات..

وقد لفت نظري عدة أمور:

■ انضمام العديد من النسوة إلى المظاهرة بل وتم رفع امرأة شابة على أعناق أحد النسوة.. وكانت تهتف ونحن جميعًا نهتف خلفها (وهذه كانت إشارة عملية إلى عدة أشياء):

مشاركة المرأة في التعبير عن رأيها مثلها مثل الرجل.

- أشهد بعدم وجود حالة تحرش واحدة.. بل كنا نحرص على توفير الحماية والأمن لهن.. وكأن أي واحدة قد تحولت في لحظة من (أخت وقريبة) إلى (أخت وأم وعرض وكرامة) يجب تجنيد كافة الإمكانيات للمحافظة عليها.

- ما جعلنا جميعاً نصفق بكل إعجاب أننا وجدنا رجلاً مبتوراً.. كانت شرفته تقع في الدور التاسع.. وقد أرسل لنا رسالة أنه معنا.. وقد خرج إلى الشرفة ومعه (عون ويد)، وأخذ يضرب اليد في الهون النحاسي يحدث أصواتاً منغمة للنظر، وكان يرقص فرحًا ويشير إلينا بأنه كان يتمنى أن ينزل ويشارك، ولكن ظروفه الصحية تحول دون ذلك.. كانت الفرحة واضحة في كل ملامحه. فوقف جميع المتظاهرين وكفوا المدلقة عن إلقاء الهتافات، وانصرفنا – بلا اتفاق – على التصفيق لهذا الرجل الذي منحنا ثقته لكي نواصل ما أردنا تحقيقه.

- كان رجال الأمن - ومن بينهم رتب كبيرة - يسيرون في الصفوف الخلفية صامتين.. وكنت قد جاوزت صف ضباط الشرطة.. وأصدر أحدهم - ويبدو أنه كبيرهم - تعليمات إلى القسم بإبعاد العربات والأفراد والآليات بعيداً عن القسم.. وكان محقاً في هذا القرار؛ إذ دخل طابور المتظاهرين إلى شارع (زايد).. ذلك الشارع الذي يقع فيه قسم حلوان الجديد.. وبالفعل كنت أحد الكثير من عربات الشرطة تتجه بعيداً عن القسم.. ما إن وصلنا إلى القسم حتى توقف المتظاهرون وبسيكولوجية الحشد فوجئت بقطع من الحجارة والطوب تنهال على القسم.. ثم إغلاق باب القسم (ربما للمرة الأولى في تاريخه).. حاولت مع غيري - من عقلاء القوم - أن نمنع إلقاء الطوب على القسم.. أو إيذاء الجنود الذين كانوا يجلسون في سيارة وقد كانوا في حالة هلع وفزع ورعب كان بادياً في كل خلجة من خلجات الجسد (راجع أي كتاب عن سيكولوجية قراءة لغة الجسد).. على أساس أن هؤلاء ما هم إلا منفذين للأوامر.. وقلت للبعض: ما داموا لم يتعرضوا لكم بأي أذى فلماذا إيذاؤهم.. رغم إشارة لنا في بداية الأمر ونهايته.. فاقتنع البعض.. في حين لم (صم) البعض أذنيه عن الاستماع إلى نصيحة متسلحاً بسنوات القهر والذل والتشفي في هذه الفئة التي كانت قراعاً طولى تبث الرعب في النفوس والأجساد والأرواح.. وقد تم تحطيم زجاج القسم بالكامل.. وكذا سيارات الشرطة التي لم تهرب إلى مكان آمن.. في حين وقف رجال الشرطة على الرصيف المقابل عاجزين عن فعل أي شيء أو قول أي شيء.. وقد انكسر حاجز الخوف إلى الأبد إن شاء الله.. بل كنت أرى رجال الشرطة - من القادة - وقد وقفوا خائفين ومرعوبين؛ لأن المتظاهرين قد تلبستهم حالة من الجنون وفقدان العقل في إحراق أي صورة للرئيس.. وتدمير قسم الشرطة

على أساس أنه كان رمزًا (فـجـرًا) للسلطة في تزوير الإرادة، وتعذيب المعارض بالحق أو بدونه - والتسويف في الحق... إلخ سلسلة المظالم التي لا أول لها ولا آخر.

- ٨ -

عدت إلى البيت وآذان العصر قد أذن منذ ساعة ولا أدري أي شيء قد تلبسني في ضرورة أن أعود مرة أخرى إلى قسم الشرطة - الكائن في شارع رايل - لأن قلبي يحدثني أن شيئًا ما قد حدث أثناء رجوعي إلى بيتي. وعدت لأجد الآتي:

١ - إن المتظاهرين بعد أن كسروا وحطموا القسم من الداخل قد عادوا مرة أخرى إلى محطة المرور.

٢ - قد قاموا بحرق نقطة المرور - الكائنة في الميدان - حيث كان رجال المرور - مختلف الرتب والمناصب - يقومون (بالاستعراض وممارسة النرجسية وأحيانًا السادية) على جميع من يسير في الميدان - إلا من رحم ربي - سواء بالأشياء أو فرض غرامات - ولقد اعترض إن كنت راجل على بعض سائقي التلاكي أو الأجرة وغيرها من صور (البلطجة الأمنية لضبط الأمن واستتبابه في ميدان من أهم الميادين في حلوان)

٣ - حرق مقر الحزب الوطني - والذي يقع أيضًا في الجهة الأخرى للميدان ولم يكتفوا بحرق لافتة الحزب الوطني وصورة الرئيس والشعار الجديد: مستقبل أولادك، بل امتد الحريق إلى محال (بابا) الكائن في الدور الأرضي (ومقر الحزب الوطني كان في شقة أو

شقتين في الدور بعد الأرضي) وقد ارتفعت ألسنة الدخان وغطت تقريباً على البناية .

٤- العودة مرة أخرى وإحراق القسم... وطبعًا حدوث حالة من الهرج والمرج - كما يقولون - وإخراج الأسلحة إلى أيادي الكثيرين ممن يعملون في القسم وسط حالة (الجنون) التي تلبست الجميع جراء الفرحة الطاغية بأنهم قد أصبحوا (إيجابيين) وأنهم لأول مرة قد اتحدوا وتلاشت جميع الفوارق - التي كان النظام - يحاول أن يفرق بها بين المصريين .

كانت المظاهرة التي شاركت فيها لا يسأل أحدًا إن كان هذا مسيحيًا أم مسلمًا أو شيعيًا.. وكان يتم - كما سبق وأشرت - إفساح المجال للمرأة والبنات أن يصعدن على الأكتاف ويهتفن - مثل الشباب من الرجال - سواء بسواء . وكانت المظاهرة تضم جميع الأعمار من ٨ سنوات حتى ٨٥ عامًا وربما أكبر من ذلك ... وحد الظلم والقهر والصبر وجبروت السلطة وفسادها، ومحاربة الناس في (لقمة خبزها وضروريات حياتها) فكانت تعبيرًا صادقًا ولأول مرة أراقب (الوجوه) لأجدها قد انشرحت عن ابتسامة أمل بعد أن كانت الوجوه (عابسة.. مرهقة) أقل شيء فتريد أن تشتبك مع الآخر. لأن المناخ الديكتاتوري يخلق حالة من العداء للأسف الشديد تتجه إما إلى الآخر (البديل عن الذي أحدث هذه الحالة من القلق والقهر) أو ترتد إلى الذات في صور متعددة.. كان أشهرها الانتحار، وأن الحياة ربما تكون (مغامرة أن أحياها)، وأنا لا أجد أي سلاح.. وليس هجرة الشباب - غير الشرعية - ما هو إلا دليلاً دامغًا على الرغبة في الدخول في مغامرة ٩٩٪ ستقودك إلى الموت، و١٪ ربما يقودك إلى الحياة رغم أن العاقل - حتى وإن كان ذكاؤه متوسطًا أو

أقل من المتوسط.. يرى أن القيام بمغامرة (السعر نفسك) ليست في صالحه، ورغم ذلك كان يتسلح بالإيمان بالله. وبكل هذه الترسانة من القهر وفقدان الأمل والفساد الذي تصاعدت رائحته في كل الزوايا والاتجاهات فأصبحت لا تشم إلا رائحتها لدرجة أن (الزوف) لبعض قد اعتاد عليها، ولو قدر له أن يشم رائحة أخرى غير رائحة الفساد يكون غير مستريح، بل (مستريب)، ويقول: ربنا يستر. وبالأمل القليل (٠.١) كان يغامر.. وكانوا في الغالب - عطاشًا مرًا - للحيتان في البحر.. ولكنهم كانوا (حيتانًا) أرحم وأحن عليهم من حيتان البر.. وشياطين في التخريب.. ربما فاقوا شياطين الجان.

- ٩ -

لا مفر من متابعة الإعلام، ولكن الإعلام المصري - وخاصة القنوات الفضائية المصرية - كانت صورتها (قبة ومتخلفة) عن الحدث، إذ تم (تعليق) الصورة على (نهر النيل)، وكأن المتظاهرين الذين كانوا على مقربة منهم في ميدان التحرير كان يجب أن يقفزوا على سطح الماء حتى تلتقطهم كاميرات الإعلام المصري، وحتى على فرض أن المتظاهرين قد أطاعوا ووقفوا على سطح الماء فإن تعليمات سوف تصدر لكي تسلط كاميرات التليفزيون على مكان آخر يتسم بالهدوء والرومانسية حتى لا يقلق راحة وعقل وفكر الآخرين. وكانوا يأتون بالسذجة ركيكة ومطبلي مباخر النظام، والذين - كالعادة - لم يتورعوا في إلحاق ما يحدث إلى:

- القلة المندسة

زمرة من المخربين.

- ينفذون أجندة خارجية (دون تحديد الجهة).

- تبع حزب الله (لبنان).
- تبع حزب الله العراقي لإيران والذي تم إنشاء فرع له في العراق وجاري إنشاء فرع له في ميدان التحرير.
- إنهم عملاء ينفذون أجندة أمريكية وأنهم تناولوا (كنتاكي – وكبار البيت الأبيض في ميدان التحرير تمنح كل متظاهر)، وجبة كنتاكي ومبلغًا من المال (يختلف عدده من كاهن إلى آخر في البرامج التليفزيونية.. إلخ هراءات وسخافات وأساطير السيدة وساسي (زغارة) النظام.

في حين أن قناة الجزيرة كانت تبحث عن الحقيقة – دون إنحياز، ولذا فقد شاع الآتي:

– إن من يشاهد قناة الجزيرة هو خائن وعميل (وعظيم جدًا أنهم لم يتهموه صراحة بأنه منحل وفاسد وقواد وابن كلب... إلخ الصفات الدنية والحقيرة التي يمكن أن تلصق بمن يشاهد الجزيرة.

– تم الهجوم – من قبل مخربين – معروف من دفعهم – إلى تخريب مقر قناة الجزيرة، تم التشويش على القناة ومضايقة الصحفيين والمراسلين الشرفاء؛ لأنهم (ينقلون) – بدون تحيز – على ما يحدث في الواقع.

– يوم الجمعة ٢٨ يناير ٢٠١١م تم حدوث المواجهة الحاسمة والأخيرة بين الشرطة والمتظاهرين، حيث استنفدت الشرطة كافة الوسائل والأساليب، وأخرجت كل ما في جعبتها لكي تقضي على الثورة.. ولكن حُسم الصراع لصالح المتظاهرين وانسحبت الشرطة في هروب مريب لم تتضح أبعاده، ولا من ألقى بهذا الأمر إلى الشرطة

- في نفس اليوم تم فتح السجون - في أمر مريب - سوف تتكشف أسراره فيما بعد، وتم إصدار أوامر للمساجين بأن يعيثوا في المدن والقرى فسادًا وقتلاً وسرقة واغتصابًا وأن يطلقوا باختصار جميع صور العنف غير المبرر تجاه المواطنين على أساس (نار مبارك) ولا جنة (هذا الانفلات).

- كانت النتيجة تشكيل لجان شعبية - غير تلك التي كان يشكلها المعتقد الثقافي - أمام كل البنايات والشوارع. وكنت أسكن في بناية (برج) كنت بالكاد لا أعرف حتى جيراني، لأن النظام قد بث حالة من (عدم الثقة) بين أفراد الشعب بعضهم البعض.. ولعل ذلك قد نتج من مبررات الخوف والرعب وراتري الليل والفجر - وكل وقت، وهذا غير المعروف تمامًا من الشعب المصري المحب للود ومخالطة الآخر والدخول معه في حالة فضفضة، وأن يلتف بجوار من تم بحثه سواء أكان يعرفه أو لا يعرفه. وأن (الجار) له في الموروث المصري الحضاري - وكذا الديني - مكانة عظمى، وأما فإن الأمثال الشعبية مازالت تنص وتؤكد على ضرورة اختيار (الجار) قبل (الدار)، وأن (جاري) أقرب لي من (أهلي) وخاصة حين (يُلم) بالشخص حادث ما.

نزلت إلى باب البرج متسلحًا بعصا فوجدت الجيران. تعارفنا على بعضنا البعض.. أحضرنا كراسي - من أي شقة: هنا لا يهم، لأننا جميعًا صرنا دارًا واحدة: ودارت الأحاديث الودية والتعارف: وفوجئت بزوجة (س) أحضرت لنا الشاي وأخرى أحضرت لنا (السندوتشات). حاولنا أن نكتب حماية ثورة الشباب (أولادنا) ... وكان يتم تفتيش (السيارات). تم القبض على عينة أشخاص متلبسين بسرقة سيارات - لا تخصنا - أمسك بهم الشباب. كانت فرحتهم طاغية. كادوا أن يفتكوا بهم. تدخل صوت العقل لمنع عدم التمادي في العنف والعدوان، وطلبت منهم أن يقوموا بتسليمهم إلى

الجيش عند محطة المترو.. وكان الشباب فرحين ويريدون أن يذهبوا جميعًا لتسليم المجرمين.. ولكن طالبتهم بضرورة التنظيم، وأن لا نترك الشوارع خالية هكذا، وأن يرشحوا فريقًا يقوم بهذه المهمة. وقد كان.

لاحظت أننا جميعًا قد تركنا المنزل للحراسة من المغرب حتى صباح اليوم التالي.. فطالبت الجميع بأن يكون هناك جداول (للنبطشية)، وأن نظم التواجد بدلاً من أن نجتمع جميعًا في وقت واحد ثم يتاجنا النوم جميعًا في وقت واحد، وأن (النبطشية أو نوبة الحراسة) يجب أن تكون طوال الأربع والعشرين ساعة.

ومما زاد حالة الهلع.. أن الكثير مما كان يسمع استغاثات نساء ورجال في القنوات الفضائية المصرية تطالب الجيش بسرعة التدخل لإنقاذهم من البلطجية، أو أن بلطجية قد دخلوا عليهم في هذه الساعة، وأنهم يهددونهم بالقتل، ثم بدأت (الشائعات) تسري وتنتشر بأن المساجين قد فعلوا كذا وكذا وكذا. مما أحدث ذلك حالة من (الشلل) في العقل والشارع المصري كذلك

ورب ضارة نافعة:

فتقد تعارفنا – سكان البرج – وصرنا أسرة واحدة.. وقد صعدت إلى شقتي ذات ليلة لأمر ما فوجدت أن الشقة كانت (غاصة) بنساء وزوجات من الدور والأدوار الأخرى.. وقد جمع هذا الحدث ووحد القلوب والعقول على هدف واحد كما اندمج الأطفال مع بعضهم البعض في تعارف وحب واندماج تلقائي كانوا بالفعل محرومين منه نتيجة للعديد من الأوامر الصارمة بعدم (الاختلاط) أو (التعرف) أو حتى (التحدث) مع الآخر.

- ثم قطع خدمة الإنترنت ورسائل المحمول على أساس أنها وسيلة اتصال الشباب على أساس أنها سبقت في سرعتها وسائل النظام، وعلى

أساس أنهم (الجندي المجهول) الذي يَكْمُنُ خلف اندلاع هذه المظاهرات بكل هذا العنف والتحدي والإصرار.. وأن شباب (الإنترنت) كانوا موضع سخرية وكانوا ينظرون إليهم - وعفواً في اللفظ - السوقية عيال خايبين لا قيمة ولا هدف ولا خطر ولا بأس، ولا حتى يجب أن نعطيهم أدنى اهتمام!، هذا هو ما وقر في القلب وصدقه العقل (عقل الفاسدين بالطبع).

- ظهر الرئيس في نفس الليلة متأخراً... والتليفزيون المصري يبث في الشريط الإخباري أن الرئيس سوف يلقي كلمة بعد قليل.. وظلت (بعد قليل هذه) من الساعة التاسعة حتى قرب الساعة الواحدة من صباح يوم السبت الموافق ٢٩ يناير ٢٠١١م.

- جاءت الكلمة هزيلة وخالية من أي (انفعال صادق أو إحساس بآلام الشعب وأناته.. أو رصد لما هو جديد.. وأنه قد طلب من الحكومة أن تقدم استقالتها، وطلق الناس بـ«ها».. كل هذا العنف من جانب الشرطة، وكل هذا القتل والذابح.. والقناصة على الأسطح.. من أجل أن تستقيل الحكومة؟!!

- إن من كتب خطاب الرئيس في هذه الليلة - والأيام التالية - كان كمن يجلس في برج عاجي ولا يشعر بما يموج بالواقع، وجاء التغني بما قدمه للوطن والضربة الجوية الأولى.... إلخ كعوامل (أثارت غضب الناس) أكثر مما أثارت الهدوء.

- وفي خطاب يوم ١ فبراير ٢٠١١ جاءت كلمة الرئيس حيث اعتمد فيها على الجانب (العاطفي) بدلاً من الجانب (العقلي) من تأكيد الرئيس على أنه لن يغادر أرض الوطن: وسوف يموت ويدفن في (ثرى) هذا الوطن.. ونحن شعب عاطفي وكان من المفترض أن تحدث الكلمة (تلك) انقساماً في الصف حتى للمؤيدين لرحيل النظام حيث قدم الرئيس العديد من التنازلات

(ورغم ذلك فقد أظهر النظام عجزاً وتخلفًا واضحاً في اتخاذ القرارات) ومن هذه التنازلات:

(أ) تعيين نائب له .. مع العلم بأن هذا المنصب قد ظل شاغراً لمدة (٣٠) عاماً. أي طوال فترة حكمه .

(ب) تكليف الفريق أحمد شفيق رئيساً للوزراء.

(جـ) الأمر بإحداث العديد من التعديلات في الدستور خاصة في المادة (٧٦) التي تم تفصيلها من قبل الفقهاء وترزية القانون الدستوري لتكون على مقاس النجل (الرئيس المنتظر) .

- ولكن جاء يوم الأربعاء ٢ فبراير ليرفع حالة الغضب وليجعل الذين كانوا قد (تعاطفوا) مع الرئيس (خاصة على قوله إنه لم يكن ينتوي أن يترشح للرئاسة، وإنه يريد أن يكمل مدته حتى يحصل على معاشه الكامل)، وأنه لا يريد أن يترك البلد في مهب الريح والتقلبات.... إلخ .. جاءت موقعة الجمل والحمير والبغال والفرسان لتقضي على هذا الأمل في حدوث انشقاق في صفوف المتظاهرين؛ وقد يكون الرئيس - ليس له يد أو علم بذلك؛ وإن قام ذلك مجموعة من المتطوعين لحماية النظام وحماية (مكتسباتهم من عدم قيام الثورة) . وقد زاد هذا الموقف الجميع إصراراً والتحاماً وعنتاً - مثلما هو يعاند على مواصلة التظاهر حتى يرحل النظام «مش همشي إلا لما يمشي» . ومرة أخرى: «رب ضارة نافعة».

- ١٠ -

ظلت الأمور تتراوح مكانها.. وخطب الرئيس ليلة ١١ فبراير خطابه الأخير.. ولكن بدا الرئيس متوتراً غير واثق من نفسه . وكأن تسجيل

للطلاب قد تم على عملة مراحل.. وقد فوض (نائبه) في العديد من مسئولياته.. ولكن الشعب كان قد وصل إلى حالة من الكراهية لمبارك ولكل من (يمت) لمبارك بصلة حتى وإن كانت هذه الصلة هي مجرد تعيين الشخص في منصب، وجرت الهتافات ضد مبارك وسليمان نائبه

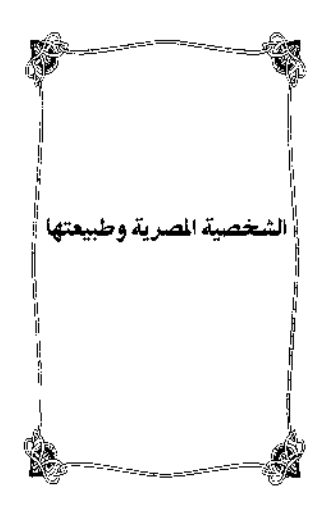
-١١-

ذهبت إلى التحرير عدة مرات.. كان أشهرها يوم الأربعاء ٢ فبراير أي يوم موقعة الجمل.. وقد شاهدت ورأيت كل شيء.. ولكن الله سلم ولم أكن واقفًا في طريق أو مرمى الجمال أو البغال

-١٢-

سافرت عائدًا إلى السعودية يوم الخميس ١١ فبراير.. ولقد تعمدت أن أصل إلى المطار مبكرًا (الساعة السابعة صباحًا) نظرًا لأنني كنت أعلم أن المتظاهرين عقب صلاة الجمعة سوف يزحفون بالملايين إلى قصر العروبة ومحاصرة الرئيس.. تابعت الموقف من التليفزيون فور وصولي إلى جدة.. في مساء نفس اليوم أعلن عمر سليمان (تخلي) الرئيس عن منصبه.. وقد حدثت فرحة طاغية وعارمة، وتم للثورة النجاح في الجزء الأول (أي إسقاط رأس النظام)، وبقي الأصعب أي تطهير البلاد من رموز الفساد وإعادة البناء، وحقًا ما أسهل الهدم، وما أصعب البناء.

٥٥٥



الشخصية المصرية وطبيعتها



الشخصية المصرية وطبيعتها

تنتاب الأمم في حالات الهزيمة أو الانكسار نوعًا من «جلد الذات» فيبدأ التقليد والكتابة في الخصائص القومية، والطبيعة السيكولوجية، وتجد في الغالب أن هذه الكتابات تتسم بوصم الشخصية القومية بالكثير من السمات والصفات السلبية. حدث هذا في كثير من فترات مصر خاصة إبان الخضوع للحكم الأجنبي أو حتى إبان هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧م، وحتى حين طال عهد الاستبداد وانعدام الحرية وحكم مصر بقانون الطوارئ لمدة (٣٠) عامًا خاصة إبان حكم الرئيس السابق محمد حسني مبارك.

فعلى سبيل المثال كتب المقريزي (وهو مفكر مصري عاش في القرن الخامس عشر في العصر المملوكي) في كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» الكثير من الصفات السلبية للشخصية المصرية حين رأى المماليك (وهم من هم) يعيثون في الأرض فسادًا، ويصدرون الكثير من الأحكام والقوانين التي تتسم بالعجرفة والغلاظة، ووجد خضوع المصريين لذلك، وعدم اعتراضهم أو حتى ثورتهم على ذلك، فكتب يقول عن المصريين من خلال ملاحظاته -: «أما أخلاق المصريين فبعضها شبيه ببعض، لأن قوى النفس تابعة لمزاج البدن: وأبدانهم سخيفة سريعة التغير، قليلة الصبر والجلد وكذلك أخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شيء إلى شيء، والدعة والجبن والقنوط والشح وقلة الصبر، والرغبة في العلم، وسرعة الخوف والحسد والنميمة والكذب، والسعي إلى السلطان وذم الناس، وليست هذه الشرور عامة فيهم، فمنهم من خصه الله بالفضل وحسن الخُلُق وبرأه من الشرور».

وقد علق الدكتور إبراهيم البحراوي في مقاله (ثورة المصريين تنسف رؤية المقريزي لشخصيتهم) (١٥/ ٢/ ٢٠١١) إلى القول: «ويلاحظ أن المقريزي يصف أخلاق المصريين في القرن الخامس عشر، أي في العصر المملوكي الذي سادت فيه المظالم الاجتماعية واحتكار الثروة الوطنية للقلة الحاكمة المالكة المدججة بالسلاح، وهو أمر متكرر في التاريخ المصري بإطراد. ومن هنا تأتي الأخلاق السائدة التي يرصدها المقريزي كوسائل لدى الناس لاتقاء شرور الحكام والأقوياء وكسب العيش والبقاء».

ونحن نقول لم يجانبه الصواب - من وجهة نظرنا - حيث إن النظام الاستبدادي والقهر يخلق في نفوس الكثير من الأفراد الرازحين له حالة قد تصل إلى اليأس والخضوع التام؛ لأنه يعرف أن الاعتراض معناه الموت، فيحدث حالة من (الانكفاء) على الذات حتى يتحاشى الاحتكاك بمن لديهم السلطة والجبروت قدر الإمكان، وقد (ينافق)، والبعض قد (يبالغ) في النفاق وسرد (المزايا) حتى (يتقي شر) الطغاة... وقد تطول فترة (الخضوع للقهر) حتى يظن الكثير من (المراقبين) أن هذه سمة في الشخصية المصرية، ثم يفاجأوا بأن تحت (سطح الماء الذي يبدو هادئًا) وتحت (الرماد) النار متأججة، وأنها كانت في حالة (كمون) لانتظار الوقت المناسب للانطلاق.

فإذا عبرنا فترة هزيمة ١٩٦٧ والتي زلزلت الشخصية المصرية من الأعماق، فقد زادت الكتابات التي حاولت سبر أغوار الشخصية المصرية - وإننا كمراقبين- قد لاحظنا وجود الكثير من الكتابات التي بدأت تتناول الشخصية المصرية حين طال القهر والظلم وعدم العدالة، وعدم وضع أي اعتبار (للناس)، وكأنهم (مطية) يركبها الحاكم وأعوانه حين يريد أو يترجل عنها حين يشاء. وقد أفرزت هذه الحقبة (غير المباركة) الكثير من الكتابات سوف نشير إلى بعضها، ونرى كيف حاول هؤلاء الكتّاب من مختلف المذاهب والاتجاهات الغوص في أعماق أو رؤية الشخصية المصرية

فقد عقد المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية مؤتمره السنوي الثاني عشر في الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ مايو ٢٠١٠ تحت عنوان «**الشخصية المصرية في عالم متغير**»، وقد قدم أبرز علماء مصر ومن تخصصات مختلفة الكثير من الأوراق حول «طبيعة الشخصية المصرية» ولا ننكر أنهم كانوا -بلاشك- إبان كتابة وعرض هذه الأوراق كانوا -حتى بدون قصد لاشعوري- متأثرين بالمناخ الاجتماعي والسياسي والفكري والثقافي والاقتصادي السائد فقد تناول - علي ليلة - أستاذ علم الاجتماع الأشهر قراءة في الدراسات التي تعرضت لسمات الشخصية المصرية قائلاً نجد أن السمات الإيجابية للشخصية المصرية تتآكل، وكان جمال حمدان هو أول من تحدث عن تلك الشخصية وقد ربطها بالجغرافيا، فوصفها بالشخصية المتدينة أو المحافظة التي لا ترغب في التغيير؛ لأنها تخاف أن يأتي التغيير على حضارتها دون مسألة: إللي نعرفه أحسن من اللي ما نعرفوش خير مثال على ذلك إلى آخر العديد من السمات السلبية التي وصم بها جمال حمدان الشخصية المصرية.

وأكد ليلة على أن شخصية المصريين ليست ثابتة، ضارباً المثل بمحمد علي الذي يجد له مثيلاً في التاريخ في شخصية جمال عبد الناصر وقال: الطبقة الوسطى كانت هي الوعاء الحقيقي للمجتمع الذي يعدل ميزانه لكنها تراخت في مراحل تالية بعد ثورة يوليو، ثم أخيراً تشرذمت وضاعت وانكفأت على نفسها، إذ اتجهت للدين (في جانبه المتشدد كما نراه نحن)، كذلك تشرذمت النخبة المصرية إلى إخوان مسلمين وشيوعيين، وهي النخبة الانتقالية التي خانت مجتمعها، وتعلقت بأستار السياسة.

كما أشار إلى أنه في مجتمعنا أزمة بالنسبة للمسئولية الاجتماعية وعلاجها بعدم مطالبة الناس بالوفاء بما عليهم من واجبات دون أن يحصلوا على ما لهم من حقوق، فهذا التوازن بين الحقوق والواجبات هو البداية لإعادة

الشعور بالمسئولية الاجتماعية، حيث كشفت بعض الدراسات عن انتشار ظاهرة الميل الشديد لمخالفة القوانين والتي يعمل عليها ابتداء من قواعد المرور - حتى بعد تشديد العقوبات على مخالفتها إلى أقصى حد يمكن تصوره - وانتهاء بقوانين الضرائب والإسكان والأحوال الشخصية، والشعور العام بعدم جدية القوانين، وبأنها تطبق على ناس، ولا تطبق على ناس آخرين، وفيها ما يسمح بالاستثناء مما يفقد القانون هيبته، ويؤدي إلى انهيار القيم وزيادة الجرائم

في حين ركز الدكتور علي الجلبي أستاذ علم الاجتماع على التناقضات في الشخصية المصرية في هذه المرحلة على أنها انعكاسات للتحولات الاجتماعية التي أدت إلى حدوث تغييرات في الطبقات الاجتماعية وفي القيم وفي الثقافة السائدة وهذا ما يفسر التناقضات في قيم وسلوك المصريين، فنجد نموذج الشخصية الإيجابية المنتجة الحريصة على إتقان عملها، ونجد الشخصية الفهلوية التي تفاخر بالنصب بالبيضة والحجر، وبأنها قادرة على أن تقلب الحق باطلاً، والباطل حقًا، ونجد أيضًا الشخصية المعبرة عن ثقافة (الهش والبلطجة والتحايل والاستهانة بالقيم، ومحاولات هذه الثقافة لا تخفى على أحد في البيزنس والعمل العام، كما في الهجرة غير الشرعية والاتجار بالبشر والنساء كما رصدت تأثير العولمة على منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية وعلى سلوك المصريين).

ولعل تعليقنا على هذه الدراسة أن العولمة ليست فقط هي التي أفرزت هذه (التباينات والتناقضات) في السلوك - كما يبدو في الظاهر - في الشخصية المصرية؛ بل إن الحكم الاستبدادي وانعدام الحرية، وسيطرة رأس المال في قلة قليلة من الأفراد. .. وصعوبة التحايل على (المعايش)، كل ذلك وغيره يخلق هذا الذي يبدو تناقضًا في الشخصية المصرية، إنه نوعًا من

(التحايل) أو بمعنى أدق، التوافق والتكيف حتى وإن كان غير سوي، عن ظروف يرى المصري -آنذاك- أنه سابق لأوانه الثورة عليها والتمرد.

في حين يرى الدكتور/ **محمود عودة** - أستاذ علم الاجتماع - إلى ضرورة النظر إلى سمات الشخصية المصرية في إطار التصور الهرمي للكون وللمجتمع، وإن ذلك يظهر في المثل الشائع (اللي مالوش كبير يشتري له كبير) وأيضًا المثل الذي يقول (العين ما تعلاش على الحاجب) وبالمناسبة سمعت أحد المصريين يسخر من هذا المثل قائلاً: (عكس العين تعلى على الحاجب لما تورم)، ولذلك نجد استخدام المصريين لألقاب التعظيم والاحترام والتبجيل فيما لن تجده في أي مجتمع آخر (وبالمناسبة أذكر ناكتة) ذلك أن أحد الأساتذة المرموقين في مجال تخصصه وإبان عمله في إحدى الدول الخليجية، كان حين يقابل عميد الكلية (وهو أقل منه في الدرجة العلمية) ينحني له بصورة واضحة ويقول له: معاليك وعظمتك، وقد علق أحد الإخوة السودانيين الذي يعمل أيضًا أستاذ في هذه الكلية قائلاً للعميد: إيه المبالغة دي؟ فقال له العميد ضاحكًا: أنت تعرف إخوتنا المصريين بالفون، لأن كلمة (معالي) لا تطلق - في هذه المنطقة - إلا على من يتقلد منصب (وزير)، لكن والحق يقال أيضًا: إن هذه المبالغة تُقال من باب المجاملة أو التوقير للشخص وليس أكثر، كما أن الكثير من المصريين يرفضون مثل هذه المجاملات المبالغ فيها والتي قد (تهز) صورتك أمام الآخرين.

ويواصل الدكتور/ **عودة** عرضه للشخصية المصرية منطلقًا من التصور الهرمي للشخصية المصرية، ويرى أن (المبالغة في التعظيم للآخر) هو:

١ - حالة أو نوع من التكيف.

٢ - اتقاء شرور الكبار (أو من بيدهم السلطة).

٣ - تحقيق مطالبهم بصورة أسرع (وهذه إضافة من عندنا).

أما تفسيره للازدواجية في الشخصية المصرية وربما الشخصية العربية عامة بأنها تظهر في أشكال متعددة:

١ - التناقض بين الأقوال والأفعال.

٢- التناقض بين القيم والمعتقدات فيما بينها.

أما السلبية واللامبالاة فإنها تؤدي وظيفة التكيف مع الواقع حيناً ووظيفة المقاومة أيضًا، فقد يرى المصري أن الإيجابية والإقدام بجلبان المتاعب والمشكلات، وقد يواجه بالاستهجان أو بعدم القبول، بينما نفضل للمواصفات المرغوبة الشخص السلبي الذي يعمل أننا من طوب وأننا من عجوة (وأيضًا المطيع) السلبي، الذي ينفذ التعليمات دون مناقشة أو كما يقول المصري في بعض أمثاله: اربط -العجل - وفي مقولة أخرى -الحمار- مطرح ما يعوز صاحبه).

ويرى عودة أن السلبية ظلت تمثل المقاومة التي واجه المصريون أشكال القهر عبر التاريخ (من خلالها) وبالتجوء - أيضاً - إلى التكاسل في العمل، ولكن ظهرت في الآونة الأخيرة أنماط إيجابية لمواجهة القهر نعبر عنها العديد من التعبيرات والأمثلة الشعبية الرائجة هذه الأيام مثل:

- خلف كعوم .
- فتح مخك .
- احنا إللي دهنا الهوا دوكو .

وفي نهاية ورقته البحثية يرى عودة أن الشخصية المصرية تلجأ إلى الكثير من المعتقدات الشعبية تساعدها على تحمل ضغوط الحياة أو مقاومة هذه الضغوط، ولعل عبارة (الصبر والتحمل)، وكذا الاعتقاد في الأولياء، وزيارة الأضرحة، أو الانخراط في الطرق الصوفية... وغيرها تمثل المتنفس (والفضفضة) لآلام والقهر وكبت المصريين إزاء (تسلط) الواقع المعاش.

ولذا فإن هذه الورقة – من وجهة نظرنا - قد حاولت قدر الإمكان الوقوف بصورة موضوعية على كافة المتغيرات والأنماط وأساليب وآليات التوافق والتكيف التي تميز الشخصية المصرية المعاصرة

وفي الورقة التي قدمها الدكتور/ عبد الباسط عبد المعطي بعنوان: التغير في أنماط التدين والشخصية المصرية، حيث رصد التغيرات التي لحقت بالشخصية المصرية في الجانب الديني حيث يرصد ثلاث متغيرات (يراها مفارقات) هي:

الأولى: انتشار مظهر ديني وسلوكي لبعض أنماط الشخصية المصرية يتسم ببعض الانحراف والعنف المادي واللفظي والرمزي.

الثانية: تتمثل في وجود تناقض في الموقف من الآخر الديني – المسيحي بين الحاجة إليه والتعامل معه في الحياة اليومية، فهناك مسيحيون أصحاب مكاتب هندسية ومشروعات صناعية وغيرها، لكن في نفس الوقت هناك تخوف منه ورمي من أنصار بعض أنماط التدين لتغييره إلى إقصائه اجتماعيًا.

الثالثة: تناول قضايا التدين تناولاً سطحيًا وليس مقاربة بمخاطرها المرتبطة في الحاضر والمستقبل.

ولم يكتف بهذه الملاحظات، بل اعتمد في دراسته على المقارنة بين فترتي الستينيات، وما بعد منتصف السبعينيات وتوصل إلى حدوث انقسام في التدين ما بين التدين الرسمي والتدين السلفي والعادي وتدين السوق، منوهًا إلى حدوث صعود وتغلغل لنمط التدين المتشدد السلفي الإقصائي للآخر الديني والاجتماعي والثقافي والسياسي، وبرز نمط جديد من التدين هو التدين السوقي (أو تدين السوق) والذي واكب صعود الليبرالية

الجديدة، وهو نمط يرتكز على الخلاص والإنجاز الفردي، والتوظيف الاقتصادي للدين مؤكداً - أيضاً - أن السلفية الدينية قد أنتجت إلى سلبية اجتماعية ضد المرأة والشباب وغيرهم، وسلبية ضد الآخر الديني المسيحي والآخر السياسي وغيره».

ولم يفت الدكتور عبد المعطي أن يقدم العديد من الأمثلة حول مظاهر التدين السلفي، وأيضاً مظاهر التدين السوقي. مؤكداً على تحول الدين - في الآونة الأخيرة - إلى (بيزنس) يُستغل لتسويق سلع وإعلانات ومسابقات دينية، ويقري العامة بجوائز الحج والعمرة وكلها وسائل للاسترزاق والتكسب مثلها مثل تحويل الأماكن المحيطة ببعض المساجد إلى أسواق لبيع سلع وبضائع... وهذا هو التيار السلفي المتشدد الذي يحكم بالتحريم على كل شيء تقريباً سواء في الفكر أو الفن أو كل مظهر يثير في النفس (البهجة والسرور) وكأن كل ما يجب أن يرتبط بالدين لابد أن يكون (كئيباً ويثير في النفس الحزن والبكاء).

ولعل هذه الورقة قد أسهمت في وصف الجانب الديني المتفشي الآن في الشخصية المصرية. بيد أن حوادث ٢٥ يناير ٢٠١١ وما بعدها وخاصة في الأيام والأشهر التي تبعت الثورة قد لاحظنا الآتي:

١ - إن فكرة الطائفية التي كان يروج لها من قبل الإعلام الرسمي والنخبوية (المظنونة) بين المسلمين والمسيحيين هي من صنع النظام.

٢- إن الحوادث المثارة والمتأججة بين المسلمين والنصارى كانت من صنع أجهزة أمن النظام (وزير الداخلية الحالي في أواخر حكومة مبارك) متهم بأنه هو الذي فجر كنيسة القديسين ليلة رأس السنة ٢٠١١م في الإسكندرية. ولا يخفى على القارئ أن أجهزة الأمن وأحياناً الاستخبارات في الكثير - إن لم يك كل - الدول ذات الحكم الاستبدادي تميل إلى

إشغال مواطنيها بالعديد من القضايا حتى ينصرف الناس إلى شئونهم، ويتركون السلطة ورجالها يعيثون في الأرض ولي حبرقتها نهب وسلب.

٣- إن التيار السلفي (المتشدد) الذي أشارت إليه ورقة البحث ليس نابعًا أصيلاً في الشخصية المصرية (كما هو معروف عنها من ود وتسامح وحب، لأنها شخصية ذات جذور حضارية. ويكفي أن الثورة كانت سلمية، وأن المتظاهرين الرافضين للنظام كانوا لا يحملون إلا مطالبهم)، ولذا فإن هذه السمات التي بدت - للملاحظ - بأنها تشدد هي من قبل أمرين:

الأول: إنها سمات مستوردة سرعان ما تجد طريقها إلى الدفن تحت الثرى، لأن ظروف كثيرة أجبرت الكثير من المصريين إلى السفر إلى العديد من الدول العربية المتشددة في تدينها.

الثاني: إن الطابع الديكتاتوري المستبد الذي كان يعيش في كنفه المصريين قد أدى بهم إلى نوع من التشدد كنوع من (التوحد بالمعتدي) كما هو معروف في الميكانيزمات النفسية التي يلجأ إليها الشخص كنوع من التوافق.

٤- إن من يدينون بالدين الإسلامي - كمثال - قد أدوا صلاة الجمعة (في جمعة الصمود في قلب ميدان التحرير) تحت حراسة إخوانهم الأقباط خوفًا عليهم وحماية لهم من (بلطجية فلول النظام السابق)، كما أدى الإخوة الأقباط القداس (يوم الأحد في ميدان التحرير أيضًا) وسط حماية إخوانهم المسلمين، وكأن استثمار عصر من الحرية قد جعل قشرة التشدد والكراهية للآخر تسقط، ويظهر معدن المصري الأصيل للحب للآخر حتى وإن اختلف معه في الدين واللون؛ والحب أيضًا للحياة بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معان.

أما الدكتور/ سمير نعيم أستاذ علم الاجتماع فقد أكد في ورقته على عدة أمور:

أولاً: إن الكثير من الدراسات عن الشخصية المصرية لم تخضع للنقد والمراجعة، وبعضها صدر منذ أكثر من مائة عام، والبعض يردد ما فيها دون اعتبار للتغيرات التي طرأت على المجتمع المصري وتأثيرها على حياة وسلوك المصريين قائلاً: هذه الدراسات تطلق السمات السلبية على عموم المصريين، رجالاً ونساءً وحكامًا ومحكومين، وريفًا وحضرًا وبدوًا، وأغنياء وفقراء. كما أنها تقدم هذه الصفات على أنها صفات أبدية وثابتة، إلى جانب أن هذه الصفات تفتقد الدقة في تحديدها، كما أنه لم يتم الوصول إلى هذه التعميمات بناء على دراسات علمية أو ميدانية.

ثانيًا: يجب الأخذ في الاعتبار أنه لا يوجد ثبات أبدي لأي صفة من الصفات، فالثبات نسبي في كل شيء في الكون، وقد كانت لدينا سمات اعتقد البعض أنها ثابتة ولكنها تغيرت مثل: الارتباط بالأرض والوطن والشعور بالانتماء، والخوف من السلطة، واحترام قيم العلم والتعليم وغيرها

ثالثًا: تناول العديد من الصفات التي وردت في دراسات مختلفة عن الشخصية المصرية حيث وصف المصري بأنه:

- ماكر .
- مخادع.
- لا يمكن السيطرة عليه إلا بالعنف
- عنيد .

- لا يقبل الظلم.
- متآلف .
- مسكين وخاضع .
لا يهتم بالنظافة .
- يسيطر عليه نوع من الفردية والأنانية .
- يهتم بأقربائه أكثر من الآخرين .
- علاقته بالسلطة مثل علاقة أهل الحارة بالفتوة .
- له طبيعة انفعالية .
- بسيط ومرح ويطلق النكات على نفسه .
محب للحياة .
- طيب .
- عاشق للاستقرار .

كما أن بعض العلماء الإسرائيليين قد ذكروا العديد من الصفات التي تميز الشخصية المصرية (والعربية بصفة عامة) ضاربًا المثل برافائيل باتاي، والذي وصف المصري بأنه:

- ميال إلى الارتكان إلى الماضي .
- الميل للمبالغة في الأمور .
- عدم تقدير للوقت .
- الإيمان بالقدرية .
- عدم القدرة على المبادرة .
- الشعور بالنقص .
- كراهية النقد بدون مبرر .

وقد انتقد كل هذه السمات التي ذكرت عن الشخصية المصرية مؤكداً أنه بعد ثورة ٢٣ يوليو جاءت دراسات تقول عكس ما قاله (باغاي)، كما أن هناك دراسات دولية أخيرة قالت: إن شعب مصر ثالث أسعد شعوب العالم (ونحن نرى من جانبنا أن مثل هذه النتائج غير صحيحة نظراً لإمكانية تدخل المسئولين واختيار عينة معينة حتى يتم تحسين المسئولين أولاً، ثم الشعب ثانياً أمام شعوب وحكام العالم).

وقد أكد أخيراً الدكتور سمير نعيم على أن سمات الشخصية هي نتاج تاريخي اقتصادي حضاري اجتماعي (محلي ودولي) مؤكداً - كمثال- على أن سياسة الانفتاح الاقتصادي والتي انتهجتها مصر في سبعينيات القرن الماضي قد حثت على الاستهلاك والاهتمام باللحظة الراهنة وتقدير المنتجات الأجنبية، أو الهروب من الواقع عن طريق الهجرة أو الاهتمام بالمظهر، والأخذ وعدم العطاء واللامبالاة والسلبية وانتقاد المطبقي، والفساد الخلقي واللاعقلانية، وإعلاء المصلحة الشخصية على العامة، إضافة إلى بروز الصفات الأخرى الآتية:

- ظهور التدين الشكلي
- التمييز (والإحساس بالتوافق لدى من يملك).
- التعصب.
- انتشار قيم الاستهانة بحياة الإنسان وكرامته وآدميته
- ظهور قيم التحدي والتمرد

وقد أكد أن كل ما سبق قد جاء نتيجة انتهاج سياسة الانفتاح الاقتصادي، لكن الشخصية المصرية الحقة قد تجلت إبان معركة أكتوبر ١٩٧٣ حيث أظهرت أن المصري قادر على استيعاب التكنولوجيا الحديثة، ولديه الإصرار

على تغيير الواقع الذي يفرض عليه، وقادر على العمل في أصعب الظروف لتحقيق الهدف، كما يمكنه التعامل مع الواقع دون مبالغة أو استهانة، والإيمان (وهو من وجهة نظرنا الشخصية) يعطيه قوة وشعوراً بالثقة بالنفس.

ويرى أخيراً أن الشخصية المصرية قد مرت بثلاث مراحل:

الأولى: تأثير الدولة الحديثة (منذ محمد علي).

الثانية: تأثير الاقتصاد الموجه (الاشتراكي) في عهد عبد الناصر

الثالثة: الانفتاح الاقتصادي وإعادة الهيكلة في عهد أنور السادات.

وقد استفاض – كما سبق وأشرنا – في وصف سلبية الانفتاح والتي أفرزت بدورها العديد من القيم والسلوكيات السلبية.

وفي نفس المؤتمر لم تغب صورة المرأة المصرية حيث طرحت **الدكتورة نجوى خليل** العديد من التساؤلات التي تدور بين الكثير منا الآن في إطار ما يشهده المجتمع المصري من تغيرات في سمات الشخصية المصرية نلمسها في سلوكيات الشارع المصري وأخلاق المصريين وطباعهم وانهيار القيم وطغيان الجوانب السلبية، وهذا ما أكدته نتائج بحث: هموم واهتمامات المواطن المصري الذي أجراه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية عام ٢٠٠٩ حيث أوضحت النتائج غلبة السمات السلبية على الشخصية المصرية، في حين أنه في عام ٢٠٠٦ أشارت نتائج هذا البحث إلى أن السمات السلبية لا تتجاوز نسبتها في الشخصية المصرية ٢٠٪، وما لم تشر إليه ورقة الدكتورة نجوى خليل أنه كلما تجذرت سمات الاستبداد والطغيان، وانعدام الحرية، وسيطرة رأس المال في يد قلة مستحكمة، فإن ذلك يفتح المجال (كنوع من التوافق حتى وإن كان توافقاً سيئاً) إلى فتح المجال للسمات السلبية لأن تظهر. فالرئيس يستبد بالوزراء، والوزراء يستبدون في تعاملاتهم مع من هم أقل

منهم، وهكذا لتواصل سلسلة الاستبداد والقهر لمن هو أقل في المكانة والسلطة حتى تفاجأ بغلبة وشيوع العديد من السمات السلبية مثل:

١ - زيادة انتشار الجريمة

٢ - زيادة معدلات العنف حتى داخل نطاق الأسرة.

٣ - عدم الاحترام لمن هم في مكانة القدوة والمثل الأعلى (مثل المدرسين وبعض أساتذة الجامعة)

٤ - التفنن في (خرق القوانين) والبحث في (ثغراته) وليس في نصوصه بهدف الإفلات من العقاب.

٥ - سيطرة (الرشوة) لتفادي العقوبة، حيث رصد مثلاً كاتب هذه السطور أن (الرشوة) التي تقدم لبعض رجال المرور قد زادت من جنيهات قليلة إلى مبالغ كبيرة (خمسين أو مائة جنيه أو أكثر) بعد تغليظ عقوبة قانون المرور (في تعديلاته الأخيرة) مثلاً.

٦ - عدم الثقة في تصريحات المسئولين ومن يدعم السلطة، لأنهم يعلمون جيداً (أي الشعب) أنها مجرد كلمات (كلام مجالس) وتجميد صورهم السيئة أصلاً في الصورة الذهنية لديهم عند المواطنين ولعل أقرب مثال على ذلك حتى قبيل اندلاع ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ أن رئيس الوزراء كان يذكر العديد من الأرقام التي تؤكد أن المواطن المصري يرفل في ثوب الرفاهية والرخاء، في حين أن الكثير - وهذا هو المعيار الحقيقي والصادق - يكذب (أو) هذه الأرقام من خلال انتشار العديد من مظاهر الفقر وعدم الحصول على (لقمة) العيش أو حتى الضروريات لدرجة أنه كانت توجد نسبة كبيرة تتسول أو تبحث في (صفائح وصناديق الزبالة) عما يسدون به رمقهم، ولقد شاهدت بنفسي وأمام دار القضاء مواطناً قد تناول من صندوق الفول نصفه

ووضع الباقي في سلة القمامة التي تتوسط أحد أعمدة الإنارة..
حتى وجدت مواطناً آخر - كان فيما يبدو يتابعه - وأخذ باقي
(الساندوتش) والتهمه، ناهيك عن انتشار المتسولين وغيرها من
المظاهر التي تكذب تلك الرفاهية المزعومة.

كما أننا لا نستطيع أن نثق في التقارير التي كان يحضرها مجلس الوزراء والتي تؤكد شيوع الرضا من الأداء الحكومي، والرضا عن الحياة وغيرها من الأرقام والإحصاءات التي صدعوا بها رؤوسنا إبان هذه الفترة. ولعل بحث السعادة الدولي الذي رتب مصر في المرتبة الثالثة من حيث الشعوب السعيدة في العالم مثال حي وواقعي على تزييف النتائج) أو (الجمهور عينة المصري عينة البحث) (يكذبون أو في الغالب قد تم اختيار عينة لا تمت للغالبية العظمى من الشعب المصري ربما بصلة).

٧- هذا التفاوت الطبقي الحاد في أساليب المعيشة للدرجة إثارة عدوان وحنق الفقراء (وهم الأغلبية) إزاء عينة صغيرة من المجتمع يتحكمون في الأموال، ويحتكرون الكثير من مقدراته، وقد ظهر ذلك جلياً في العديد من أحدث السيارات الفارهة التي كانت تسير بلا احترام لأدمية الآخرين، وتحدي كل القوانين عن طريق الكلمة الشهيرة التي ذاعت في هذا الوقت (أنت مش عارف أنا مين؟) وكم الشاليهات والمنتجعات التي كانت تقام على أطراف المدينة للأثرياء الجدد (ولعل نماذج حفلات مارينا التي كان يذيعها التليفزيون المصري إبان أعوام ٢٠٠٥ حتى عام ٢٠٠٧) خير نموذج على ذلك، لا يمكن أبداً أن تكون هذه الفتيات شبه العرايا واللاتي يتراقصن على أنغام الموسيقى هم هذا الشعب المصري الأصيل.

٨- إفلات الكثير من المسئولين الكبار بجرائمهم، ولعل حادث العبارة (عبارة السلام) والتي كانت قادمة من السعودية إلى البحر الأحمر وتحديداً ميناء سفاجا، وغرق أكثر من (١٢٠٠) مصري من الفقراء

اللذين اضطرتهم الظروف إلى الهجرة المؤقتة (أو حتى الدائمة) خير نموذج على ذلك، حيث هرب صاحب العبارة وأسرته إلى لندن، وتم تحويل القضية إلى (محكمة جنح وليس جنايات)، ومازال أهالي الضحايا يأكلون أحزانهم حتى الآن بعد أن أتت العقوبات هزيلة وغير رادعة، ومازال مالك العبارة يتمتع بحياته الخاصة في لندن، وقد تم (تهريبه) تحت سمع وبصر وتورط المسئولين (الأنهب شركاءه) ويذهب الضحايا وأحزان الشعب وطموحه إلى تحقيق أبسط حقوقه في القصاص من (المقصرين) إلى الجحيم.

ونكتفي بهذا القدر من ردنا على أسباب زيادة السلبية لدى الشخصية المصرية في عام ٢٠١٠ مقارنة بنتائج ٢٠٠٢ وهو ما لم يذكره البحث بالتأكيد.

أما عن الأوراق التي قدمت فنجد بحث: **الشيماء عبد العزيز** (خبير العلوم السياسية بالمركز القومي) والتي تناولت شخصية المرأة النوبية حيث تفوقت على المرأة الريفية والبدوية في الحفاظ على كثير من سماتها الإيجابية مثل: الترابط والتماسك وتقدير الذات الذي يظهر في تمسك النوبيين بهوياتهم الفرعية، ونجاح الشخصية النوبية خاصة المرأة في تحويل الإحساس بالمعاناة (خصوصًا بعد التهجيرات المتتالية التي اضطر إليها النوبيون المصريون من موطنهم الأصلي أقصى جنوب الوادي إلى تراهم بعد بناء خزان السد العالي مع الأخذ في الاعتبار أن الكثير منهم مازال يرفض هذه الهجرة ويشعرون بحنين إلى وطنهم الأصلي وأن المساكن التي نقلوا إليها كانت قسرًا ولا تتفق مع عاداتهم وتلك قصة أخرى قد نعود إليها في مكان آخر. إلى قوة دفع نشق طريقها في المدن التي هاجروا إليها، والحرص على الاندماج في المجتمعات الجديدة دون الذوبان فيها وتمسكهم بالعديد من عاداتهم في الزواج والأحزان وطقوس الميلاد والعادات والتقاليد...إلخ.

بيد أننا لا نرى أن هذه السمات تعبر عن (الأصالة أو الانتماء) لأنهم مازالوا (يحنون) إلى وطنهم بل قد أثار العديد من المفكرين والأدباء منهم هذه القضية (علي إدريس مثلاً وكافة رواياته وقصصه تعبر عن ذلك).

وفي الورقة البحثية التي تقدمت بها **الدكتورة/ أنعام عبد الجواد** (المستشار بالمركز القومي) بعنوان: تأثير الضغوط الاقتصادية على شخصية المرأة الريفية، حيث أشارت إلى الآتي:

١ - بالرغم من شيوع الثقافة الذكورية والتي فرضت على شخصية المرأة صورة محددة مثل التركيز على دورها المنزلي، وأن إمكانياتها وقدراتها أقل من الرجل (الجنس)، إلا أنها استطاعت أن تتجاوز نسبياً هذه الضغوط وانعكاساتها سلبياً على شخصيتها.

٢ - إن إصرار المرأة على التعليم والعمل قد جعلها قادرة على مواجهة العديد من صور الضغوط الاقتصادية.

٣- تظهر قدرة المرأة في مواءمتها بين الدخل الاقتصادي (سواء لها أو لزوجها) وبين واقع الإنفاق الفعلي (الفجوة بين الإنفاق والدخل).

٤ - إن الباحثة قد رصدت ثلاثة أنماط من شخصية المرأة المنتصرة وفي تعاملها وهي:

(أ) الاستسلام لهذه الضغوط وهو أسلوب قلة الحيلة (أمري لله وأمري حكمته).

(ب) نمط المواءمة بين الدخل والاحتياجات لمحاصرة بعض ضغوط الفقر وتهذيبها دون القدرة على تجاوز هذا الفقر وهو أسلوب التحايل على المعاش.

(جـ) نمط التحدي وفيه تستطيع المرأة تجاوز تلك الضغوط.

وتوصلت الباحثة في النهاية إلى أن أنماط مواجهة الضغوط الاقتصادية لدى المرأة الريفية هو الأسلوب السائد لدى المرأة المصرية بصفة خاصة في

الطبقات الفقيرة والوسطى، ذلك لأن الفقر والبطالة الآن تحولا إلى أزمة اجتماعية تعاني منها الغالبية العظمى من الأسر المصرية.

وفي حقيقة الأمر فإن ما تم تقديمه في هذه الورقة ليس جديداً؛ ذلك لأن الدكتور/ محمود عودة في كتابه الشخصية المصرية وآليات التوافق والتكيف (الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٢) وغيره من الكتابات والأبحاث قد رصدت حقيقة أن المرأة المصرية (تتفنن في التحايل على المعايش) وأن مثال: تنوع الأطعمة المصنوعة من (صنف واحد مثل الفول والباذنجان كمثال) خير نموذج على ذلك؛ إذ مثلاً تصنع من الفول: فول نابت، طعمية، فول مطهي، فول بالطماطم والبصل....إلخ، وهي عزف متنوع على نفس (النظم).

وما يؤسف له أن السياسة الزراعية في مصر في الآونة الأخيرة قد تحورت لدرجة أن الفول (الذي اشتهر بتناوله المصري) قد علا سعره وارتفع.. مما زاد من درجة القلق والتحايل على المعايش من أجل مقاومة الجوع والشبع

وفي ورقة الدكتورة/ إحسان سعيد (الخبير بالمركز القومي) حيث تناولت شخصية المرأة البدوية بين الثبات والتغير الثقافي حيث ذكرت الآتي:

١ - إن البدوية لشخصيتها تتمتع بقدر كبير من الحرية الشخصية ليس فقط باعتبارها فرداً له قيمة وكيان في المجتمع، ولكن باعتبارها إنساناً مسئولاً.

٢ - إن المرأة البدوية لها شخصيتها الجلية الواضحة من خلال ارتدائها ما يميزها من زي والتزامها بعادات وتقاليد وقيم خاصة بها.

٣ - تتميز المرأة البدوية بانتماءاتها العائلية والقبلية في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

تلك كانت باختصار أبرز الأوراق البحثية التي قدمت في مؤتمر المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية عام ٢٠١٠م.

ولم تتوقف الأمور عند هذا الحد من إبراز الجوانب السلبية للشخصية المصرية، إذ ظهر كتاب لعلاء الأسواني بعنوان: (لماذا لا يثور المصريون عام ٢٠١٠م) وهو تجميع للعديد من مقالاته التي نشرها في الدستور والشروق حيث ذكر ضمن ما ذكر عن خصائص الشخصية المصرية «إن القمع بكل أسف سلوك مألوف في مصر، بل هو تراث نحمله داخلنا جميعاً، وقد تعلمنا نحن المصريين كيف نداهن السلطة الغاشمة لمجرد اتقاء شرها.. ولعلنا ننفرد بين شعوب العالم بتعدد ألقاب التفخيم والتعظيم التي نخاطب بها رؤساءنا ونتوقع من مرؤوسينا - في نفس الوقت - أن يخاطبونا بها.. إن السلطة الظالمة جاهلة هوجاء وقد تعلم المصري كيف ينحني لها أو ليسايرها حتى تمر، وتعلم مضطراً أن ينافق ويكذب حتى يستمر في الحياة».

وفي موضع آخر من الكتاب حيث يروي واقعة حدثت في إحدى المدارس بقيام المراقب بمساعدة التلاميذ على الغش لأنه ألهم بالغرف: «حظو: راحتكم في الغش وسوف أقف أنا على الباب أراقب الطريق، وإذا جاء تفتيش خارجي سوف أنقر على الباب نقرتين، وعندئذ تأخلون حذركم» وبعد نهاية الامتحان ذهب التلاميذ ليشكروا المراقب فقال لهم: «أنا لا أساعدكم أنتم... أنا أساعد آباءكم الذين يصرفون دم قلبهم على تعليمكم» وتكتسب هذه الحملة - كما يرى الأسواني - السبب الحقيقي وراء انتشار الغش الجماعي وهو نوع من التضامن (ضد الدولة) بطريقة ما تعكس نفس الشعور الذي يجعل المارة يحذرون الباعة المتجولين من شرطة المرافق القادمة لمصادرة بضاعتهم... إلخ.

وفي موضوع آخر من الكتاب يصف مشاهد مألوفة - أو كانت - في الشارع المصري كمثال «ضابط شرطة يستشيط غضباً ويهوي على وجه السائق

لطمة عنيفة، ويصدر السائق صوت ويمد يده محترفاً ليمنع الضابط من ضربه فيجن جنون الضابط ومن حوله من الضباط وينهالون على السائق بضربات متلاحقة تجعله ينزف دمًا من فمه وأنفه، ويتم جرجرته في الشارع وهو يضرب، وعندما يتجمهر الناس يصرخ الضابط : (احد فيكم يعمل راجل ويشهد ضدي في المحضر). وفي الشارع أيضًا نرى ضباط الشرطة يستوقفون بعض البسطاء من راكبي الميكروباص في ساعة متأخرة من الليل فيصفعون الناس على وجوههم قبل أن يفحصوا بطاقاتهم الشخصية، يصفعونهم بلا أدنى سبب لمجرد إجراء روتيني، ويعلق الأسواني على ذلك قائلاً: وما يحدث في الشارع هو أمر اعتاده المصريون للقصرون بهم أو المقهورون. ربما يبدو هينًا قياسًا باحتراق ألف مواطن على الأقل في قطار الصعيد ٢٠٠٢ وهم محشورون كالبهائم في عربات مغلقة عليهم بالسياج الحديد؛ وخروج قطار كفر الدوار لبعض عشرات الناس في الشارع، وانهيار عمارات حديثة في محافظات مختلفة على رءوس سكانها ونسمم مئات التلاميذ في المنصورة (وغيرها)، وكارثة العبارة سالم إكسبريس: وكوارث رهيبة تقتل المواطنين كل عام، حتى صار عدد شهداء الكوارث في الأعوام القليلة الماضية لا يقل عن عدد شهداءنا في أي حرب خضناها.

وقد فسر ذلك - في أحد وجوهه - بأن الرئيس يحكمنا منذ أكثر من ربع قرن (ثلاثين عامًا تقريبًا) دون أن يخوض انتخابات واحدة صحيحة، أو استفتاء واحد غير مزور، وبالتالي فإن حكمه يفتقر إلى الشرعية ؛ لأنه ليس رئيسًا منتخبًا من المصريين، وأن الذين كانوا يدافعون عنه في المطالب - أمام المؤلف علاء الأسواني - كانوا من الأجانب.

ونكتفي بهذا القدر من عرض هذا الكتاب الهام والذي جاء كصرخة في وجه المصريين واحداً كانة (التجاورات) تعلمهم يثوروا، وقد ثاروا بالفعل في

نهاية المطاف، وتحول الذين كانوا يستأسدون على (الشعب) إلى مجرد (فئران) يطلون من جحورهم ويخشون الخروج بنفس الزهو والتكبر والغطرسة التي كانوا يطلون علينا بها، أي بكل الصفات السيئة والقبيحة. وأقصد هنا رجال الشرطة.

كما أن انحياز الأجانب (أو بعضهم للرئيس) لا غبار عليه، ولعل غضبة الرئيس وإقالته الفورية لوزير الداخلية (حسن الألفي) في حادث الأقصر الشهير (عام ١٩٩٧) خير نموذج على ذلك، ولم ير الرئيس لا قبل ذلك ولا بعده ثورة من أجل كارثة واحدة حدثت للمصريين رغم كثرة عدد الحوادث التي تعرض لها المصريون في عهده!. وظل الرئيس - محافظًا - على عادته، بل بالعكس كان كثيرًا ما يسخر من (كوارث المصريين)، أذكر أنه بعد حادث العبارة (سالم إكسبريس) وغرق الكثير من المصريين بها أن اجتمع الرئيس مع الأدباء في افتتاح معرض الكتاب، وقد قال للكاتب المسرحي علي سالم ساخرًا: سالم إكسبريس. كما أنه بعد التزوير الفاضح الأخير (عام ٢٠١٠) للمجالس المحلية والشورى والشعب، وفي أول خطاب له بجمع المحليين أن قال ساخرًا من رموز المعارضة الذي تعمد مهندس الحزب أن يرسبوا جميعًا في الانتخاب، وبعد أن أرادوا أن يجتمعوا في حزب شعبي مواز أن قال ساخرًا: (خليهم يتسلوا!)، وما هي إلا أشهر حتى حدث العكس: وأصبح الرئيس وأتباعه هم الذين قد دخلوا في تجربة التسالي، ولكن بصورة دراماتيكية

ونواصل رصد ما كتبه العلماء والمفكرين مؤخرًا عن الشخصية المصرية إذ يرى أحمد عكاشة (٢٠٠٦) في حواره مع المصري اليوم الآتي.

١- حدث تغير للمصريين خلال الخمسين عامًا الأخيرة، وأن تصبح الشخصية واستعدادها للتضحية في سبيل الآخر يتطلب وجود مناخ يساعد على ذلك، فإذا ما نظرنا إلى ما قبل الخمسين عامًا، كان

المصري حينئذ يتصف بالشهامة والمروءة والكرامة والعزة. هذه الصفات كانت تميز المصري عن أي جنسية عربية أخرى.

٢- هناك دراسة هامة قام بها العالم (رولتس) الحاصل على جائزة نوبل، وقد ألف كتابًا أسماه (The Human Zoo) أو حديقة الحيوان البشرية قال فيه: «إن سلوك الحيوان في الغابة يختلف عن سلوكه عندما يحبس في القفص داخل حديقة الحيوان. في الغابة يتسم سلوكه بالشهامة والشجاعة، ولا يمكن أن يهاجم الفريسة إلا إذا كان جائعًا، ولكن عندما نحبسه في قفص يمكن أن يهاجم أي شخص حتى الحارس الذي يعطف عليه ويطعمه، مما يعني أنه حدث لهذا الحيوان تغيير، يقول هذا العالم: إن هناك حديقة حيوان بشرية، وهي عبارة عن أسوار صنعها النظام السياسي في البلد. وهذه الأسوار من الممكن أن تغير الأخلاق الإنسانية؛ لأن الإنسان مثل حيوان الغابة الحر الذي يتميز بالكرامة والشهامة والخلق يتحول شيئًا فشيئًا مثل الحيوان داخل قفص حديقة الحيوان. فتغيب هذه الصفات داخل القفص السياسي».

٣- إن الإنسان المصري داخل هذا القفص منذ (٣٠) عامًا ودخلنا فيه عندما حرمونا من حرية التعبير، وسلبونا العزة والكرامة.

٤- إن المصري - بطبعه وطوال عمره - يؤله الحاكم. ولديه خنوع واستكانة تامة تمامًا مثلما وصفه الدكتور جمال حمدان في موسوعته «شخصية مصر» وفي الفترة الأخيرة لم يعد المصري يشعر بغياب آدميته فقط، بل بات يعاني من ضياع حقه في المسكن والملبس وفي المعيشة الصحية، وبالتالي كلما زاد القمع يصبح الإنسان لديه أنانية مفرطة، وكلما زاد الازدحام والتلوث ازداد التمركز حول الذات.

٥- إن كل هذه الظواهر من السوداوية قد أدت إلى وجود (أو إمكانية وجود) العديد من السمات والطقوس الدينية، وهذا يحدث عندما يصل الإنسان إلى مرحلة السوداوية واليأس تمامًا كما هو الحال عقب نكسة (أو هزيمة) ١٩٦٧م.

٦- عدم وجود (هدف قومي) وهذا في حد ذاته قد حطم كبرياءنا وقدراتنا وتطلعاتنا، وهنا فقد ارتمى الإنسان في أحضان الدين بتعبير خاطئ.

٧- بسبب كثرة الاعتقالات (والمقصقصة) ربى الإنسان المصري ليصبح الآن الخوف مسيطرًا على الجميع

٨- إن الثورة في مفهوم المصري هي الميل إلى العنف، والمصري بطبيعته يكره العنف، وإذا قام بثورة فإنها لن تتسم بالعنف، وهذا المتوقع قد حدث بالفعل، وقد شهد الجميع على ذلك. حيث انحصر إيمان الرغبة في إحداث التغيير.

٩- إن الكثير من المثقفين على الأمر لا يؤمنون في حقيقة الأمر باستخدام (السادية) مع الآخرين ولكنه يضطر إلى الانصياع لذلك وإلا فُصل من عمله الذي هو مصدر رزقه في الأساس.

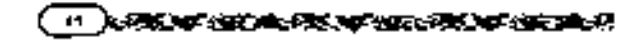
١٠- في تحليله لزعماء مصر ذكر الآتي:

- عبد الناصر لديه ذكاء عاطفي غير طبيعي، صحيح أن به بعض السلبيات، ولكن كان لديه تواصل كبير مع الجماهير، ولذا حين أراد التنحي خرجت الجماهير بتلقائية ترفض ذلك

- السادات كان ذكاؤه متجهًا لفئة بعينها من فئات المجتمع.

(أحمد عكاشة، في حوار معه، المصري اليوم)

(٢٠٠٦/٥/٣٠)



وفي محاضرة ألقاها د. أحمد عكاشة (رئيس الجمعية العالمية للطب النفسي آنذاك) خلال المحاضرة الافتتاحية للكونجرس الإسكندناڤي للطب النفسي في استكهولم ذكر الآتي:

١- طالما أن الفرد في مصر يتنازل عن حقوقه، وينتظر أن تعطى له هذه الحقوق كهبة من الحاكم فهو لا يستحق هذه الحقوق.

٢- أرجع تمركز منطقة الحروب على مستوى العالم في البلاد الإسلامية إلى عدة عوامل هي:

(أ) الافتقار إلى الحرية.

(ب) الافتقار إلى الديمقراطية.

(جـ) الافتقار إلى التعليم الحق (القائم على المناقشة والحوار).

(د) زيادة معدلات الفقر على الرغم من الموارد الطبيعية التي يتمتع بها الحكام والنخبة المحظوظة.

٣- وإن الحل لأزمة الإنسان (في مصر والعالم العربي) يتلخص في:

(أ) تفعيل حقوق الإنسان.

(ب) تفعيل قضية الانتماء إلى الوطن

(جـ) محاربة الفقر (لأنه مرتعًا خصبًا لليأس المؤدي للتطرف والإرهاب والجريمة المنظمة).

(د) أن تستعيد الدولة هيبتها من خلال تفعيل القانون، وأن تعاد العلاقة (على أسس إنسانية طيبة) بين المؤسسات الأمنية والمواطنين.

(أحمد عكاشة، المصري اليوم)

(٩/١٠/٢٠٠٩)

وفي مقال كتبه (فرانسوا باسيلي) بعنوان: لماذا لا يثور المصريون (وهو مصري مغترب) ذكر الآتي عن طبيعة الشخصية المصرية من خلال إجابته عن

هذا التساؤل: هل ماتت الروح المصرية؛ حيث ينظر البعض إلى مصر والمصريين اليوم إلى حجم المعاناة التي تعيشها الأغلبية الساحقة من المصريين وإلى مدى الشعور في جميع مناحي الحياة ... إلخ؛ حيث يرصد الملامح الآتية:

١- إن مصر بلد قديم؛ بالغ القدم، يمتد تاريخه إلى أكثر من سبعة آلاف سنة، وإن اللحظة الراهنة ما هي سوى نقطة في محيط الوجود المصري المتسع والضارب في الأعماق، وأن عبقرية بلد هكذا لا يمكن أن تظل ظاهرة في أوج توهجها في كل لحظة.

٢- إن الحضارة المصرية القديمة تظل روحها حاضرة في شخصية كل مصري اليوم لأنها حضارة رائدة مزجت العلم بالسحر، والفن بالحياة، والرقص بالتعبد، والموسيقى بالترتيل في الفرح والحزن، في الميلاد، والأفات والموت؛ لأنها حضارة باهرة.

٣- إن الشخصية المصرية تتسم بالدفء الإنساني، وإنها تقوم بسرعة باختراق الحواجز وتصل مباشرة إلى (قلب الشخص الآخر).

٤- تتميز بالشغف بالحياة والضحك والمرح وعدم أخذ الأمور بجدية مبهمة.

٥- إن المصري بطبيعته تكون مسالمة (بالرغم من الصياح والملاسنة والغضب والثورة الانفعالية بين بعضهم البعض، إلا أنهم سرعان ما يتصالحون).

٦- النفاق والتحايل في بعض الأحوال وتتمثل في نفاق المصري - أحيانًا- لرؤسائه ولكل من هم في مواقع أعلى وأقوى، وإن المصري بارع في دغدغة مشاعر الآخرين بمدحهم وإرضائهم في المجاملة.

٧- أخيرًا، لا يخدعك صبر المصريين. صحيح إن المصري نادرًا ما يثور على أوضاعه الصعبة إلا حينما يتفاقم الوضع وتصبح الثورة هي

حياته الأخيرة. تحت غطاء الضعف والتعب والاغتراب الخارجي تكمن قوة تاريخية هائلة يستفزها المصري في الوقت المناسب لينتفض بها محققًا إنجازات إعجازية تبهر الناظرين.

(فرانسوا باسيلي، ٢٠٠٩)

(منتدى الكتاب العربي، الإنترنت)

وقد أفضت قليلاً في ذكر أهم محتويات هذا المقال نظرًا لأنه مغترب مصري، وأن رؤية الوطن وأنت بعيد عنه تختلف تمامًا عن رؤيتك له وأنت (منخرط) في أحداثه: ولعل هذه المسافة (المكانية والزمانية) بين الفرد ووطنه تجعل رؤيته للأحداث أكثر واقعية وموضوعية.

ونواصل ما كُتب عن الشخصية المصرية قبل اندلاع الثورة، فنجد عالم الاقتصاد والمفكر الكبير جلال أمين يفسر استكانة المصريين من خلال كتابه «ماذا حدث للمصريين» مستندًا إلى ربط الاقتصاد مع السياسة مع السمات السلوكية كالآتي:

١- في الماضي كان الرضا بالنصيب هو السائد في هذا الوقت

٢- في حين أنه في أواخر السبعينيات (من القرن الماضي) قد تغير الحال (نظرًا للصعود من المواطن لعمها السفر إلى الخارج وزيادة شراء الأجهزة الاستهلاكية، ولذا أخذ المصري يعمل من أجل سداد الأقساط).

٣- إنه نتيجة مشاعر الغبن والانهزام بدأنا نلاحظ وجود العديد من السلوكيات غير المتناسقة. مثال: ضابط شرطة يجد نفسه عاجزًا عن حماية أخته من الوقوع في حبائل رجل ذكي من رجال القطاع الخاص: وإن لم يكن شريفًا مالة بالمائة، (ويطلي أن الكاتب يقصد أحداث فيلم أهل القمة لنجيب محفوظ، حيث يرفض في البداية رجل الشرطة «عزت العلايلي» زواج شقيقته «سعاد حسني» من رجل

أعمال الفتور الشريف؛ لأن الضابط كان يعلم بدايات هذه الزوج غير الشريفة، ولكن نظراً لقوة الظروف يوافق في النهاية مضطراً)

٤- شيوع درجة من التساهل واللين في معاملة الآباء والأمهات لأولادهم لم تكن معهودة من قبل والخضوع لطلباتهم، والاهتمام باحتياجاتهم ونزواتهم ومظهرهم وأدائهم (المدرسي) على نحو كان يعتبر قبل (٣٠) عامًا من قبيل التدليل المفرط.

(جلال أمين: المصري اليوم ٨/ ٦/ ٢٠٠٩، ص١٩)

ولعل أهم شيء في رأي جلال أمين هو الربط بين التغيرات الاقتصادية وانعكاس ذلك على السلوك، وإن كان لم يقدم تفسيرًا للمحور الأخير (أي حرص الآباء على تلبية مطالب الأبناء بكل يسر وسهولة، فهذا من وجهة نظرنا يعود إلى العديد من الأمور نوجزها في الآتي:

١- شيوع درجة من (التفاخر) بالمظهر الخارجي، ولعل ذلك نلاحظه في حمل بعض الأفراد أكثر من جهاز محمول: فإن هذا للمظهر البراق حتى وإن كان مصادفًا، إلا أنه يحمل رسالة إلى الآخرين، بأنه (مسنود، وثري، وابن ناس (هاي)... إلخ، وهذا يعود عليه (بالنفع) وإثارة نظرات (التمني).

٢- إن الآباء الآن حريصون على أن (يعوضوا) أولادهم عما كانوا هم محرومين منه في الماضي. فلم تكن الحياة بهذه المظاهر والمقتنيات الموجودة بها الآن، وأصبحت أنت كالأب مطالب بأن تحضر لابنك أو ابنتك كمثال (جهاز محمول) حتى يتسنى لك الاتصال للاطمئنان عليها (أو عليه)، وهذا لا غبار عليه، لكن نلاحظ أن الشباب بدورهم أصبحوا حريصين أيضًا ولأسباب نفسية في المقام الأول أن (يحملوا) في أيديهم أحدث الأجهزة، وإلا تعرض للسخرية اللاذعة من قبل أقرانهم، كما أن جهاز المحمول غير المواكب لأحدث

الشقلبات بغية في إيصال رسالة (تلاعب سلبية) عن مكانة هذا الشخص الانفعالية والاجتماعية.

وإن كان الجانب الاقتصادي وربطه بالسلوك الإنساني يحتاج إلى وقفة أكثر تأنياً ليس هذا مقام مناقشتها تفصيلاً ولا حتى بإيجاز.

وفي تحليل لعالم الطب النفسي (أحمد شوقي العقباوي) للشخصية المصرية (من خلال حواره في المصري اليوم) نجده يلخص سمات الشخصية المصرية المعاصرة في المحاور الآتية:

١- إن السلطة التنفيذية لدينا (تتغول) على حساب السلطة التشريعية، وتأتمر مجالس الشعب بأمر الحكومة، فيما تقاوم السلطة القضائية محاولات (تجنيبها) ويظل رئيس الدولة هو الشخص فيما يحدث من مشكلات بين الجماهير والحكومة.

٢- عندما يقارن المصري بين نفسه وشعوب البلاد الأخرى مثل أمريكا وتايلاند يجد فيها قدراً أعلى من الديمقراطية والليبرالية، ويجد أنه تم (برمجته) مبكراً من المدرسة وحتى فشل على أن المحكوم لا سبيل له، ويخرج في أشكال لا تضر بالسلطة، ولكنه في إطار (التنفيس أو الترويح).

٣- نحن في العالم الثالث لسنا مواطنين، وإنما رعايا بعكس مفهوم المواطنة الذي نجده في أوروبا (خاصة في أعقاب الثورة الفرنسية) وإن مفهوم المواطنة والعقد الاجتماعي غير موجود لدينا في العالم العربي.

٤- إن الحكام في المنطقة العربية يستبدلون الذكاء والتمرس على الحكم، ويشبهون (الحاوي الشاطر) الذي يعرف كيفية ترويض حصان وحشي، وإن الأمن نزاعة للرعب والجماهير تتحرك في إطار السلطة التنفيذية (وإن كنا نرى في العالم العربي أن هذا الأمر لم يعد قائماً وإن الجماهير قد ثارت ضد الرعب السابغ عليه، ولذا فإن التاريخ يذكر

للشعب التونسي (ريادته) في كسر حاجز الخوف، واكتشاف زيف قهر وقوة وجبروت السلطة، بدليل أنه وقت كتابة هذه الأسطر تندلع العديد من الاحتجاجات المتواصلة في الكثير من البلاد العربية (ليبيا – اليمن – البحرين – العراق – المغرب – الأردن...) والقبة تأتي، وإن كانت الاحتجاجات لأسباب متنوعة؛ إلا أن الرغبة في العيش بكرامة، وفي إطار من الحرية والعدالة هي القاسم المشترك بين جميع هذه الاحتجاجات، رغم شراسة سلطة الدولة في (قمع) مثل هذه المطالب الشعبية المشروعة.

٥- تم (تدجين) الشعب المصري بسياسة تعبدية الحكمة لتحقيق الاستقرار، والاستقرار مرادف للموت، ويظهر ذلك في حالة الركود المجتمعي والذي تتضح آثاره في التعليم والثقافة والإعلام والاقتصاد والاستقرار يشير أيضاً إلى غياب الرغبة في التغير والديناميكية لخدمة الحكام

٦- يسعى الحاكم في مصر إلى (قتل أو موت) المقاومة لدى الشعب المصري من خلال منحه الأمل ثم تبني هذا الأمل، ثم إحباط هذا الأمل مجدداً، وهكذا حتى يتم تدجينه وخضوعه التام للسلطة

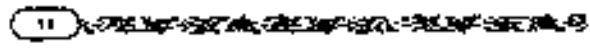
٧ إن تأليه الحاكم والسلطة شيء أساسي في حياتنا، ونعيش في دولة رخوة استقالت من دورها في توفير الاحتياجات الأساسية للشعب، وفي أعقاب التوجه الاقتصادي الحر، زاد الأغنياء غنى، والفقراء فقراً، وتم لحم الدولة الضعفاء من الأغنياء

٨- لكن رغم سياسة التدجين فإن البعض (يفنت) من ذلك ولكن غضبهم لا يوجهونه إلى السلطة؛ بل إلى بعضهم البعض

٩- قراءة في الواقع والماضي واستشراف المستقبل تجعلني غير متفائل.

(حوار مع د. شوقي العقباوي

المصري اليوم ٨/٦/٢٠٠٩، ص٧)



وقد تسابقت تنبؤات بعضي، ولم تصدق بعضها الآخر خاصة (اليأس) من إمكانية أن يثور المصري. واعترف أن هذا (اليأس) قد مس الكثير من المهتمين بالشأن والحال المصري... واتضح ذلك - فيما بعد - في ذكر الكثير من المحللين أنه قد (صُدم) حين حدثت الثورة: (أنها كانت بعيدة - حتى - عن أحلامه وخياله).

وفي محاولة لفهم الشخصية المصرية حاول د. خليل فاضل ذلك في مقالة: الشخصية المصرية في صحتها وعلتها، حيث ذكر أن الشخصية المصرية تتسم بالآتي

١ - المصري انبساطي بطبعه وهو أيضًا انطوائي، بمعنى آخر أن الظرف يخنق جوه النفسي العام من فرح ومرح وابتهاج، مع الأخذ في الاعتبار أن كل الشعوب ليست كذلك (مثال الشخصية الإنجليزية وغير ذلك).

٢ - المصري عاطفي - رومانسي في أمانيه وأحلامه، وخاصة حبه لمصر (رغم المنغصات).

٣ - المصري صبور وكأنه الجمل، يحب اجترار أحزانه وأفراحه، ويخاف من المستقبل .. ولكنه ينفجر فجأة

٤ - المصري طموح: يسعى ويجتهد ويفكر ويفشل، لكنه - أحيانًا - ما يُصاب بالبلادة نتيجة الإحباط المستمر والفشل المتكرر.

٥ - المصري يتفاعل مع البيئة المحيطة ويشارك فيها، يغني مع المغني، يرقص مع الراقص.

٦ - تهون على المصري نفسه جداً حينما يهون الوطن في المكان الذي يعمل به. المصري ممتد ورحب كالصحراء، وصحراؤه ليست قاحلة ولا تنجب أطلالاً، بل فيها رقة السماء

٧- قد يحدث خلل في الشخصية المصرية، وهذا مرتبط بوجود خلل في وظيفة الضبط الاجتماعي.

(خليل فاضل، ٢٠٠٦
موقعه الشخصي، الإنترنت)

ويلاحظ في هذه الدراسة أنها تحاول فهم الشخصية المصرية بالرغم من عدم ذكر الكاتب حالة التغير في الشخصية المصرية. وانعكاس ذلك في العديد من السلوكيات الشاذة... إنه باختصار مقال (ودراسة) تنفي بكل ما هو طيب وجميل في الشخصية المصرية.

ويقدم د. محمد المهدي نظرة فاحصة في محاولة لفهم الشخصية المصرية، راصداً العديد من السلوكيات مثل:

١- المصري لديه شعور بالانكسار والإذلال والشعور العميق بالظلم على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي.

٢- إن هذا الشعور بالظلم يخلق مشاعر الكآبة والحزن لدى المصري، وهذا يظهر في العديد من أمثاله الشعبية مثل (ربنا ما سواها إلا بالموت).

٣- المصري في كثير من مراحل تاريخه كان بين مطرقة الاستبداد وسندان الفقر، إضافة إلى خوفه من الحاكم المستبد ومحاولة تملقه، وهذا يظهر في العديد من الأمثال الشعبية مثل: «القوي عايب، والسحد لمقرد في زمنه».

٤- المصري يستخدم النكتة والنحلة لتخفيف من معاناته. فمن خلالها يستطيع أن يسخر من المستبدين به ويحبهم، ويقلل من هيبتهم، وهي وسيلة لتصريف العدوان والغضب، حتى لا يتراكم لديه ويدفعه إلى الثورة.

٥- الترجمية التي تحتيها السلطة على ذاتها مثال: حين نسمع نشرات الأخبار في التليفزيون المصري أو نقرأ الصحف المصرية سنجد مثل

هذه الأشياء: فالرئيس الأمريكي يشيد بحكمة القيادة المصرية ويتبنى وجهة نظرها في حل مشكلات الشرق الأوسط).

٦- انتشار الثقافة السمعية على الرغم من تعدد الكُتّاب والمفكرين والمثقفين في عصرنا لأن عادة القراءة ضعيفة جداً لدى عموم المصريين، فمن النادر أن نجد أناس وهم جالسون في وسائل المواصلات يقرأون كتاب.

٧- ضعف الإدارة الجماعية على الرغم من كثرة الكفاءات الفردية

٨- النظام الداخلي رغم الفوضى الظاهرة (أي النجاة من الكارثة المحلية وتوحيد الصفوف لعبورها).

٩- إن التفكير لدى المصريين يتسم بالآتي:

(أ) غلبة المشاعر والانفعالات على المنطق والموضوعية.

(ب) الموقف الرافض تجاه الأفكار الجديدة

(جـ) اللجوء للقوة أو الهجوم الشخصي للتعامل مع الأفكار بدلاً عن تفنيدها ودحض الحجة بالحجة

(د) شيوع الكثير من أخطاء التفكير مثل التعميم والتهويل والتهوين، والاستنباط التعسفي، والتفكير الخرافي

(هـ) ضعف الجوانب المعرفية خاصة، ضعف المعلومات

(و) أحادية التفكير بحيث يرى الموضوع من جانب واحد.

(ز) ضعف ملكة الفكر النقدي.

(ح) ثقافة (الكلام الكبير) دون الأفعال.

١٠- الهروب من المسئولية الشخصية ورمي الأشياء على شماعات خارجية.

١١- سمات التحضر: حيث تشير الشخصية المصرية في بعض من سماتها حيث يبدأ التحضر في أعلاه بصيغة إيجابية، ثم يتدرج إلى أن يصل إلى صفة سلبية مثل

(أ) من التسامح إلى التساهل إلى التسيب

(ب) من الكرم إلى الإسراف إلى السفه

(جـ) من المطاوعة إلى المسايرة ثم الخضوع.

(د) من حب الاستقرار إلى فرط الاستقرار إلى الجمود

(هـ) من الصبر إلى الرضا بأقل القليل إلى قلة الحيلة إلى التسليم

(و) من المرح إلى الصخب إلى الفوضى

(ز) من حب الحياة إلى الترف إلى الراحة إلى الكسل.

١٢- إن علاقته بالوقت غير منضبطة.

١٣- العشوائية المنتشرة في مناحي كثيرة من حياتنا

١٤- أزمة التذوق والجمال

أما عن أسس العلاج للشخصية المصرية فنقترح الآتي:

١- كشف أبعاد شخصية الفهلوي والبدء في تكوين اتجاهًا سلبيًا نحوه في وسائل الإعلام.

٢- كشف أنماط التدين الكاذب والكذب المنسي والتدين النفعي.

٣- بناء الشخصية المنتجة.

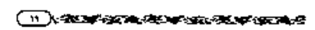
٤- القدرة على الاعتراف بالخطأ وتصحيحه

٥- العمل بروح الفريق.

٦- اكتساب مهارات حقيقية يحتاجها سوق العمل الحقيقي

٧- الإصلاح السياسي الجاد والحقيقي لإيجاد آليات تغلق الباب وإلى الأبد أمام الاستبداد السياسي.

(محمد المهدي: واحة النفس المطمئنة، الإنترنت ٢٠٠٨)



ويلاحظ في هذه الدراسة القيمة عدة أمور:

١- رجوع الباحث إلى العديد من المراجع التي تناولت بالدراسة والتحليل الشخصية المصرية.

٢- رصد العديد من (السلوكيات) التي يمكن ملاحظتها بدون سبب مفسر - في الشخصية المصرية المعاصرة.

٣- عدم تقديم تفسير نستطيع من خلاله استيعاب هذا الشتات في سمات الشخصية المصرية (والذي يبدو للوهلة الأولى) وكأن لا رابط بينه

٤- إن ما اقترح من علاج لا يتم هكذا بواقع نظري؛ ذلك لأن الكثير من (التوصيات العلاجية إن شئت الدقة) تحتاج إلى تغيير للواقع العقلي حتى يتواكب معه وربما يغير القدر (وأسرع) منه الكثير من السمات السلوكية.

وفي دراسة عن (رصد القيم في المجتمع المصري) وبتكليف من مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء المصري، قام بها مركز الدراسات المستقبلية، إشراف (الدكتور/ أحمد زايد (أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة) نجد يرصد الآتي:

١- شعور المواطن المصري بالظلم واليأس والإحباط.

٢- غياب العدالة.

٣- انعدام الثقة بين الشعب والحكومة.

٤- انحياز الدولة لرجال الأعمال وأصحاب النفوذ على حساب البسطاء

٥- إن زيادة أعداد الفقراء ومن يعيشون تحت خط الفقر دليل على الخلل الموجود في منظومة العدالة الاجتماعية.

٦- إن التغيرات التي شهدها المجتمع المصري تركت آثاراً كبيرة على سلوكيات المواطنين ومنظومة القيم وشكل الأطر الثقافية والاجتماعية.

٧- إن منظمات المجتمع المدني هي الأكثر قدرة على قيادة الإصلاح ومواجهة السلبيات شريطة تقديم نماذج جيدة تسعى للعمل التطوعي لا لتحقيق مكاسب شخصية، وأن تقدم نماذج حقيقية لإنكار الذات والتفاني في خدمة الوطن.

٨- توجد فجوة بين المعاملات والعبادات، أي لا يوجد تنسيق بين القول والفعل، فرغم أن التدين منتشر بشكل عام، إلا أنه تدين شكلي ولا يمس جوهر الدين الحقيقي والمعاملات بين الناس.

٩- إن السبيل إلى الإصلاح لابد أن يكون كليًا وليس جزئيًا، ويجب أن تكون هناك مراقبة لتنفيذ هذه المبادئ في كل قطاعات المجتمع والاهتمام بإصلاح النظم التعليمية، فدور المدرسة لا يجب أن يقتصر على تلقين المواد الدراسية، بل يجب عليها أن تمارس دورًا أكبر في تعليم التلاميذ السلوك الحسن والصدق والثقة في الحياة والدولة.

١٠- إن الدراسة أشارت إلى أن المواطن المصري قد دخل حقبة السبعينيات في ظل عدة متغيرات في القيم والسلوك في مقدمتها:

(أ) انتفاء قيمة العدالة.

(ب) انتفاء قيمة الخير والحب.

(جـ) تراجع قيمة القدوة.

(د) تراجع قيمة الإحساس بالأمان والطمأنينة.

(هـ) تراجع قيمة الأسرة.

(و) تراجع قيمة الانتماء للوطن.

(ز) تراجع قيم العلم والعمل.

١١- أما عن القيم التي سادت في المجتمع المصري من الخمسينيات إلى الثمانينيات، فقد رصدت الدراسة الآتي:

- في الخمسينيات سادت قيم المساواة الاجتماعية والمساواة.
- إن التوسع في التعليم قد ساعد على إزالة الحواجز الفاصلة بين الطبقات الاجتماعية خصوصًا في ظل مجانية التعليم الجامعي

– أما في السبعينيات والثمانينيات فقد سادت القيم الآتية:

- تسارع معدل الحراك الاجتماعي.
- اختلفت سياسة الدولة من التقييد إلى الانفتاح، ومن التدخل في شئون الاقتصاد إلى الانفراج والحرية، مما ساعد على بروز قيم الفردية والأنانية.
- ظهرت ثروات ساعدت على حدة الصعود والهبوط للطبقات الاجتماعية. فظهرت الشركات الانفتاحية والبنوك الخاصة، ومكاتب التصدير والاستيراد والمكاتب الاستشارية الأجنبية، وأصبح العمل في خدمة كل ما هو أجنبي طموحًا وتميزًا، ليس فقط على المستوى الرسمي، بل أيضًا على مستوى الثقافة الشعبية، وهو ما أدى إلى ظهور مؤشرات للتميز الاجتماعي، صاحبها اتجاه لاستخدام لغة الأجنبي وعاداته .
- زادت طموحات الأفراد واتجهت الأنظار نحو البحث عن جميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة للعمل في القطاع الخاص والأجنبي، الذي يدر دخلاً أعلى ومكانة أرفع، كما ساعد على ظهور قيم التملق والنفاق وإحلال الولاء محل الكفاءة في العمل.
- شهدت تلك المرحلة هجرات واسعة من جانب العمال والحرفيين المصريين إلى دول النفط (الخليج) مما أدى إلى:

(أ) تراجع قيم الاستقرار.

(ب) لم تعد الغربة (ذات قيمة) كما كان الحال في السابق.

(جـ) زيادة دخول فئات كثيرة سمحت لها بتغيير مراكزها في السلم الاجتماعي.

(د) زيادة حدة الطموح الاستهلاكي .

(هـ) الحرص على إثبات التميز الاجتماعي مما ساعد على ظهور المباهاة الاجتماعية والنهم في اقتناء الغالي والثمين.

(و) ساعد ما سبق على ظهور العديد من السلوكيات السلبية مثل بروز التعالي والأنانية

(ز) زادت السيولة النقدية بمعدل أكبر من الزيادة في السلع والخدمات

(ح) ظهور شرائح جديدة مثل: ملاك العقارات الجدد وأصحاب الملكيات الزراعية وأرباب الصناعة وتجار الجملة وأصحاب التصدير والاستيراد

(ط) إن الفئات أو الشرائح الجديدة تلك قد تقاطعوا مع شرائح أخرى كانت تنتمي إلى الطبقات الدنيا من الحرفيين: وعمال البناء والعمال الزراعيين الذين استفادوا - بدورهم - من ندرة العمل الناجمة عن الهجرة

(ك) إن كل ما سبق قد أسهم في ظهور الفساد بأشكاله المختلفة، وعلت قيمة الشطارة وانتهاز الفرص، ونمت العلاقات الشخصية بأصحاب النفوذ: وهانت الفضائل وقيم كثيرة مثل: احترام الكلمة، والتمسك بالكرامة الشخصية.

(ل) ظهور أنواع جديدة من الجرائم كانهيار العمارات حديثة البناء. وشيوع الرشوة وقتل الوالدين.

وإن كل ما سبق قد أدى إلى حدوث خلل في القيم الاجتماعية السائدة تجلى فيما يلي:

١ - انتشار الرموز التي تدل على الصعود الطبقي (المظهرية) أو (الفشخرة) إن جاز المصطلح .

٢ - الاندفاع في الاستهلاك.

٣- انتشار الاستثمار غير المنتج .

٤ - الإسراع في العائد والأقل في المخاطرة

٥ - التهرب من الضرائب لعدم الثقة في أداء السلطة .

٦ - ضعف التمسك بالأخلاق.

٧- تقدم قيم الشطارة (والفهلوة) واقتناص الفرص.

٨ - تفكك روابط الأسرة بسبب الحرص على الكسب السريع وتنامي التطلعات الطبقية.

٩- شيوع التغريب والتعلق بكل ما هو أجنبي في المظهر والسلوك .

١٠- تغير المناخ الثقافي وتدهوره - بالتالي - لغة التخاطب والتي دخلت عليها العامية المبتذلة والمفردات الإنجليزية.

- كشفت الدراسة أيضًا عن التحولات التي طرأت على الشخصية المصرية خلال العقود الأخيرة بسبب التحولات الجذرية التي طرأت على بنية المجتمع، حتى أنها أصبحت أكثر سلبية وعشوائية، وصارت أقل ثقة بالنفس أو أكثر اعتمادًا على الآخرين. ولجأت إلى تضخيم الذات والمبالغة في التعبير عن المشاعر، ناهيك عن التمركز حول الذات، وعدم المثابرة؛ مع الاستسلام للحماس المؤقت والانفعال وردود الأفعال.

(أحمد زايد «أشراف» القيم المصرية خلال خمسين عامًا، مركز الدراسات المستقبلية، كلية الآداب، جامعة القاهرة)

وقد تم الاستفاضة قليلاً في عرض أهم نتائج هذه الدراسة للأسباب الآتية:

١- إن هذه الدراسة تعد أول دراسة شاملة قد تناولت القيم في المجتمع المصري.

٢- إن هذه الدراسة قد شملت تقريبًا كل محافظات مصر.

٣- تم تمثيل مختلف الشرائح والفئات والتخصصات في المجتمع المصري

٤- إن هذه الدراسة قد أعدها مركز الدراسات المستقبلية بكلية الآداب ضمن سلسلة قضايا مستقبلية عن مركز المعلومات ودعم القرار التابع لمجلس الوزراء المصري.

٥ - إن هذه الدراسة قد أجريت في ضوء الرؤية المستقبلية لمصر عام ٢٠٢٠م:
يهدف استشراف بعض القضايا المثارة من خلال تحليل الوضع الحالي

٦ - أشرف على هذه الدراسة د. أحمد زايد (أستاذ علم الاجتماع بآداب القاهرة).

٧ - إن الدراسة قد حاولت التصدي للإجابة عن العديد من التساؤلات خاصة هذا السؤال المحوري. ماذا حدث للإنسان المصري؟ وما هو خلل المواطن في سلوكه ومنظومة قيمه؟ وما السبيل إلى علاجها

ورغم قدرة الدراسة على التشخيص إلا أنها عجزت عن ربط هذه القيم السلبية في المجتمع بالنظام السياسي والاقتصادي السائد. فمثلاً أشارت الدراسة إلى قيمة (التهرب من الضرائب)، دون أن تربط هذه القيمة (بعجز) أنظمة الدولة ممثلة في وزير ماليتها في كيفية جلب (الضرائب) من المواطن (المقهور) في حين أن هذا المواطن البسيط يعلم جيداً مدى الفساد في قطاعات أخرى كبيرة من المجتمع، وهم لا يدفعون - من الأساس - ضرائب.

بل إن المتتبع لأحوال (فرض الجباية أو الضرائب) يلحظ اهتمام الدولة المبالغ فيه (خاصة في الفترة الأخيرة - أي قبل اندلاع الثورة) في بث العديد من الإعلانات التليفزيونية (باستغلال ممثل كوميدي) حتى (يحض) المواطن على أخذ فاتورة (حتى وإن كان من الحلاق)، وأن (تفريطه) في مثل هذا الأمر سوف ينعكس عليه سلباً، ولم يقتصر الأمر على حد أخذ فاتورة من (الحلاق) بل يجب أن تأخذ فاتورة من أي تعاملات مهما كانت (لدرجة أن البعض قد سخر من هذا الوضع قائلاً: لو واحد حط إيده في إيد واحد للسلام عليه لابد أن يطالبه بفاتورة؛ لأن التهاون في مثل هذا الأمر سوف ينعكس سلباً على الخدمات التي تقدمها الدولة للمواطن).

كذلك لجوء الدولة أيضاً إلى التفنن في ضرائب ما أنزل الله بها من سلطان مثل الضريبة العقارية، مع الأخذ في الاعتبار - هكذا كتب وقيل -

بأن لديك سوف تزيد الضريبة لشقتك إن كانت تطل على شارع متسع، أو بجوارها شجرة أو عمود إنارة ... إلخ؛ لأن كل هذه المميزات سوف تزيد نسبة الضرائب المفروضة عليك. ثم (يا ويلك) لو كانت شقتك تقع أمام مستشفى استثماري أو (مول) تجاري، أو حتى مسرح أو دار سينما أو حي ملاهي أو حديقة عامة لأن مثل هذه (الخدمات التي لا دخل لك فيها بل لا تدرك ما الذي ساقك إلى السكن في مثل تلك الأماكن التي تجاورها مثل هذه الأشياء) فسوف تعظم منك المحنة المشكلة وتزيد عليك الضرائب

أيضًا أشارت الدراسة إلى قيمة (هوان الغربة نظرًا للهجرة المتزايدة إلى البلاد الأخرى وخاصة الدول النفطية) ثم تقدم الدراسة تفسيرًا متعمقًا لظهور هذه القيمة رغم أن المصري كان معروفًا بالاستقرار، وأنه كان مجرد الذهاب إلى الإسكندرية أو الصعيد (قديمًا) يعد من الأمور الجلل التي كان المصري يحسب حسابها.. ألم يقل المصريون في أمثالهم: (الغربة تربة). أي مقبرة، ولذا كان الدعاء دائمًا للمغترب (ربنا يرد غربته)، وإني الآن أجد الكثير من المصريين في الغربة يقضون غربتهم كما يشير إلى أنها شيء عظيم وليس هينًا. ألم يؤدي الفساد، والعفن، والرشوة، وسيطرة رأس المال، وحرمان المواطن من أبسط حقوقه، ولا يقضي حقوقه إلا بالدفع (ادفع تنجز).. إلخ. وكل ما سبق قد أدى بالمصري إلى الهجرة فرارًا من واقع هو يشعر في داخله أنه غريب عنه، مادام الحال هكذا، فلماذا (لا يغترب) في بلاد الآخرين.

وكان المصري تُهان كرامته في بلده، فلا غرابة لو أهينت هذه الكرامة في الغربة (على الأقل لها ثمن). بينما هو (يُهان) في كل لحظة في بلده وبدون ثمن.

ونكتفي بهذا القدر من التعليق على هذه الدراسة الهامة والتي كان نجاحها في (التشخيص) أكثر بكثير من (نجاحها) في العلاج.

وفي مقال يتحدث عن المصريين في الخارج نرصد الآتي:

١- كان المصري حتى وقت قريب يرتبط بالأرض ارتباطًا وثيقًا ومازال المصري عاطفي؛ إذ مهما طالت غربته فإنه حتمًا يعود مدفوعًا بالحنين وعوامل أخرى إلى وطنه.

٢- إن المصريين أخذوا في الهجرة في النصف الثاني من القرن العشرين أي بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م

٣- إن العلماء قد اصطلحوا على تقسيم الهجرة إلى

(أ) هجرة مؤقتة: وخاصة للعمال والحرفيين إلى دول الخليج.

(ب) هجرة دائمة. وخاصة للعلماء والباحثين ورجال الأعمال وخاصة إلى الدول الأوروبية وأمريكا.

٤- لا توجد بيانات إحصائية دقيقة لعدد المصريين في الخارج

٥- اهتمت الدولة (خاصة حين تولى حسني مبارك القيادة في مصر) في عام ١٩٨١م عندما تم إصدار قرار بإنشاء وزارة شئون الهجرة؛ إلا أن هذا الاهتمام قد خبا، وأن التشكيلات الوزارية التالية قد خلت من ذلك.

٦- إن قيمة التحويلات للمصريين في الخارج تمثل دخلاً لا بأس به للدولة المصرية من النقد الأجنبي (قدرت كمثال في عام ٢٠٠٠ بحوالي ٣,٧ مليار دولار).

٧- إن الهجرة كذلك توفر مصر حوالي (١٠٠) مليار جنيه كانت لازمة لتشغيل آلاف منهم لو لم يسافروا إلى الخارج.

٨- إن عددًا كبيرًا يقدر بالآلاف من علماء مصر وأبنائها المتميزين خارج أرض الوطن، ووفقًا لدراسة أجراها الباحثون في الجهاز المركزي للإحصاء والهجرة (عام ٢٠٠٨م) قد قدروا بنحو (٢٦٠٠٠) عالم وخبير مصري يشغلون أرقى المناصب العلمية في مجالات علمية مختلفة.

٩- إن هؤلاء العلماء قد قدموا خدمات جليلة للدول التي هاجروا إليها، وإن بعضهم قد حصل على جائزة نوبل (أحمد زويل، محمد البرادعي)

١٠- إن هؤلاء العلماء من الممكن أن يقدموا خدمات جليلة - أيضًا - لمصر لو طلب منهم ذلك .

(مازن حسن، ٢٣/٩/٢٠٠٩، مجلة المعرفة)

وفي محاولة لفهم الشخصية المصرية نجد البعض يجتهد من خلال محاولة الإجابة عن هذا التساؤل. ماذا حدث للمصري؟ ومن خلال الإجابة عن هذا التساؤل يقدم هذه المحاولة.

■ ما السمات الأكثر شيوعًا؟

١- غيور .

٢- يحسن الكلام في مقابل الفعل .

٣- يجاري الآخرين دون البحث عن نفسه (بلغة المصريين الدارجة مطية لأي حاكم) .

٤- الاتكالية

٥- الامتثال للقيم بناء على عوامل خارجية بمعنى الامتثال خوفًا من السلطة

■ ما السمات المتوسطة الشيوع؟

١- القلق .

٢- العناد .

■ ما السمات الأقل شيوعًا؟

١- كسول

٢- فوضوي .

٣- متسلط (فرعوني الجذور إذا حكم) .

٤- يغلب عليه التحزن .

٥- يميل للتفكير الخرافي .

٦- فاقد الثقة في الآخرين.

٧- انتهازي.

٨- معقد في علاقاته مع الآخرين .

٩- منطوي ، انعزالي .

١٠- تظهر عنده صفة الحقد بدرجة أقل .

* المصري من خلال سمات السلبية كما تظهر لدى بعض المفكرين:

١- كبت المشاعر .

٢- الاهتمام بالشكل عن المضمون.

٣- الهروب من المشكلات أو اللامسئولية .

٤- الفرعنة (أي إذا قدر تجبر وتفرعن) .

٥- الجمود والتصلب أكثر من المرونة

٦- السطحية في عدد من المشكلات .

٧- ثنائية التفكير (إما صح أو خطأ) .

٨- البعد عن الواقعية .

٩- الانغلاق نحو الذات .

١٠- الاغتراب (حتى وإن كان وسط الناس) .

* هل ملامح الشخصية المصرية ثابتة منذ بداية التاريخ أم أنها متغيرة تبعًا للمراحل التاريخية؟

هناك أربعة توجهات لهذا الموضوع

١- هي سمات ثابتة عبر تاريخنا وإن كانت تتشكل في بعض مراحلها، وهذا المنحى يعتمد على الماضي في ثبات الشخصية



٢- الشخصية نتاج الحاضر، وقد تتحول السلبيات إلى نقيضها في ثورة اجتماعية ذات جذور جديدة.

٣- منحنى يجمع بين الاتجاهين السابقين.

٤- منحنى يرى أنه لا يوجد ما يسمى بالشخصية المصرية، ولكنها الطبيعة المصرية؛ حيث يتم هاهنا التركيز على الخصائص التركيبة للمصري، مثل التعلق بالأسرة والجد والفكاهة والتدين الفطري، والارتباط بالأرض، وهكذا.

(سيد يوسف، ديسمبر ٢٠٠٦، مجلة أفكار علمية)

***

• خلاصة لنتائج الدراسات والملاحظات التي تناولت الشخصية المصرية:

وفي نهاية هذا العرض الذي حرصنا على ذكره من خلال الرجوع إلى الكتابات التي تمت عن الشخصية المصرية نخلص إلى:

١- إن الشخصية المصرية تكاد أن تكون هي الشخصية الوحيدة - بين شخصيات العالم العربي أو الأجنبي - التي كتب عنها الكثير من الدراسات والملاحظات والانطباعات، ولكن السر في هذا أن الشخصية المصرية قديمة قدم التاريخ. ولذا فإن هذا العمق التاريخي والفكري والنفسي لم يجعلها تخشى أو تخاف من مواجهة الذات.

٢- تكثر الكتابات عن الشخصية المصرية حين تمر بمرحلة انتكاسة في صفاتها من خلال الاستعمار أو حتى وجود حاكم مستبد، فتسلط ورؤية الآخرين يتصاعدون دون مقاومة، وهنا يثور التساؤل الأبدي والخالد: ماذا حدث للمصريين؟ فنشط الكتابة وإن كان معظمها - كما نرى ونستنتج إبان فترات المرض أو الانتكاسة - يميل إلى (جلد الذات) وتضخيم العيوب، ربما على حساب المميزات.

٣- إن الكثير من الكتابات التي يمكن رصدها - يبان بشرات المرض في الشخصية المصرية بنعتم بها التفاؤل والأمل في المستقبل (ولعل نظرة إلى ما تم استعراضه من دراسات ومقالات وحوارات سابقًا يؤكد هذه الملاحظة إلا فيما ندر).

٤- إن الكتابات تحاول أن تستنهض نواحي وتشخص (الحاضر) وتبرز الجسد (الذي تم ملاحظته ورصد أعراضه) يكون مريضًا فإن (كل الغضب والعدوان) ينصب على (الشخصية المصرية) وليس على (الحاكم) أو من تسبب في (مرض الشخصية المصرية ولو مؤقتًا).

٥- إن طول فترات السلطة والاستبداد وبجعل النخبة عاجزة من قراءة أو تبيهم هذه الدراسات. وهي من وجهة نظرنا عبارة عن قطرات يتلقاها (المصري) فتظل تتجمع في (إناء شخصيته) حتى (تفيض) الأمور بما لا يحمد عقباه (طبعًا من جهة السلطة).

٦- إن غالبية الكتابات ومن جميع التخصصات قد عجزت. لكن القراءة الصحيحة بالشخصية المصرية في سوائها وانحرافها، حيث التركيز - كما سبق وأشرنا - إلى الأعراض وليس إلى علامات الصحة الكامنة خلف هذا القناع.

أخيرًا، الشخصية المصرية بالضبط مثل البحر قد يبدو من النظرة السطحية هادئًا، ولا توجد أي حركة لأمواج أو ريح تعبث به. ولكن ما خفي البحر - إنما تحاشت هذا الهدوء الظاهري الذي قد يخدعك أو يجعلك تظن - أو حتى تعتقد - أنه الموات أو الموت للشخصية حتى تفاجأ بهذا الجسد العليل قد انتفض وهاج وماج وما ثار إلا لأنها الشخصية تحمل في طياتها تحضرًا وسلامًا وحبًا في الحياة، بدليل أن الثورة المصرية الأخيرة (يناير ٢٠١١) كانت سلمية.. وظل (الثائرون) محافظين على سلامهم الروحي والنفسي رغم محاولات السلطة (الغاشمة) في محاولة للقضاء عليهم وإخراجهم من

حالتهم النفسية التي تتسم بالسكينة تلك. فتاريخ الإنسان المصري الطويل مع استبداد كل المستعمرين الذين عبروا به وحاولوا إخضاعه وقهره، قد احتواهم المصري وجعلهم يرحلون وهم معجبون به وبصبره ودهائه وعدم (همجيته) وإنسانيته التي بلا حدود (حتى مع أعدائه) كما جعلهم في النهاية يحاولون (تقليده) والتظاهر - ولو سطحياً أو حتى من خلال الكلمات بالتمصر

ولعل المثال الحاضر إلى الذهن الآن تلك المحاولات الفرنسية المتعددة التي جاءت إلى مصر ولويس التاسع عشر في دار ابن لقمان بالمنصورة، وكذا حملة نابليون بونابرت. ومحاولة (مينو) التودد إلى المصريين والزواج منهم بالفعل.. رغم (بطشه) وهمجية الحملة الفرنسية، ثم يغلب الحال: فتصبح مصر ولعاً فرنسياً (وهذا اسم أحد الكتب الفرنسية)، ويتضح هذا في كم الإعجاب بكل ما هو مصري سواء في الماضي أو الحاضر

وأعتذر: فقبل هذا الكتاب كتبت كتاباً عن الشخصية المصرية كتبت فيه أن (أسبهم وأسب نفسي)؛ نظراً لأنني ضقت بهذا الصمت والموت وعدم رد الفعل إزاء جبروت الظلم والقهر الواقع علينا من قبل السلطة وأعوانها.. حتى كانت فرحتي ببرء الشخصية المصرية من أعراضها المرضية ووثوبها متعافية لحضن الحياة.

●●●



السلطة والمصريون



السلطة والمصريون

حين قال (هيرودوت) قديمًا: إن مصر هبة النيل، فكان يقصد - فيما يظن - أن النيل قد لعب دورًا أساسيًا في حياة المصريين، وأن الأنهار ذاتها - كما نعلم - تنشأ على ضفافها الحضارة والزراعة والاستقرار، وأن هذا النشاط أو المناشط تنعكس بلا شك على نفسية الأفراد، فوجدنا المصري يقدس الحياة الأسرية ويحترم الكبير، ويدين بالطاعة له.

وقد استدعى النيل وتوزيع المياه على الفلاحين أو القائمين على ضفاف النيل وجود (سلطة) تقوم بذلك، مما زرع في (نفوس) المصريين منذ هذه اللحظة، ضرورة إيجاد السلطة وضرورة طاعتها والتسامح إزاء عثراتها.

بيد أن الواقع والتاريخ يذكر لنا أن السلطة حين يطول بقاؤها فإنها تخضع (لعوامل متعددة) إلى التسلط وربما قهر المحكومين والتغاضي - في الكثير من الأحيان - عن حقوقهم المشروعة، لدرجة أن جبروت وقهر السلطة قد ارتبط (بالفرعنة) وظهر المثل الشعبي الجميل الذي يسامح المصريون للمحكومين آنذاك - ومازال هذا المثل - قاعدة أساسية تحكم العلاقة المتوترة بين الحاكم والمحكومين، وخلاصة هذا المثل: (**إيش فرعنك يا فرعون - قال ما لقتش حد يصدني أو يقف في طريقي**).

والتاريخ يعلمنا أن الحاكم - أي حاكم - في بداية حكمه يكون اتجاهه إيجابيًا تجاه الرعية، ويكون لديه مشاريع إصلاحية. بل يكون في قرارة نفسه قد وطن نفسه على إصلاحات سوف يقيمها على أرض الواقع، وأنه سوف يستمع بكل حب إلى أي (انتقادات) من المحكومين حتى يغير من أدائه..

ولكن حين تجتمع (بطانة السوء وحسنة المتأخر) فإنهم يبعدون الحاكم شيئًا فشيئًا عن الشعب ويقدمون له - إن شاء - تقارير كاذبة من أن الشعب ينعم بحمده، وأن الإصلاحات والمشاريع التي يقوم بها تجعل الجميع يخضعون له حبًا وطاعة.. وشيئًا فشيئًا ينعزل في (برجه المشيد) ويجد أن كل ما يطلبه رنا لا يطلبه طوع بنانه . وفي غمرة هذه الحياة الخرافية ينسى الشعب وينظر إليه من بعيد على أساس أنه مطية يستطيع ركوبها وقتما يشاء، أو يترجل منها وقتما يشاء. وهنا يستغل (حسنة المتأخر) هذه الحالة فيعبثون في الأرض فسادًا، ويمصون الثروات. ولا ينتبه الحاكم إلى ذلك. وحين تشتد الإحباطات بالشعب لدرجة أنه لا يجد قوت يومه، وأن حقوقه المشروعة إذا أراد الحصول عليها فإنه لابد أن (يرشوا) من بيده الأمر، وإلا فإنه يدخل في (جملة المماطلة وفوت علينا بكرة) . ويكون هذا لن يأتي على الإطلاق لأن بكرة يستدعي بكرة وحين يثور الشعب بعد أن تضيق وتختنق أموره وأحواله ويصبح التمسك بأهداب الحياة حلمًا يصعب مناله .. يتعجب الحاكم (المنفصل والمنعزل عن شعبه في برجه المشيد) لماذا يستنكر مثل هذه الثورات والاحتجاجات أو يدخل في العديد من الأدوار النفسية التي نريده بعدًا واغترابًا عن شعبه وعن نفسه وإلى بداية القصة مع السلطة من البداية. وتعد السلطة من الموضوعات الأساسية التي تلعب دورًا هامًا في حياة كل فرد. فكما أن الفرد لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين، بل لابد له من التواصل مع الآخرين بدرجة ما، وحتى في حالة عدم الحضور الفعلي للآخر كما بين ذلك التحليل النفسي ، نجد أن الفرد يتواصل مع الآخر على المستوى المتخيل الهنفس.

إلا أن غريزة الاجتماع هذه تلازمه منذ خروجه إلى الدنيا حتى رحيله، فما هو نفسه إلا وليد اجتماع بين ذكر وأنثى من البشر، وهو يدخل منذ

ولادته نبعاً بكونه من مجتمع صغير هو الأسرة؛ لأنه إلى رعاية الأم، وكفالة الأب. فإذا بلغ أشده واستوى فيما بعد ضرب في الأرض سعياً وراء الرزق مختلطاً بغيره من الناس في ذلك المجتمع الأكبر متبادلاً وإياهم النفع من مجموع ما يبذلون ويبذلون من نشاط».

(نجيب بكير، ١٩٨٨، ص٦٦)

كذلك استتبع وجود الفرد مع الآخرين وخضوعه للسلطة والتي تقوم بدور هام ورئيسي في عملية التشريع والضبط الاجتماعي، وجد كضرورة بدالة في تنظيم السلوك الاجتماعي والثقافي في الأشكال الأكثر بدائية وتقدمًا للحياة الإنسانية. فكما أن الفرد محاط بالغلاف الجوي، فهو أيضًا محاط من الميلاد إلى الوفاة بالضبط الاجتماعي، والذي ربما لا يكون مدركاً له ما لم تقوده تجربة غير عادية للتعرف عليه

(سعد محمد شاهين، ١٩٨٥، ص١)

ولكن منذ متى يبدأ الفرد بالشعور بالسلطة وضرورة طاعتها أو حتى التمرد عليها؟

والإجابة: إنه يكاد يجمع علماء النفس اليوم على أن السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل تلعب دورًا حاسمًا ورئيسًا في تشكيل شخصيته أو فيها توضع بذور الصحة والمرض وليس هذا فحسب، بل لقد اتضح أن العواطف والاتجاهات الأولى التي تتكون لديه في هذه المرحلة تكون ذات أثر عميق باقٍ في تعيين موقفه من المجتمع وفي تشكيل نظرته العامة إلى الدنيا فمن نشأ في بيئة عدوانية ولم يشعر بالصداقة أينما ذهب، ومن نشأ على تربية قوامها الاستقلال وسوء المعاملة توقع هذا من المجتمع وتصرف وفقًا لما يتوقعه من المجتمع، ومن كانت صلاته بوالديه في هذه المرحلة كما يجوب دون صحبة

واحترامه وجد كل صلاته بالكبار أو من يمثلون السلطة والنفوذ صلات عسيرة يغشاها التحدي أو العدوان

(أحمد عزت راجح: ١٩٥٨: ص ٦١)

وإذا نظرنا إلى الفرد وجدناه بحكم فترة طفولته الكبيرة نسبيًا يكون أكثر اعتمادًا على والديه ومن هم أكبر منه في مجتمعه، نحن نعتمد على الكبار في إطعامنا وفي حمايتنا من كافة الأخطار التي تحيق بنا، نتيجة لمدة طفولتنا الطويلة نحن جميعًا نتعلم بعض التصرفات الاجتماعية الخصوصية، ونكون نظرًا للخبرات المتنوعة فنحن لا نتعلم جميعًا تصرفات واحدة... فالأم هي مصدر السلطة بالنسبة للطفل، وهي أيضًا مصدر الإشباع لحاجاته، وأول موضوع لحبه، والاستمالة لا الإجبار – كما يقول ميرتن Merton – هي أساس السلطة.

(جورس ب إنجلش، ١٩٧٤، ص ١٠٠)

كما أن السلطة الوالدية تعد أولى مصادر التشريع في واقع الفرد، تلك التي يستدمج صورتها الطفل ويتوحد بها وبأوامرها ونواهيها في البدايات الأولى لوجوده. وبغض النظر عما تتسم به هذه النماذج السلطوية من مظاهر قهر وعنف، أو مظاهر مرونة وتسامح، فهي في النهاية جهاز يهيمن على تنظيم سلوك الطفل ويؤهله لمواجهة مصادر السلطة والتشريع القائمة في الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الأشمل خاصة وأن هذه التشريعات التي يرجعونها إلى نفوس أبنائهم هي محصلة ما تم رصده من قيم ومعايير خلقية وأحكام دينية وعقلانية. وكأن القمع الذي يمارسه الآباء في إحكام قبضتهم على أبنائهم يعبر عما يستشعرونه – هم – من قهر الواقع الاجتماعي والسياسي عليهم ومن ثم ينتقل إلى أبنائهم عبر عمليات التنشئة الاجتماعية.

(مجدة أحمد محمود، ١٩٨٥، ص ٤٠)

كما أن مفهوم السلطة من المفاهيم الأساسية، والتي يختلف شكلها من مجتمع إلى آخر، حيث يختلف شكل السلطة من مجتمع الصيد عن شكلها في المجتمع الرعوي أو الزراعي أو الصناعي، وهكذا.

■ قانون تطور السلطة:

وقانون تطور السلطة ذو أبعاد ثلاثة هي:

البعد الأول: من الجزئية إلى التركيز، في سلطة أسرية محددة إلى سلطة شاملة للمجتمع ككل .

البعد الثاني: من العيانية إلى التجريد: في سلطة مباشرة للأب إلى سلطة مجردة تتمثل في المثل والدستور أو الحزب أو حتى في المعتقد.

البعد الثالث: من الفعلية إلى المعنوية: في سلطة فعلية للأب إلى سلطة معنوية يخضع بها الفرد، ويمارسها رئيس الدولة من خلال سلسلة من الوظائف الوسيطة.

(أحمد مالك، ١٩٨٢، ص ٢١٦)

ومن هنا فإن للمجتمع قد أسس مجموعة من القوانين على جميع الأفراد الالتزام بها، ومن هنا فإن الخروج على هذه القوانين يعد جريمة لأنه عدم أو عدم اعتراف بسلطة المجتمع.

بيد أن السلطة في جميع الأحوال لا تكون كما ينبغي، ولذا فإن الأفراد قد يترسب في أعماقهم العديد من الاتجاهات السلبية والعدوانية تجاه السلطة، وعلى كل من يمثلها خاصة رجال الشرطة أو البوليس

(محمد حسن غانم ١٩٩٠)

والاهتمام بالسلطة ومحاولة فهم ديناميتها ليس وليد هذا العصر، بل إن الاهتمام بالسلطة ومحاولة سبر أغوارها قديم قدم الوجود الإنساني خاصة إذا عرفنا أن السلطة تحيط بالفرد منذ أن يولد، وتفرض عليه الأوامر والنواهي وقد تعاقبه إن حاول التمرد عليها، وأن الآباء والمدرسين لا يتخذون الأمراء بالصدفة والعشوائية، بل يلتزمون بالعديد من المعايير السائدة والتي تحددها السلطة الأساسية أي سلطة الحاكم.

♦ السلطة وموقف بعض الاتجاهات منها

سوف نحاول في عجالة سريعة ذكر بعض الاتجاهات والآراء حول السلطة حتى يزداد وعينا بها.

١- موقف أصحاب نظرية التحليل النفسي ومؤيديه من السلطة:

يرى فرويد Freud وأتباعه أن السلطة في الأساس هي السلطة الوالدية، وإن فشل الطفل في إقامة علاقة حسنة بينه وبين والديه يؤدي إلى نتائج سلبية قد تمتد وتنعكس على كافة أشكال ونماذج السلطة فيما بعد.

حيث إن الطفل - كمثال - إن عجز عن اجتياز هذه المرحلة - والتي يطلق عليها التحليل النفسي الأوديبية نسبة إلى أسطورة أوديب ذلك الرجل الذي تمرد على سلطة الأب وقتله دون أن يعرف أنه أباه وتزوج من أمه دون أن يعرف أنها أمه - فإنه يظل طوال حياته متعلقاً تعلقاً شاذاً بأمه (أو زوجته فيما بعد؛ لأن الزوجة تكون انعكاساً لصورة الأم)

وقد تؤدي هذه العلاقة الشائكة والشاذة وغير الطبيعية - إلى إمكانية رفض هذا الفرد للزواج، وإذا تزوج فإنه قد يُصاب بالعنة (أي الارتخاء العضوي) ويصبح معرضاً للشذوذ أو الانحراف الجنسي، كما أنه يظل في

كره وخصام دائم - ظاهراً أو باطناً - مع أبيه، أو مع أي فرد يمثل الأب في نظره، أو من الرؤساء، أو من بيدهم السلطة والنفوذ.

(أحمد عزت راجح، ١٩٥٨، ص ٦٦-٦٧)

ويضيف إلى ما سبق أستاذ الطب النفسي الراحل د. محمد شعلان إلى جانب السلطة الوالدية سلطة الأساتذة في المدرسة أو المعلمين، وكذلك سلطة الرؤساء أو المرشحين (طبقًا للانتخابات في أي مجالس سواء أكانت مجالس محلية أو شعب أو شورى أو أي مجالس سمها ما شئت).

(محمد شعلان، ١٩٧٧، ص ص ٤١-٤٥)

وهو نفس ما ذهب إليه (هوراس. ب. إنجلش) والذي أكد على السلطة الوالدية، وسلطة الأساتذة في المدرسة (أو حتى في الجامعة).

(هوراس ب. إنجلش، ١٩٧٥، ص ص ١٠٩-١١٧)

٢- موقف الفرويديين الجدد من السلطة:

نعرف أن الفرويديين الجدد قد خرجوا على فرويد (لأسباب كثيرة يطول شرحها وليس هذا وقتها).

فعلى سبيل المثال نلخص كارن هورني K. Horney موقفها في المحاور الآتية:

- إن عقدة أوديب وغيرها من المظاهر لا توجد إلا في المجتمعات التي تشتد فيها سلطة الأب وسيطرته، فهذه السيطرة هي التي تؤدي إلى إظهار الموقف الأوديبي عند الطفل تجاه الأم.

- كما أن السلطة الوالدية - أيضًا - تستطيع أن تفسر لنا الظاهرة الماسوشية (أي تلقي العذاب والآلام في صمت وبلا اعتراض) في المرأة، ففي المجتمعات التي يتسلط فيها الأب ويسود ولا تستطيع المرأة أن تعبر عن

نزعاتها العدوانية، ومن ثم فإن الماسوشية محاولة للحصول على الثقة والأمان في الحياة من خلال الاعتماد والخضوع (أو حتى التبعية) للآخرين.

- كما أن السلطة الأبوية المطلقة تجعل الطفل (أو أي فرد يعيش في رحاب أو كنف هذا المجتمع) يشعر بأنه من المحتم عليه أن يخضع خضوعًا تامًا لكل ما يصدر إليه من أوامر ونواهي، من أجل أن يعيش في هدوء وأمن)

(يوسف الخجاجي، ١٩٨٦، ص ص ١٥٠-١٤٩)

في حين نجد أن إريك فروم Erich - Fromm يفرق بين السلطة والتسلطية حينما يميز بين نوعين من السلطة هما

١ - السلطة الرشيدة Rational - Authority

٢ - السلطة المثبطة Inhibition - Authority

وللمقارنة بين هذين النوعين يعطينا فروم مثالين هما: العلاقة بين التلميذ وأستاذه، والعلاقة بين العبد وسيده.

(عبد الستار إبراهيم، ١٩٦٢، ص ص ١٨-١٩)

وإذا كان فروم يعود فيرى أن مفهوم السلطة مفهوم عريض ومتسع، فنحن جميعًا نمارس السلطة على الأقل في مرحلة معينة من حياتنا: فكل من ينجب أطفالاً لابد أن يمارس السلطة أراد أم لم يرد.

كما أن ممارسة السلطة يختلف تبعًا للبناء الاقتصادي والاجتماعي وشكل النشاط السائد في هذا المجتمع: فالسلطة في مجتمع الصيد غير السلطة في المجتمع الزراعي وهكذا

(إريك فروم، ١٩٨٩ : ص ص ٥٧-٦٠)

٢ - موقف بعض الاتجاهات في علم الاجتماع من السلطة:

موقف ابن خلدون:

يرى ابن خلدون أن البشر في حاجة إلى السلطة، فالحكم طبيعي في الإنسان لما فيه من طبيعة الاجتماع، وإن العمران البشري لابد له من سياسة ينتظم بها أمره.

ثم يتحدث ابن خلدون عن كيفية قيام الحكومات أو السلطات في البداية ثم يسرد الأسباب التي تؤدي إلى انهيارها ملخصاً هذه العوامل إلى ثلاثة أسباب هي

١- الانغماس في الترف.

٢- سيطرة ولاة الأعمال على الدولة

٣- ظهور طبقة مسيطرة تراعي مصلحة السلطان، وكيف يستقيم له الملك مع القهر

(من خلال: محمد أحمد بيومي، ١٩٨١، ص ص ٦٠-٦١)

موقف ماكس فيبر من السلطة:

فرّق ماكس فيبر عالم الاجتماع الكبير بين ثلاثة أشكال من السلطة هي:

١- **السلطة العقلانية:** حيث يكون الاعتماد في هذا النوع من السلطة على قواعد معينة يعتقد بها الأفراد والشخص الذي يأتي إلى السلطة استنادًا إلى هذه القواعد هو الذي يملك الشرعية في الحكم، وقد تتمثل هذه القواعد بنصوص دستور أو قواعد معينة يؤمن بها الأفراد.

٢- **السلطة الكاريزمية:** وتقوم هذه النوعية من السلطة على أساس وجود شخص يمتلك صفات معينة قد تكون خارقة يؤمن بها الأفراد المحكومين، وقد تكون هذه الصفات روحية - دينية أو عسكرية أو ذهنية .... وهكذا.

٣- **السلطة التقليدية:** وهي التي ترتكز على الاعتقاد في قدسية التقاليد وشرعية المكانة التي يحتلها أولئك الذين يشغلون الأوضاع الاجتماعية الممثلة

للسلطة المستندة إلى التقاليد، كالسلطة الأبوية، وسلطة رئيس القبيلة، وسلطة الأمير أو الملك، تمثل أنواعاً مختلفة للسلطة التقليدية.

(علي عبد الرازق الجلبي، ١٩٧٠، ص ص ١١٦-١٢٥)

تلك كانت باختصار أبرز ما كتب وقيل حول مفهوم السلطة. واتضح كما سبق - أن السلطة هامة وضرورية في تسيير نظام المجتمع من خلال آليات القانون الذي يجب أن يطبقه على الجميع بلا استثناء.

♦ موقف الشخصية المصرية من السلطة ورموزها بصفة عامة:

في دراسة ميدانية لكاتب هذه السطور (١٩٩٠) تناول مجموعتين من الأفراد (ذكور وإناث) عينة قد ارتكبت جرائم متعددة (قتل - سرقة - قتل - بغاء - مخدرات)، وأدى ذلك بهم إلى دخولهم السجن، في مقابل مجموعة أخرى من الذكور والإناث لم ترتكب أي جريمة، وبالتالي لم تدخل السجن.

وفيما يلي ملخصاً لموقف العينة الضابطة (٢٠٠ فرد، مئة من الذكور، ومئة أخرى من الإناث)، وكانت الأداة (وسيلة إسقاطية) حتى يتم من خلالها التوصل إلى (سبر أعماق الشخصية).

■ مجمل عام لديناميات صورة السلطة لدى المجموعة الضابطة (ذكور/ إناث):

أولاً: السلطة الوالدية:

أ- الأب: حيث اتسمت صورته بالحب والاحترام والتفاهم واتخاذه مثالاً وقدوة لهم.

ب- الأم: اتسمت صورتها بالحب، وكيف أنها تلبي مطالب أولادها المعقولة، وأنها متدينة، ولا تفرق بين أولادها في المعاملة، وأن الكل من أولادها على قدم المساواة.

جـ- الأخ الأكبر اتسم بالعطف والاحترام واتخاذه مثلاً أعلى بعد الأب (خاصة إن كان كبيراً في السن).

ثانيا: السلطة التعليمية.

أ- سلطة المدرس: اتسم بالاحترام وأنه قدوة لتلاميذه، وإن كان يوجه إلى الكثير منهم انتقادات حادة نظراً لإجبارهم الطلاب على أخذ دروس خصوصية (حتى وإن كانت بالقوة والإجبار)

ب- سلطة الناظر: هو بديل للأب ومتحمل للمسئولية، وقدوة لتلاميذه، وأنه ديمقراطي. يتناقش معهم. ويقترب منهم، وإن كان هذا لا يمنع من وجود (تنازع) سلطة منهم تكون مهمتهم العقاب فقط أو إصدار الأوامر

ثالثا: السلطة الدينية:

حيث العلاقة الإيجابية بالله، وكذلك بالدين. وقد انعكس ذلك إيجابياً من خلال (معيار) أداء العبادات.

رابعا: السلطة القانونية:

تصبح الاحترام للقانون، وأنه بدون القانون ستزداد الفوضى والإجرام، ولا نستطيع أن نتصور وجود مجتمع بدون قانون، والخضوع للقانون هو خضوع للواقع ومقتضياته.

خامسا: سلطة الشرطة:

اقتربت نسبة الاستجابات الإيجابية من الاستجابات المضادة لدى عينة (الذكور فقط) وقد فسرنا ذلك بتعسف البوليس في الاعتقال، علاوة على تطبيق قانون الطوارئ والذي قد يؤدي إلى حالة من الخوف وانعدام

الاضطرابات، وإن كانت بعض الاستجابات لا تنكر دور البوليس في القبض على المجرمين وتوفير الأمن للمجتمع .

سادساً: السلطة القضائية:

حيث اتسم القاضي بأنه يحكم بالعدل، وأنه يتحرى على الطرف من أجل أن يكون مطمئناً إلى حكمه، بل ذهب البعض إلى وصف القاضي بأنه ظل (عدل الله في الأرض) .

سابعاً: صورة السلطة بصفة عامة:

توجد استجابات إيجابية وأخرى سلبية تجاه السلطة (وما يرتبط بها من مفاهيم)، وقد فسرنا ذلك بأنه لا توجد سلطة بدرجة مثالية، وإنما لابد أن يكون لها بعض المثالب. لكن الفارق الأساسي يظل قائماً بين أفراد المجموعة الضابطة وأفراد المجموعة التجريبية (التي ارتكبت جرائم أدت بها إلى دخول السجن)، من حيث خضوع المجموعة الأولى للوائح وقوانينه، وخضوع أفراد المجموعة التجريبية لنزواتهم دون ضابط أو رابط.

(محمد حسن غانم، ١٩٩٠)

■ السلطة والشرطة:

نلاحظ – بصفة عامة – أن السلطة في مصر، وعالمنا العربي تعطي اهتماماً بالغاً من قبل السلطة بتسليح الشرطة، وذلك لقمع المتظاهرين أو المحتجين، في حين أننا لا نجد هذا الاهتمام ربما بالقوات المسلحة، وذلك لأن (العدو الخارجي) من الممكن إقامة التحالفات والمعاهدات معه ومغازلته، بل والاستجابة لكل مطالبه حتى وإن كانت غير مشروعة، وكذا تقديم الخدمات له ربما بدون مقابل أو بمقابل هزيل (بيع الغاز الطبيعي لإسرائيل بأسعار بخسة

وبأقل من مثيلاتها العالمية)، ولا أدري حتى هذه اللحظة ما الذي كان يضطر القيادة في مصر إلى عمل ذلك، والغير هذا هو ممكنًا للشعب وليس ممكنًا لمقاتلة رئيسها، وبالتالي فإن السلطة السياسية تلجأ إلى تقوية سلاح الشرطة، بل وإدخال العديد من الأقسام والتخصصات الجديدة عليه مثل:

- قوة مكافحة الشغب.
- قوة الأمن المركزي.
- القناصة.
- قوة أمن الدولة.
- زيادة قوة وتعدد المباحث.

وغيرها من الأقسام والتخصصات التي ربما سوف يكشف عنها النقاب فيما بعد، ناهيك عن العديد من الأسلحة والوسائل والأكثر دموية وعنفًا، والتي تستخدم لقمع المتظاهرين (أو المشاغبين كما يصفهم النظام) أو (الخوارج والقطط والجرائيم - كما يصفهم القذافي في وصفه لانتفاضة شعبه على حكمه) أو مؤامرة من الخارج، أو عملاء لجهات أجنبية كما يصفهم كل حاكم لا يريد أن يتنازل عن كرسي السلطة.

ولذا فإن الصورة التي رسخت في الأذهان - نظراً لسنوات القهر والاستبداد والتعسف في استخدام القوة كانت سلبية فيما يتعلق بالشرطة

ورغم أن الدراسة التي أجريتها كتب هذه السطور تمت مناقشتها عام ١٩٩٠م (أي قبل أن تستفحل الشرطة ويشتد استبدادها)، إلا أن الاستجابات حتى من جانب المجموعة الضابطة أي التي لم ترتكب جريمة، وبالتالي لم تدخل السجن أي لم تحتك بها في العمق، كانت استجاباتها كالآتي تجاه الشرطة:

♦ الموقف من الشرطة:

- مرتشون.
- أكرههم جدًا.
- يتواطئ البوليس مع المجرمين (أحيانًا).
- عندما نتعامل معهم نشعر بالظلم.
- أهم حاجة عندهم عمل المحاضر وتلفيق التهم.
- يتكبرون على الناس (نظام فرعنة).
- عندما تحدث جريمة يأخذون عاطل على باطل.

وقد تم تفسير هذه الاستجابات العدائية (والتي اتفق فيها الذكور مع الإناث) في عدة نقاط:

أولاً: إن معاملة السلطة للأفراد العاديين في المجتمعات المتخلفة لها طابع معين، ويلخص لنا مصطفى حجازي هذا الوضع قائلاً: "إن ممارسة السلطة فيما يتعلق بالشرطة والأمن وخلافهما من أجهزة يتخذ صورة التصادي بالمعتدي أفصح صورة. وهناك سلسلة متصلة الحلقات من تراتب الرضوخ والتسلط، ومن مظاهر التسلط والقهر ممارسته على العناصر الأضعف فالخفير يتعالى ويتسلط على الفلاح البائس، بينما يرضخ للعمدة. وهذا الأخير يتسلط في معاملة الخفير بينما يستكين تجاه المأمور وهكذا. وليس أشد قسوة وعنتًا من الشرطي الذي كان مستضعفًا ومسحوقًا قبل دخوله سلك الشرطة. إنه يتحول من إنسان مهدد إلى مستبد يتشفى من لا زالوا مستضعفين يصب عليهم كل حنقه وحقده: فالمراكم في حالة من التنكر التام لانتمائه.. ناهيك عن إهانة كرامة المواطن والنيل منه، وناهيك - أيضًا - عن التلذذ في عمليات التعذيب والإيذاء الجسدي أثناء التحقيق؛ وهي أمور لا تمت بصلة

إلى ما تفرضه القوانين من علاقات وأساليب تعامل. إن في ذلك تعسفًا واضحًا، وإن فيه تفريغًا للعدوانية المتراكمة نتيجة القهر المزمن الذي تعرض له هؤلاء قبل أن يحتلوا مناصبهم كأدوات متسلطة. إن التلذذ في مهانة الإنسان المستضعف والبطش به تحت ستار محاسبة دقيقة أضفاها على الأمر يشير إلى التمادي بعدوان المتسلط، كأسلوب وحيد في الخلاص السحري من المهانة الذاتية التي تنخر حياته الحميمة لتحول ما تعرض له من قهر إلى فرض القهر ويمارس المهانة على الآخرين بنفس القدر الذي عانى منهما سابقًا، ولا زال يعاني منهما حاليًا في علاقته برؤسائه.

(مصطفى حجازي، ١٩٧٦، ص ص ١٩٧-١٩٨)

ثانيًا: إننا منذ بداية الثمانينيات - حتى ما بعد تخلي الرئيس حسني مبارك عن السلطة مضطرًا - ونحن نعيش في ظل قوانين استثنائية (طوارئ) خاصة في أعقاب اغتيال الرئيس السابق محمد أنور السادات، ويكفي حسني مبارك فخرًا أنه لم يحكم مصر بدون هذا القانون، رغم أنه قد ذكر في برنامجه الانتخابي (أهو كلام والسلام) أنه سوف يستبدل قانون الطوارئ بقانون آخر أسماه قانون مكافحة الإرهاب (ويبدو أن ترزية القوانين قد وجدوا أن شوكة ومكانة قانون الطوارئ أقوى بكثير من ذلك القانون المزعوم فصرف النظر عنه) إلا أنه ظل يحكمنا بهذا القانون، بل وقبل (خلعه) بعدة أسابيع أصدر - بصفته الحاكم العسكري - قانون حظر التجول (والحق يقال إنني لم ألحظ أحدًا من الناس قد عبأ بهذا القانون - حظر التجول - بدليل وجود عشرات الآلاف من الناس في التحرير، وكذا اللجان الشعبية التي تم تشكيلها لحماية البيوت والممتلكات، بعد انسحاب الشرطة المريب يوم ٢٨/١/٢٠١١، وكذلك إصدار أوامر للمسجونين بالخروج حتى يعيثوا في الأرض فسادًا وقتلاً وتدميرًا واغتصابًا، ولكن كما لم تحسب السلطة لهذا فإن هذا الموقف قد أدى إلى (وحدة الشعب) وتماسكه

وطبقًا لقانون الطوارئ به الكثير من التجاوزات والتي تجيز لضابط الشرطة أن يقبض على أي شخص، بل ويلقي به في السجن دون تهمة واضحة، مما يجعله قانونًا - بحق - سيئ السمعة، كما أنه مسيء أيضًا إلى الذين يستخدمونه طوال تلك السنوات (٣٠ عامًا) ويحتجون بأنه واجهة لمثل مصر مستهدفة من الخارج والداخل، وطبعًا مهرات معظم الشعب يولقون

ثالثًا: إن البوليس لا يحترم في الكثير من الأحيان الأحكام القضائية، إذ يحكم القاضي على شخص بالبراءة، في حين أن البوليس يكون في انتظار هذا الشخص أمام المحكمة حتى يعيد إلقاء القبض عليه، لدرجة أن وزير الداخلية تولى الوزارة في مصر وكان مثالاً للتسلط والجبروت، علق على ذلك قائلاً: القاضي يحكم بما يراه من واقع الأوراق، ونحن أيضًا نتخذ من الإجراءات وفقًا لما نراه، ولذلك أنا أعترف أننا نعيد إلقاء القبض على الأفراد بمجرد خروجهم من باب المحكمة ونعيدهم مرة أخرى إلى السجن وهذا حقنا.

لكن ماذا كتب عن السلطة في مصر خاصة في الفترة الأخيرة أي قبيل اندلاع الثورة:

في تحليله النفسي لمن يجلس على كرسي السلطة لفترة طويلة وتأثير هذه الفترة من الناحية النفسية عليه ذكر أحمد عكاشة الآتي:

- هناك علاقة وطيدة بين التغيير المستمر في سمات الشخصية وطول وجود الإنسان في السلطة، فسلوك الإنسان عندما يعرف أنه لن يستمر في منصبه، سواء في تعاملاته مع الناس واحترامه لهم، واحترام آراء الآخرين، ومع طول مدة السلطة يحدث جمود في الفكر وعدم قدرة على التغيير والإحساس بالتوحد مع المكان.

- إن رئيس الجمهورية مع طول بقائه في منصبه يأتي عليه إحساس بأنه لايعمل لمصلحة الشعب، وإنما يعمل للبقاء في الحكم أكبر مدة ممكنة، فيُسخِّر الأجهزة الأمنية والوزارات السيادية لخدمة بقاءه في الحكم.
- إن استمراره فترة طويلة في الحكم يجعله يشك فيمن حوله، متخيلاً أن الكل يحاول الوصول إليه بهدف قتله واغتياله، وأن من حوله يدبرون المكائد والمؤامرات للخلاص منه وقتله. وتصبح نصف منظومته الفكرية في حياته عن كيفية الهروب من الاغتيال والقتل، وهذا من الممكن أن ينتهي به إلى أمراض عقلية كما حدث لستالين في أواخر أيامه، وعندما تم فحصه ونصحه الأطباء النفسيون بالعلاج أمر بإعدامهم.
- والملاحظ أن في الطب النفسي ما يؤكد أن من يستمر في السلطة فترة طويلة يحدث تغيير تام في شخصيته تكون غير قابلة للعلاج، لذا اتجهت معظم دساتير العالم إلى عدم الامتداد إطلاقاً أكثر من ولايتين في الحكم.

(أحمد عكاشة، ٣٠/ ٥/ ٢٠٠٦، حوار، المصري اليوم)

ولذا فإن الحاكم الإله صنع في مصر (على حد ملف المصري اليوم):

- إذ إن الألوهية لم تكن تلك الصفة مجرد تعبير مجازي يشار به إلى المكانة التي اعتاد المصريون إعطاءها للحاكم على مر العصور. لكنها كانت أشبه بالعقيدة التي آمن المصريون بأهميتها في علاقتهم به فخلدوه ويجلوه واعتبروه أحد الرموز التي لا يمكن المساس بها.
- حتى إذا اختلف المصريون مع الحاكم وثاروا عليه في بعض الأحيان إلا أن تأليه الحاكم ظل قائمًا برغم كل أخطائه واستبداده.
- الملك في مصر الفرعونية كان هو الإله الذي يأمر وينهى ويعطي ويحرم، وهو في الواقع كان القادر على أن يهب الحياة لمحكوميه أو

ينهيها بإشارة منه (قادر على الحياة والموت) ولم تك ملك الألوهية (بمعنى مجازي أو مبالغ فيه) بل واقع فعلاً

- إذ كان الملك – حتى في العصر الفرعوني – يتحكم في مصير شعبه، فهو يملك كل ما هو على الأرض من ثروات، توزع بأمره فقط، واعتقدوا دائمًا أن له صفة إلهية اكتسبها من آبائه وأجداده تعود في الأساس إلى الملك (رع).

- لذا كان الكهنة في بعض الأحيان يتحايلون على هذا الأمر بأن ينسبوا إلى الملك ولادة إلهية كما حدث مع الملكة "حتشبسوت" حيث اختلق الكهنة قصة تقول: إن اختيار الآلهة قد وقع على الملكة أمها وأوصوا (آمون) بزيارتها وفرعون في أوج شبابه، فاتخذ آمون هيئة تحتمس الأول وذهب إليها وضاجعها ثم أوصاها قائلاً: اسم ابنتي التي وضعتها في جسدك هي حتشبسوت وهي التي ستقوم بوظيفة الملك.

- بل وصل الأمر إلى درجة أن شاع اعتقاد بأن كل من يفكر (أو حتى يتمنى) إصابة الفرعون في جسده بشر أو حتى أذى، فإن مصير هذا الشخص هو الموت، ولذا وجب على كل المحكومين الطاعة والحب والولاء للحاكم، وإلا كان مصيرهم تحت الأرض (وعلى أقل تقدير).

- وظل هذا التقديس للحكام الفراعنة قائمًا حتى حل الجدب وعم الفقر ونضبت المواد، فاضطر المصريون إلى الثورة على حكامهم بعد أن شعروا بعدم قدرة الملوك على حمايتهم وتوفير (ضروريات الحياة لهم)، وهنا ضاعت هيبة الملوك بسقوط الدولة القديمة، واستمر الحال إلى أن استقامت الحياة مرة أخرى، وعادت للملوك هيبتهم (بفضل الدعاية الإعلامية والتي تتواصل ليل نهار على دق رءوس الناس بقدرات الحاكم الخارقة).

• وفي دراسة أعدها د. عمار علي حسن بعنوان: الدين والثقافة السياسية المصرية من تأليه الحاكم إلى تكفيره. يذكر الآتي:

- مع دخول المسيحية إلى مصر في سنة ٦٠ ميلادية بدأت مرحلة جديدة نزعت فيها الألوهية من الحاكم لدى الأهلية.

- ظل (الوثنيون) على تصوراتهم القديمة. لكن بدرجة أقل، وكان التحول الأكبر حين اعترف الإمبراطور الروماني «ثيودوسيوس» بالمسيحية عام ٣٧٩م ديناً رسمياً للدولة فقويت شوكة مسيحيي مصر في مواجهة الوثنيين حتى تم القضاء عليهم نهائياً.

- انتقل التبجيل إلى رجال الدين أنفسهم الذين كان يقول الواحد منهم عند توليه البابوية «افتحوا لي أبواب البر» وزادت درجة هذا التبجيل بعد حمل البطريرك في القرن الثالث الميلادي لقب «بابا» ويعاونه عشرون أسقفاً في خدمة (الكرازة).

- في حين أن العلاقة بالحاكم فقد حكمها المبدأ المسيحي الذي ينص على «دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله».

- حين فتح المسلمون مصر أحدثوا بها تحولاً كبيراً عن الماضي فيما يتعلق بتقديس الحكام على مستوى الممارسة فتضاءل تقديس الحكام في مصر إلى تبجيلهم لكن في صورة تختلف كثيراً عن «الفرعونية السياسية» التي كانت سائدة في مصر القديمة.

- لكن مرحلة انتهاء تقديس الحاكم لم يتبعها - بنفس القدر - تحرر نفسي كامل من الشعور بالضعف حيال الحاكم أو كف النظر إليه من أنه «شخص عادي»

- حرص الحكام (كل من تولى الحكم في مصر خاصة في العصور القديمة) على تلقيب أنفسهم بالأئمة أو أمراء المؤمنين وغير ذلك، حرصًا منهم على إظهار صفتهم الروحية وسلطتهم الدينية.

لكن المصريين - بطبيعتهم التاريخية حتى أن الطبع غلاب كما يقولون - لم يكفوا عن ممارسة عاداتهم التاريخية في إضفاء هالة على الحاكم حتى إن لم يك يرغب، فلقبوا - على سبيل المثال - صلاح الدين بالسلطان تعظيمًا له وتكريمًا لشخصه، ليأتي خلفاؤه من الأتراك وغيرهم ليتمسكوا بهذا اللقب.

- ورغم أن - القاضي والداني يعلم - أن المماليك كانوا في الأصل عبيدًا إلا أن تمسكهم بالدين إلى جانب تحصنهم بالقوة، لقد منح ذلك حكمهم شرعية فانتقل الناس من رفضهم الصريح إلى تقبلهم، ثم تبجيلهم.

- كذلك حكم العثمانيون مصر باسم الدين، فزعموا أمام الشعب المصري أنهم حماة الدين، وأن دولتهم هي امتداد للخلافة الإسلامية التي أسقطها المغول عام ١٢٥٨م، ولذا فقد كان للسلطان العثماني هيبة وجلالة في نفوس المصريين معظمها لأسباب دينية.

- ولابد من النظر إلى وجود تفرقة بين التأليه الديني والتأليه السياسي فالأول كان فكرة متقدمة موجودة في فترة مصر القديمة فقط، ولكن الآن لم يعد أي وجود. أما التأليه السياسي فهو أن يعتقد المواطن بأن الحاكم بيده أن يحل كل المشاكل التي تقابل محكوميه، والذي ينظر للنظام المصري يجد أنه أشبه بالهرم المقلوب، قاعدته: رئيس الجمهورية

(نارين نرغلي، المصري اليوم: ٨/ ١٦/ ٩-٢٠٠)

وتصديقًا لهذا التأليه السياسي ورغبة رئيس الجمهورية في أن يكون كل شيء في الدولة تحت يده، نجد أن رئيس الجمهورية (حسني مبارك كمثال) هو:

- الرئيس الأعلى للشرطة.
- الرئيس الأعلى للقوات المسلحة.
- الرئيس الأعلى للقضاء.
- الرئيس الأعلى للصحافة.

وأي مؤسسة: تخطر لك على بال في الدولة أذكرها – على ضمانتي.. بلا خوف ولا نزع. إن شئت رئيس الجمهورية هو رئيسها الأعلى، لدرجة أن العاملين بمواضع الأمور يعجزون – حتى وإن كانوا وزراء – عن اتخاذ قرار إلا بعد الرجوع إلى رئيسهم المباشر (رئيس الوزراء)، والأخير يعجز بدوره وينتظر التعليمات أو الأوامر الواضحة والصريحة حتى لا يحدث خطأ في الفهم يقود إلى رفته من الوزارة.. في وقت كنا نتغنى فيه (أو هكذا كانوا يوهمون الشعب) بالحرية أو أنه عصر لم (تكمم) فيه الأفواه ولم (تقصف) فيه الأقلام (بالرغم من نواظر (الكرابات)؟!

وفي دراسة طريفة عن الأسباب التي تجعل المسئولين في السلطة يعيشون مدة أطول ويتمتعون بلياقة بدنية كل هذا الوقت نرى حمدي الكنيسي – كمثال – يكتب كتاب بعنوان: «السُلطة وطول العمر» وسبب الكتابة حين رأى الكنيسي الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب (رئيس الابن الديكتاتوري والمتعنت والذي أحدث دمارًا في العراق ومن قبلها أفغانستان مازلنا نعاني من آثاره المدمرة حتى الآن) وهو يقفز بالبراشوت من إحدى الطائرات على ارتفاع يزيد على ٢٠ ألف قدم احتفالًا بعيد ميلاده الخامس والثمانين وأخذه هذا المشهد إلى البحث عن أسباب طول العمر والصحة لمن

بيدهم السلطة قام بدراسة لمتوسط أعمار العديد من رؤساء الدول وقد توصل في النهاية إلى أن هناك جملة من الأسباب تعود إلى طول العمر والصحة تتمثل في:

١- تناول الغذاء الصحي (سمعت من مصادر عليمة ببواطن الأمور - مرة أخرى - أن أحد الرؤساء كانت تذهب طائرة إلى فرنسا كل يوم، (وصف نشكره على هذا التوضيح: لأنه كان من الممكن أن يأمر بإرسالها كل يوم بل في كل وجبة) لإحضار طعامه من هناك، وكذا الماء. أما (الشعب) فكان غارقًا في المياه الملوثة والتي كان يروي بها خضرواته وفاكهته، ولكن يضطر - لأنه ليس هناك بديلاً - لأن يتناولها؛ لأن المضطر يركب الصعب، كما كان هذا الرئيس يعيش معظم أيامه في (منتجع) بعيدًا عن التلوث والزحام والضوضاء، ويضطر مكرهًا - في بعض الأحيان - أن يحضر إلى العاصمة (الخانقة، الملوثة، المكتئبة، بنت الكئب) لكي يلقي خطابًا لكي يفتتح به مجلسي الشعب والشورى، ولولا الإحراج والعيب، لأرسل إلى هؤلاء الأعضاء والذي يعرف أصواتهم وكيفية حصولهم على مقاعدهم في مجلسي الشعب والشورى جيدًا إلى المنتجع.

٢- العناية الطبية الفائقة وليس هذا فحسب، بل هناك فريقًا طبيًا يلازمه من مختلف التخصصات، لدرجة أن أحد أساتذة العلاج الطبيعي كان يشرف (تشيل مصلات سعادة الرئيس، وطبعًا كافئته بتعيينه رئيسًا لإحدى الجامعات... وهلم جرًا).

٣- ممارسة الرياضة بانتظام (وفي أوقات ثابتة محددة، وهناك جيش من المساعدين الذين يشرفون على توفير كافة الخدمات لمعالي الرئيس وهو يؤدي ألعابه)، ناهيك عن (التصفيق الذي يرافق) أي حركة يقوم بها سيادته، ويختار أشخاصهم ولهم الشرف طبعًا في اللعب

أمام سعادة الرئيس (وطبعًا الهزيمة) منه، واعتبارها أوسمة شرف لهم ولعائلاتهم، ورمزًا للمدينة أو القرى التي انحدروا منها).

٤- الاستمتاع بالإجازات، ومن هنا التشجيع الذي يخضع أجازة الحاكم (صحيح أن الصحافة الأجنبية توضح مثلاً أن الرئيس الأمريكي قد قام وأسرته بقضاء أجازته في منطقة كذا)، إلا أن هذا الأمر غير شائع لدينا في عالمنا العربي، وقد يختفي الرئيس (أو المسئول) الأسابيع دون ذكر للبلد الذي ذهب إليه لقضاء أجازته، أو من الممكن أن يذهب إلى دولة ما لقضاء أجازته بها، ولكن يأتي الإعلام كالعادة بأنه ذهب للتشاور في الأمور العربية والدولية والإقليمية. وأن قضية (السلام المزعوم) بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل قد احتلت مساحة كبيرة من مباحثات الزعيمين، ولنا وقفة في مناقشة الشأن الإقليمي أو العربي لم يتم مناقشته على الإطلاق. وإذا تم فيجتمعون بدون وصول - كالعادة - إلى نتائج، ولذا فإن جميع القضايا العربية مازالت تراوح مكانها، ولو أطلقت عليها رصاصة الرحمة لكي (تستريح وتريح) لكان أفضل لها ولنا.

٥- مستوى الدخل المادي المرتفع: فإذا كانت هناك شفافية في كل شيء في الدول الأجنبية فيما يتعلق بالراتب والمصروفات والدخل، فإن الأجور في بلادنا تعد من الأسرار. فمثلاً راتب رئيس الجمهورية غير معروف، ميزانية بعض المؤسسات السيادية في المجتمع غير معروفة، بل غير مسموح بالاقتراب أو حتى السؤال عن ذلك. ولذا فقد فوجئ الناس - وليس من حقهم أن يندهشوا أو يتعجبوا - حين سمعنا عن (المليارات) التي للرئيس وأسرته في الخارج، ناهيك عن العديد من الممتلكات، وما خفي كان أعظم.

ولذا فقد ظهرت عبقرية الشعب المصري بعد أن عرف الثروة (الفكة) التي يملكها الرئيس في البنوك الأجنبية ووصلت إلى ٧٠ مليار دولار إذ قالوا:

حسني مبارك يا طيار

جبت منين سبعين مليار؟!

ولذا - أيضًا - فقد تم إلقاء القبض على عدد من الوزراء والمسئولين وإصدار تعليمات من قبل النائب العام بتجميد أرصدتهم ومنعهم من السفر... وهي بالطبع - أي الأرصدة - بالمليارات (ولكننا لا نظن أنها في قيمة أو تقترب من فلوس الزعيم أو الرئيس).

٦- تجنب عناصر التوتر (بل من أين يأتي التوتر للرئيس وهو لم يعش نفسه شيئًا من الشعب وآلامه.. وليس أدل على ذلك حين تم غرق أكثر من (١٢٠٠) شخص بسبب الإهمال والفساد والسماح لعبارة لا تصلح لنقل المواشي بنقل كل هذا العدد من السعودية إلى ميناء البحر الأحمر حتى غرقت بمن فيها.. وبعدها بأيام حضر الرئيس وأسرته نهائية كأس الأمم الأفريقية، ورفعت أعلام النصر، ودقت طبول النصر (عدًا للفوز في مباراة). أما من أكلتهم أسماك القرش في البحر حتى لا يعكر عليهم الرئيس، وبالتالي (يعكر) دمه لا قدر الله

●●●

وإن انتقلنا إلى ملمح آخر من ملامح السلطة في مصر نجد ملمح (التصفيق) ففي دراسة قام بها د. عماد عبد اللطيف عن التصفيق يرصد الملامح الآتية:

- السياسة في المجتمع المصري المعاصر نشاط تصفيقي بشكل واضح، فأينما وجد تواصل سياسي فلابد أن يوجد معه تصفيق سياسي.
- التصفيق مكون أساسي من مكونات الخطابة السياسية في معظم ثقافات العالم.

- إن رجال السياسة هدفهم الأساسي (هو ضمان أصوات الناخبين في الأنظمة الديمقراطية أو ضمان صمتهم وخضوعهم) في الأنظمة الديكتاتورية.
- إن أي سياسي يكون حريصًا - بأي وسيلة وثمن - على الوصول إلى السلطة، فإذا وصل إليها (يتمسك بالسلطة) (حتى آخر قطرة دم كما قال أحد الزعماء العرب حين ثار شعبه ضده)
- يستخدم السياسيون العديد من الأساليب لاستدعاء التصفيق مثل:

(أ) مدح النفس من خلال ذكر خصالهم الإيجابية أو أفعالهم الحميدة.

(ب) التغني بحب الوطن والتضحيات التي يبذلها الرئيس من أجل ذلك (فعلى سبيل المثال من عندي - الرئيس مبارك يتغنى بإسهامه في حرب أكتوبر، والجرائد القومية تتغنى من خلفه بصاحب الضربة الجوية الأولى، وكأنه كان الوحيد الذي كان يحارب إسرائيل بمفرده ناسيًا أنه كان معه الآلاف من خلفه (الملايين - أي الشعب حتى لا يذهب فكرك إلى بعيد) يدعون لهم الله بكل إخلاص أن ينصرهم.

(جـ) السهر على خدمة أفراد الشعب وتحمل الآلام والمشاق في سبيله

(د) حسن تدبير المواقف ووضع الأمور في نصابها.

(هـ) تنزيه النفس عن كل شيء إلا حب الوطن

وغالبًا ما ينسب الرئيس - كل الصفات الحميدة إلى نفسه - وينزعها من معارضيه السياسيين أو من يهددون استمراره في السلطة.

ويستشهد الباحث بالعديد من الأمثلة من خطب الزعماء الثلاثة والمواقف التي استدعت تصفيق الجمهور له

مثال: **خطبة عبد الناصر في ذكرى ثورة يوليو عام ١٩٦٦م.**

عبد الناصر: قلنا هنرفع ثمن تذاكر الأوتوبيس.. أنا باتكلم على تذاكر الأوتوبيس مش على البن، تذاكر الأوتوبيس مش هتتباع في السوق السوداء.

الجمهور: تصفيق.

عبد الناصر: حد يطلع يشتري شوية تذاكر الليلة من السوق السوداء

الجمهور: ضحك وتصفيق.

خطبة السادات في أكتوبر ١٩٧٣م:

السادات: عاهدت الله وعاهدتكم وحاولت مخلصًا أن أبر بالوعد ملتمسًا عون الله.

الجمهور: الله معاك. الجمهور: تصفيق.

خطبة مبارك في عيد الشرطة ٥ فبراير ٢٠٠٩م:

مبارك: أقول إننا كأي دولة مسئولة قادرون على تأمين حدودنا. لن نقبل بأي تواجد لمراقبين أجانب على الجانب المصري من الحدود. ونتمسك بأن نتصدى لأي ترتيبات إسرائيلية دولية على أرض مصر وسمائها ومياهها الإقليمية.

الجمهور: تصفيق.

ويكفي بهذا الحد.

من خلال: (علاء الغندري)
مقال: أنت تصفق إذن أنت مؤيد، أو منافق،
المصري اليوم ٨/ ٦/ ٢٠٠٩).

وفي بحث للدكتور خليل فاضل عن: سيكولوجية النفاق والضلال والبلطجي: يرى أن النفاق قد ساد سواء بين الموظفين الصغار والموظفين الكبار. الكل ينافق، وأن هذا النفاق قد ساد وانتشر بصورة لا يستطيع الفرد أن يحصرها (من جراء تلك القصص عن الفساد والصعود الإجرامي لموظفي الدولة الصغار. وأن هؤلاء ما هم إلا قطرة في بحر الفساد، ويمثلون نسبة ضئيلة من الهم العام، وأن الإمساك بهم هو مجرد كشف للداء).

ثم يقسم المنافقين من حيث أهدافهم إلى:

(أ) النوع الأول من النفاق: وهو النوع الأكثر انتشاراً: ويهدف صاحبه إلى تحقيق المنفعة الذاتية.

(ب) النوع الثاني من النفاق: ويكون هدف صاحبه أن يفسد ويفسد، ينافق ويخادع في محاولة مرضية عجيبة، ولكن ذلك يؤدي إلى دمار الآخرين، وضم قائمة لا تنتهي من الفاسدين إلى القائمة.

كما يوضح وجود فروق بين السيكوباتي وبين البلطجي، فالأول قد يكون من النخبة التي تهدف إلى منع الشرفاء من التعبير عن آرائهم (أي تكميم الأفواه وتهديد كل من يريد أن يقول كلمة الحق). أما البلطجية فهم أشخاص محرومون من المال والجنس والغذاء والسكن اللائق. لكن العلاقة بين هذا وذاك وطيدة

(خليل فاضل، الحوار المتمدن، العدد ١٢٤٧، ٣/٧/٢٠٠٥)

لكن لم يوضح الكاتب بصورة مباشرة أنه طالما أن المناخ السياسي الفاسد والقائم على الأمر كذلك نرى هذا - بلا شك - يخلق مناخاً فاسداً، يحاول كل شخص وفقاً لإمكانياته وقدراته أن يتعامل معه حتى (يتوائم ويتوافق) مع الواقع.

والسلطة - بكل جبروتها - تعتمد على الشرطة، وفي تحليل نفسي لشخصية أفراد الشرطة بعد أن كثرت عدوانيتهم وجبروتهم على المواطنين ثم

ورؤسائهم من ضباط الشرطة (ويكفي للتدليل على ذلك ذلك الفيديو كليب "الضرب على القفا" بكل ما يحمله من رموز ومعاني الإهانة والسخرية والإذلال والاحتقار، كان المشهد مقززًا، باعثًا على الحزن، ومثيرًا للاشمئزاز، تناوله الصبية على تليفوناتهم المحمولة في المدارس، كما انتشر على شبكة "النت" بكل نوعها الأخطبوطية لينشر حولنا حالة من الخوف والمرارة؛ كما لا ننسى أيضًا تعذيب الفتاة التي جردوها - إلا من القليل - من ملابسها وأخذوا يعبثون في الأماكن الحساسة من جسدها. وفي النهاية اغتصبوها... وأين يتم ذلك في أحد أقسام الشرطة، وللعلم فقد أذاعت قناة الجزيرة هذه المشاهد بعد نجاح الثورة، وللتدليل - في نفس الوقت - على جبروت الشرطة وقسوتها وخاصة بعد حرق العديد من أقسام الشرطة، وبكل عنف، وهروب القوة في موقف مارك مريبًا لم تكتشف تفاصيله بعد).

وقد فسر كاتب المقال سياسة القهر هذه بما أسماه (تدوير القهر) فمن يقهر ضابطه يقهر مواطنيه، ومن تقهره زوجته يقهر أصدقاءه وعساكره، ومن هنا فإن الإحساس بالأمن الاجتماعي يقل كلما زاد بطش السلطة وتجبرت في تعاملها مع الناس.

كما أن الاستبداد والطغيان يبرران حصانة المجتمع والوطن لمصلحة حصانة السلطة المطلقة، ولذلك كلما زادت "الأجهزة الأمنية في بطشها" قل إحساس المواطن بالأمن النفسي والاجتماعي.

وفي محاولة لتحليل شخصية أبناء الشرطة أو (الباشا الأمين كما يحب أن ينادى) نجد خللاً "خطيرًا" متمثلاً في أن هذه الفئة - والتي تمثل عصب الأمن في مصر - تأتي غالبًا من طبقة دون المتوسطة (وهو أمر له دلالة خطيرة عند التعامل مع الطبقات الأخرى بكل ما تحمله النفس من نزعات وعقد)، يتخرج من معهد فوق المتوسط بعد الثانوية العامة ليس ضابطًا ولا جنديًا، عادين

بفصلاته عن مقعد الضابط الآمر الناهي.. ولذا فإن ذلك يولد في النفس – نفس الأمين أو صفوت الباشا الأمين – الكثير من العُقد النفسية والمرارة والحقد

ويلخص خليل فاضل صفات (الباشا الأمين) في:

- ليس محتلاً مكانه الصحيح المختبئ لكن هل هو مهووس بجبروت القوة؟ ظاهرة اجتماعية خسية يعاني من نواقص شديدة في تكوين (الأنا).
- نرجسي مفتون بذاته، يرى في وجوه الناس انعكاسة صورته المبتسمة محاولة فهمه وإصلاحه تحتاج إلى الكثير من التخصص والتأني
- وإن ضحاياه قليلي الحيلة لا يملكون قوة المواجهة ومضروبون على أمرهم (ونعتقد أن الأمر قد تحول إلى النقيض بعد ثورة يناير ٢٠١١؛ إذ أصبح مثل هؤلاء النرجسيون المختلون المبتسمون هم الذين يتوارون من الناس خوفاً من انتقام من ظلموهم علانية).
- ربما يعانون من عقدة الضحية؛ يحولون أنفسهم حينما نخيفهم ضحاياهم.

(خليل فاضل، الحوار المتمدن، العدد ١٨٦٩، ١٨/ ٤/ ٢٠٠٧)

ونظن أن هذه الفئة بل الشرطة بصفة عامة وكل من يعمل بها يحتاج إلى (إعادة تأهيل)؛ ذلك لأن نظرتهم إلى الآخرين تتم على أساس أنهم مجرمون ولابد من تخويفهم ومعاملتهم بالبطش والقوة واستغلالهم حتى يكون لك احترامك وتقديرك، وهي نظرة تحتاج إلى إعادة تأهيل وأن (التعامل الإنساني) مع الآخر هو أساس الاستقرار سواء للسلطة أو حتى للنظام بصفة عامة. إضافة إلى حل العديد من المشاكل الأخرى التي ظهرت لهذه الفئة بعد قيام ثورة يناير ٢٠١١ مثل ضرورة الاحتماء برتبهم؛ حتى لا يضطروا – كما قالوا صراحة – إلى مد أيديهم إلى المواطنين ..إلخ

وبمناسبة دور المخصصات وجرائم وانفلات نفوس وسلوك قيادات أمناء الشرطة قد جسدها المخرج العالمي الراحل يوسف شاهين في فيلمه الرائع (هي فوضى) حيث جسد الممثل الرائع والجميل خالد صالح دور أمين شرطة قاسم، لك أن تتصور أنه يفعل كل شيء ويمارس جبروته وسلطته بكل جبروت ولا يعترض أحد من الضحايا، وكيف يعترضون وهو يمارس هذا القهر والعنفوان بالسلطة في مملكته (داخل القسم).

وفي ملاحظة ذكية لقهر السلطة وانعكاسه على الشخصية المصرية نلخص ذلك:

- عبارة تعبير مسرعة تقول أحد المواطنين تكون النتيجة أو تصرخ الكرة - من بكرة أبيها - للتصعيم العشوائي في السيارات، ووقف الحركة والطاقة بإنشاء كوبري.. وحتى لو تم إنشاء كوبري فإنهم بعضهم - في الغالب - عبور الطريق؛ لأن الكوبري قد صمم بطريقة تحتاج إلى (بهلوان) أو (رياضي متمرس).

هذه الملاحظة تقودنا إلى ذكر الآتي:

- إن المصري عبر تاريخه الطويل لم يثور أو يتمرد إلا نادرًا.
- لكنه إذا غضب حطم ودمر

ولعل من أشهر الغضبات المدمرة لنيشا للمصريين خلال الفترة الأخيرة الآتي

أ) أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧م

والقصة باختصار أنه مساء يوم ١٧ يناير ١٩٧٧ أصدرت الحكومة قرارها الشهير برفع السلع الأساسية (وكان هذا بعد حرب الانتصار ١٩٧٣ وكما قد ربطنا الأحزمة على بطوننا؛ لأنه لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، وحين تم الانتصار والعبور توقع الشعب مزيدًا من الرخاء لتعويض سنوات طويلة من القهر والجوع والمعاناة والحرمان) وهنا اشتعل الغضب العارم في صبيحة اليوم

التالي... وأخذ ينذر أي شيء زوقد وصف الرئيس السادات بتعبيرات كان يجيد حبكها بأنها (انتفاضة حرامية)؛ لكن بغض النظر عن المصطلح فإنها كانت في الأساس قد اندلعت لأسباب اقتصادية، ولم تهدأ الأحداث إلا بعد أن تراجعت الدولة عن ارتفاع الأسعار. وقد نعلم سابقه للدرس جيداً فكان يرفع الأسعار دون ذكر لذلك، في حين أن وزير التموين أخذ يردد العبارة الشهيرة (لا مساس بالأسعار)، باحيبي لا مساس: في حين أن الأسعار كانت ترتفع دور

(ب) أحداث ٢٥ فبراير ١٩٨٦م:

وكان أبطال التخريب (جنود الأمن المركزي) حيث سرت شائعة تمد سنوات خدمتهم والتبريرات التي ساقها البعض حول تصرف هؤلاء الجنود تدور حول أنهم أبناء الطبقة الفقيرة وأغلبهم غير حاصلين على الحد الأدنى من التعليم.. مع شعور بالدونية...إلخ، لكن هذه التبريرات وغيرها لم تعط إجابة مقنعة عن سر هذا التخريب تجاه الأموال العامة.

(جـ) ٥ أبريل ٢٠٠٨ - أحداث المحلة.

حيث كانت الأمور في مدينة المحلة الكبرى من النوع الذي يطلق عليه الهدوء الذي يسبق العاصفة، حيث تراصت عربات الأمن المركزي لمنع أي تظاهرات أو احتجاجات يقوم بها عمال المحلة الكبرى من أجل مطالب مشروعة تتمثل في زيادة مرتباتهم، ولكن بدأت مناوشات بين المواطن ورجال الشرطة، ليخرج الأول عن صمته ويبدأ عمليات تخريب وفوضى فاقت الحدود والتوقعات المتعارف عليها لتصرفات المواطنين حرق سيارات وإطارات وتخريب منشآت وتعطيل قطارات، وقطع طرق، ونهب ممتلكات، وقد تم تفسير هذا العنف تفسيرات شتى.

(شريف عاشور: ٢٠٠٩/٦/٨، المصري اليوم)

وليس فقط التخريب (حرق وتخريب المصري) بل تم رصد العديد من السلوكيات الأخرى التي حاول المواطن المصري أن يثور من خلالها ضد السلطة وتحديها:

(أ) تبرير السرقة

إذ يرى الكثير أن الحكومة من طلعة النهار بتسرق في الناس، وتعرض عليهم فواتير كهرباء ومياه وتليفونات وغاز وغرامات ومخالفات، يعني ناقص عليها تحاسب على الهواء اللي بتتنفسه، يبقى حلال إننا نسرقها في الحاجات الصغيرة سواء في المياه أو الكهرباء خاصة أن الشركات دي حرامية أصلاً؟ كما فسر البعض الآخر (السرقات تجاه المال العام بالآتي):

١- الرواتب الضعيفة.

٢- إن ساعات العمل لا توازي أبداً الأجر.

٣- تعسف بعض الرؤساء والخصم للموظف إذا تأخر عن الحضور للعمل في الوقت المحدد ولأسباب خارجة عن إرادته.

٤- الإحساس بالظلم (وأن الظلم يولد الإحساس بعدم الولاء)، والحكومة بتسرق الشعب، ولازم الشعب مع مرور الوقت يسرقها؛ لأنه سوف (يستحل) الانتقام منها على طريقته سواء في سرقة تيار كهربي أو خط مياه، أو حتى تدمير وتكسير المنشآت العامة.

٥- الضرائب التي تفرض على المواطنين.

٦- انتشار الرشوة (لازم تدفع لكي تحصل على حقك الطبيعي حتى وإن كان استخراج بطاقة أو رخصة قيادة).

٧- الإحساس بأن الحكومة قد سلبت حرية المواطن وأنها لا تعمل أبداً من هو في مصلحته.

٨- قراءة المواطن عن أخبار وحوادث الفساد والسرقة ونهب أموال الدولة ومقدراتها بين كبار ورجال الدولة ومن هم قريبون من السلطة

٩- أخذ القروض من البنوك وفي الكثير من الأحيان دون ضمانات كافية.

١٠- قضايا الرشوة والفساد المتورط فيها كبار رجال الدولة ودون توقيع (قصاص) قانوني عليهم

(ب) تبرير الكسل:

ماذا نعمل إذا كان رجل أعمال يسرق بـ (مليم) ويربح بـ (مليون)!

وقد ذكر مجموعة من الأفراد ذلك من خلال:

١- الحصول على مؤهل وعدم وجود العمل المناسب للمؤهل، فيضطر أخيراً أن يعمل في مجال لا تمت لدراسته بصلة.

٢- إن الدولة قد (رفعت يدها عكس ما كان الحال عليه في السابق) من إلحاق المواطنين بالعمل.

٣- إن من يعمل في الغالب لابد أن يكون (ذو واسطة) حتى وإن كان قد حصل على تقدير مقبول.

وبذا فإن الحكومة قد أعلنت منذ سنوات – كمثال – أن ساعات العمل تمثل ١٢٧ دقيقة في اليوم، وأن العامل في القطاع الحكومي لا يعمل بأي حال من الأحوال أكثر من ١٢٠ دقيقة في اليوم بسبب الفساد الموجود في القطاع الحكومي للدولة.

أما عن أسباب ضعف إنتاجية العامل أو الموظف المصري فيرجع إلى العديد من الأسباب مثل:

- الفساد في الجهاز الإداري.
- ضعف جدول الأجور.

- عدم وجود مبدأ الثواب والعقاب.
- إن العمل في الجهاز الحكومي ليس له آلية ولا هدف.
- إن ما يتعلمه الفرد (إبان دراسته) لا يؤهله أبدًا لكي (يشتغل في عمله) ولذا فهو يحتاج بعد التخرج وقبيل الالتحاق بالعمل إلى (إعادة تأهيل) وحتى لو عمل (العاملون) فإنهم لا يحصلون على الأجر الذي يسد احتياجاتهم مما يجعل البعض يقوم بالتخريب للمنشآت التي يعمل فيها (عكس الإضرابات في الخارج). إضافة إلى أن (نقابات العمال والذي تشكل عام ١٩٥٧ لا يقوم بدوره والانحياز لقضايا العمال، بل يكون تحيزه - في الغالب - لتلبية مطالب السلطة.

(ح) الرغبة في العمل في المكاتب:

إذ جعل مستمرون الشباب جانبًا من مسئولية تفاقم معدلات البطالة والتي شهدت زيادات على مدار السنوات الماضية، وكانت الزيادة الأكبر عقب الأزمة المالية؛ إذ تقلصت فرص التوظيف إضافة إلى اتجاه بعض الشركات إلى الاستغناء عن بعض العمالة. لكن الشباب كان يرفض العمل لأسباب متعددة أهمها ضعف الراتب، وعدم وجود أنظمة تحمي العامل عند الحاجة. وعدم (تثبيت) الموظف، مما يستدعي إمكانية (طرده) في أي وقت.

(د) الخوف عند المصريين: خائف من شيء ما والغضب (مكتوم جوانا):

إذ من قديم الزمان، استقر في مفهوم المواطن المصري أنه يعيش على أرض منبسطة، لا يوجد فيها أي عوامل جغرافية تدعمه للقلق مثل البراكين أو أزمة الزلازل، وأن المصري قد علمته الحياة إزاء تعامله مع السلطة المستبدة من الحِكَم مثل:

- اربط الحمار مطرح ما يحب صاحبه.
- امشي جنب الحيط تسلم.

- اللي يطاطي لها يفوت

- حط راسك وسط الروس تسلم.

وبالتالي فقد وجدنا مؤخرًا – مثلاً – أن الطلبة المصريين في مرحلة الثانوية حيث يلجأ بعضهم إلى التحويل في المرحلة الثانية من الثانوية العامة من شعبة العلمي إلى الأدبي بأي تكلفة والسلام.

ويجلي ذلك في إحصاءات الإدارة العامة للامتحانات عن ارتفاع نسبة الطلاب المتقدمين لامتحانات الثانوية العامة من الشعبة الأدبية (مقارنة بطلاب الشعبة العلمية) بنسبة ٣٣٪ في المرحلة الثانية، رغم أن النسبة في المرحلة الأولية تكون الغلبة فيها – غالبًا – لطلاب العلمي.

ويتم تفسير ذلك بالآتي:

(أ) توجه المصريين إلى السير على خطى الأسلاف (الأمان) مهما كانت خاطئة مثل اسأل مجرب ولا تسأل طبيب

(ب) إن الأغلبية من المصريين غير مغامرين، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال العديد من المؤشرات.

(هيثم دبور، ٨/٢٠/٩-٢٠٠، المصري اليوم)

لكن سياسات الحكومة المتخبطة في التعليم هي التي خلقت هذا الوضع المتخبط

(هـ) الصمت أو إظهار التجاهل وعدم الاهتمام:

وهذا ميكانيزم يلجأ إليه المصريون، بدليل أنه كل عام كانت تهلل وتطبل كل أجهزة الإعلام الحكومية للمؤتمر السنوي للحزب الوطني الحاكم مع شعار جديد واستضافة (منظري ومثقفي الحزب عبر وسائل الإعلام) ليتحدثوا عن (إنجازات) و(مصطلحات) وبلغة لا تصل إلى الجمهور، ولذا كنت ألاحظ تجاهلاً تامًا من قبل غالبية الشعب المصري لهذه المؤتمرات وما

بدور فيها؛ لأن الشعب كان يدرك بفطرته أن كل هذا الزمر والطبخ في الإنفاق لا يعنيهم في شيء، وأن المجتمعين قد اجتمعوا من أجل مصالحهم هم لا مصالح الشعب.

ومن الغريب أن هذا الصمت الذي يبدو على السطح قد دفع بالمستعربة الفرنسية (صوفي بومييه) لكتابة بحث نقدي عن مصر التي ظلت زمانًا طويلاً منارة العالم العربي وقطب رحجيته، أدى بها هذا التأمل لمصر إلى كتابة كتاب بعنوان «مصر الوجه الآخر»؛ إذ حاولت - جاهدة - إلى استنطاق جوانب الوضع الداخلي لبلد كبير لتكتشف في النهاية قدر الجهل الكبير بمتغيرات هذا الوضع الذي بدا لها استراتيجية لا تفيد إلا النظام المصري ذاته، ولتفهم الوضع الحالي حاولت الرجوع إلى أكثر من مائتي سنة من التاريخ السياسي المصري بداية من الحملة الفرنسية على مصر آخر القرن الثامن عشر، وتركز محمد علي والنظام الخديوي والاستعمار الإنجليزي والحكم الملكي والحياة الحزبية قبل الثورة، ثم المرحلة الناصرية، ومن بعدها الفترة الساداتية وأخيرًا النظام السياسي المصري في عهد مبارك، وقد حاولت أن تستخلص (الميكانزمات) التي يقوم عليها نظام الحكم ومحاولة فهم (الشخصية المصرية) ومدى تقبلها وعدم تقبلها للتوريث، ولكنها بالطبع - مثلها مثل الكثير حتى من المصريين - لم تصل إلى فهم ديناميات وعمق الشخصية المصرية حيث ذكرنا سابقًا إنها مثل البحر قد تبدو هادئة من السطح، ولكن تمور الأعماق بما لم يخطر بالبال.

(من خلال ابن عبد الهادي: الوجه الآخر المصري، نيوز ٤/٦/٢٠٠٩)

(هـ) عدم المشاركة - خاصة من قبل الشباب - في السياسة:

يمكن حصر العديد من الدراسات والبحوث الميدانية (والتي انطلقت من علوم إنسانية شتى مثل علم النفس والسياسة والاجتماع) حاولت هذه الدراسات طرح هذا التساؤل:

لماذا يحجم الشباب - خاصة .. عن المشاركة السياسية؟

حيث يشير تقرير حكومي - مؤخراً - يشير إلى أن ٨٥٪ من الشباب المصري لا يشعرون بالانتماء للبلد، وهذه - بالطبع - نتيجة خطيرة لأوضاع وسياسات لم يعد المسكوت عنها وعليها ممكناً باعتبارها على رأس قضايا الأمن القومي (ولكن السلطة وأجهزتها لم يشغلها هذا الأمر بالطبع، لأنه كان شغلها الشاغل هو تعظيم كافة المكتسبات وتأمين كافة السبل التي تتيح الحفاظ على كرسي السلطة، بل وتوريثه - إن جاز المصطلح - إلى الوريث المتربص والمشتاق إليه على أساس أنه هدية من الأب إلى الابن، وليحيا الشعب إن كان موجوداً أصلاً شيء اسمه شعب يقبل أو يرفض هذا التسليم؟!).

لكن الغريب أن العديد من هذه الدراسات قد (جعلت الشباب هم المسئولون وليس النظام السائد) عن عدم المشاركة مثل:

- الانحراف لدى الشباب
- السلوك العدواني.
- الخروج على القيم والأخلاق نتيجة للضغوط الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها الشباب.
- فتور العلاقات بين الآباء والأبناء مما يدفع الشباب إلى البحث عن الانتماء لدى جماعات بدبلة.

قصور التنظيمات والمؤسسات الرسمية واكتفاءها بالتقارير الورقية عن إنجازاتها ونجاحاتها

لكن نتائج البحث الذي أجرته (سوسن فايد - الخبير الاجتماعي بالمركز القومي وعرضه رجب البنا ... الأهرام) قد توصلت أيضاً إلى عدة حقائق مثل:

- إن ٧٨٪ من الشباب لديه استعداد للمشاركة السياسية والاشتراك في المناقشات حول القضايا الوطنية والاجتماعية والاقتصادية ولكنهم لا يجدون الفرصة لذلك.
- الحالة الاقتصادية الضاغطة.
- عدم وجود ديمقراطية في الأسرة وفي الجامعة.
- غياب الممارسة الديمقراطية والتدريب على حق الممارسة

عدم توافر الثقة والمصداقية والجدية فيما يقال عن الترحيب بالشباب للمشاركة والبناء.

ويكون الحقيقة التي يجب أن نكتشف عنها ولا نخجل من ذكرها - لأنها حقيقة - أنه من خلال استقراء التاريخ المصري الحديث منذ قيام ثورة (حركة) يوليو عام ١٩٥٢م وحتى قيام ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ لم تكن هناك أي انتخابات حرة نزيهة سواء للاستفتاء لرئيس الجمهورية أو حتى مجلسي الشعب أو الشورى أو حتى المجالس المحلية وأن المسألة كانت مجرد (ديكور) و(تمثيلية) كوميدية أو حتى درامية (حسب الزاوية التي تحب أن تشاهد بها الأحداث)، وأن النتائج كانت محسومة دائمًا لصالح الحزب الحاكم والرئيس المتشبث بالكرسي، وكان الشعب يتقبل هذا (الديكور)، ولكن حين تغاضت السلطة عن هذا الديكور ومنعت أي عضو من المستقلين أو المعارضة (حتى وإن كانت معارضة كاذبة وكتمة وتعتمد فقط على الصياح وإطلاق عبارات جوفاء فقط) من دخول مجلس الشعب الأخير (٢٠١٠) فإن ذلك كان نهاية للنظام ومن أكبر الأسباب التي أدت إلى اندلاع الثورة في ٢٥ يناير ٢٠١١م.

(هـ) انتشار ثقافة العنف بين الناس بعضهم البعض وفي البيوت:

ذكرنا سابقًا أن السلطة المستبدة تخلق حالة من العنف المكتوم - والذي يتم تفعيلها في بعض الأحيان - بين المحكومين المقهورين، ويخلق ذلك في إمكانية وجود

العديد من الجرائم التي أخذت تطالعنا بها الصحف كل يوم تقريبًا بأخبار جرائم أسرية غير مألوفة وإن كاتب هذه السطور قد أجرى دراستين في هذا الصدد:

١ - جرائم الطلاب في مصر.

٢- الجرائم الأسرية (أي التي تتم داخل أفراد الأسرة).

لكن المهم الإجابة عن هذا السؤال

لماذا تتفاقم وتزداد هذه الجرائم؟

والأهم عندنا أن نلتفت إلى الأسباب الجديدة لانتشار العنف، بالإضافة إلى الأسباب المعروفة وهي: الفقر والبطالة والجهل. ومثل القصور العام بالإحباط، وتعلم أساليب العنف من مشاهدة الأفلام السينمائية ومشاهد التليفزيون، والأسرة تربي أطفالها الآن على العنف بألعاب الكمبيوتر والفيديو جيم والبلاي ستيشن. ويضاف إلى ذلك التفكك الاجتماعي وانتشار العلاقات خارج إطار الزواج إضافة إلى:

أولاً: القصور في التعليم وعدم الاهتمام بالتربية.

ثانيًا: الخطاب الديني الذي يركز على قضايا هامشية بدلاً من شئون الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي.

ثالثًا: انتشار القيم الفردية والأنانية (مصلحتي وبس) وليذهب الآخرون إلى الجحيم

رابعًا: انتشار السلبية.

خامسًا: إن الأسرة قد فقدت دورها كقوة للضبط والردع، ولم تعد العلاقات بين الأزواج والزوجات وبين الآباء والأبناء قائمة على التراحم والاحترام.

سادسًا: زيادة معدلات التفكك الأسري- إذ أصبح المناخ داخل البيت ينتج الشجار والخلافات والطلاق (وهذه حسبي من وجهة نظرنا) أفضل بكثير من القتل أو الحرق أو تقطيع الجثة والتمثيل بها بعد القتل).

محبطاً وهذا من الأهم حالة من الإحباط العام وعدم إعطاء الأمل لا في المدى القريب أو المتوسط أو حتى البعيد. (سمعت أكثر من مرة) رأيا إن كنت أحرص في نهايات عهد حسني مبارك على الاستماع إلى خطبه وتكراره الشعر (المستقبل مظلم)، وفي خطاب آخر يقول: (أسود)، وأشهد بتكرار هذه الكلمة في خطبه إبان فترة الثمانينيات وبداية التسعينيات).

ولا شك أن فقدان الأمل يفجر حالة العدوان، والذي كما علمنا علم النفس يأخذ ثلاث مسارات:

- إما أن يتجه إلى مصدر الإحباط.
- أو يتجه إلى مصدر بديل.
- أو يتجه إلى الذات (ويتضح ذلك من خلال تعنيف الفرد لذاته أو للعالم أو حتى الشروع في الانتحار سواء بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة تتمثل في الانتحار البطيء).

لدرجة أن البعض بدأ يتساءل: هل يصبح العنف في مصر ظاهرة اجتماعية؟ والخوف من أن يعتاد المصريون على هذه الحوادث وتصبح من أمور حياتهم العادية: تنقلب الحياة التي كانت تتميز بالسماحة والصبر والمرح إلى السكوت على هذه الأحداث، وربما القبول بها، وقد يصل الأمر بعد ذلك إلى حد تبريرها والتسامح مع مرتكبيها.

ولكن حين (تنبه) المصريون وثاروا (ضد من كان مصدر الإحباط) بلا عنف، وشاهدنا في ميدان التحرير ومن جميع شوارع وميادين مصر (بعد انسحاب الشرطة تدريجياً، وخروج المساجين بأوامر لكي يعيثوا في الأرض فساداً ودماراً)، إلا أن هذا (العنف المزعوم قد تلاشى)، وحل محله السمات المصرية الأصيلة المتمثلة في:

- الحب - التسامح - التعاون - الإخاء



أو) تنقص أو تؤدي الخدمات التي يجب أن تقدم للمواطن.

ساهمت السلطة بالثورة عليها من خلال عدم قيامها بما يجب أن تقوم به تجاه مواطنيها (ولا أدري كيف يقسم رئيس الجمهورية أمام مجلسي الشعب والشورى على أن يؤدي عمله بإخلاص؟ ولكن يبدو أن طول فترة الحكم نصيب بالنسيان بالقسم، بل ونسيان مهمته في الأساس. ولا يتذكر إلا شيئاً واحداً، جمع أكبر قدر ممكن من الأموال هو وأسرته، وكل من يحيطون به من أصدقاء ومحبين ومريدين).

وسوف يقتصر العرض على: أوضاع وخدمات الصحة النفسية في مصر أجرتها (المبادرة المصرية للحقوق الشخصية).

أوضاع وخدمات الصحة النفسية في مصر:

بينما لا توجد دراسات إحصائية وطنية عن مدى انتشار الاضطرابات النفسية في مصر، فإن بعض الدراسات تعطي مؤشرات حول مدى هذا الانتشار. ففي أحد المسوح التي تم إجراؤها في عام ٢٠٠٤ تم تقدير معدل انتشار الاضطرابات النفسية بين البالغين في مصر بحوالي ١٧٪، بينما وجدت دراسة أجريت عام ٢٠٠٦ أن ٤٠٪ من الطلبة لديهم أعراض اضطرابات نفسية. وتشير دراسة أخرى أجريت على المسنين عام ١٩٨٨ أن نسبة الإصابة بمرض الخرف بينهم تبلغ ٤,٥٪، وبالزهايمر ٢,٢٪.

وفيما يتعلق بالتمويل، فإن نسبة الإنفاق على الصحة النفسية في مصر لا تتجاوز ٢٪ فقط من مجمل الإنفاق الحكومي على الصحة، ويذهب أكثر من نصف هذه المخصصات (حوالي ٥٩٪) للإنفاق على مستشفيات الصحة النفسية. وتتمركز هذه المستشفيات بوجه عام في المدن الكبرى والمناطق الحضرية.

ويبلغ عدد المستشفيات المخصصة للصحة النفسية في مصر ١٥ مستشفى موزعة على عدد من المحافظات، وتبلغ طاقتها الاستيعابية الإجمالية حوالي

٦٠٠٠ سرير. وبلغت نسبة الإشغال في المستشفيات التابعة للأمانة العامة للصحة النفسية في شهر يوليو من عام ٢٠٠٨ حوالي ٨٠٪. ويقدر عدد المرضى الذين تم إدخالهم إلى المستشفيات النفسية التابعة للأمانة العامة للصحة النفسية عام ٢٠٠٤ حوالي ٢٣,٠٤٧ مريض.

وبالإضافة إلى هذه المستشفيات الحكومية المتخصصة توجد في بعض المستشفيات العامة في عدد من المحافظات أقسام للصحة النفسية تبلغ طاقتها الإجمالية حوالي ٦٠٠ سرير. كما توجد أقسام للطب النفسي في تسعة من كليات الطب بالجامعات المختلفة وبها حوالي ٢٠٠ سرير. أما المستشفيات الخاصة فلا تتجاوز طاقتها الإجمالية ٧٥٠ سرير. وهو ما يشير إلى أن وزارة الصحة تعد المقدم الأول والأساسي لخدمات الصحة النفسية في مصر.

ويبلغ عدد العيادات الخارجية للصحة النفسية في مصر حوالي ٦٢ عيادة، اثنتان منها فقط مخصصتان لخدمة الأطفال والمراهقين. وفي عام ٢٠٠٤ بلغ عدد المترددين على العيادات الخارجية ١٧٦,١٤٣ متردد. وهناك عيادة واحدة فقط تقدم خدمة المتابعة للحالات التي تتلقى العلاج في المجتمع؛ أي خارج المستشفى، فضلاً عن عيادة متنقلة واحدة فقط. أما مراكز تقديم الرعاية النهارية فلا يتجاوز عددها مركزين اثنين. ووفقاً لتقارير منظمة الصحة العالمية فإنه لا توجد في مصر أي خدمات للإقامة طويلة الأمد أو برامج للإسكان مخصصة للمرضى النفسيين أثناء أو بعد العلاج. كما تعاني مصر بشكل عام من نقص خدمات الصحة النفسية المجتمعية والوقائية.

أما فيما يخص القائمين على تقديم خدمات الصحة النفسية. يبلغ عدد الأطباء النفسيين في مصر ٦٠٠ طبيب، يعمل غالبيتهم في القاهرة والإسكندرية والمدن الكبرى. ويعاون هؤلاء الأطباء حوالي ١٤٠٠ ممرض، ٢١١ أخصائياً نفسياً، و٦١٠ أخصائياً اجتماعياً نفسياً

وقد اتجهت سياسات الصحة النفسية في مصر على مدى العقود الأخيرة إلى تحرير الخدمات المتاحة، والتحول من النظام المؤسسي في الرعاية النفسية إلى العلاج المجتمعي. ففي عام ١٩٩٧ وتحت رعاية منظمة الصحة العالمية، أعلن وزراء الصحة في دول منطقة الشرق المتوسط، ومن بينها مصر، عن برنامج عمل يستهدف تحرير الصحة النفسية ويتكون من ١٠ نقاط، جاء على رأسها توفير خدمات شاملة للصحة النفسية وإدماج الصحة النفسية في الرعاية الأولية وتطوير خدمات الطوارئ في المجتمع. وكانت مصر في المراكز التي تم اختيارها من قبل منظمة الصحة العالمية من أجل وضع استراتيجيات لتحديد نطاق الرعاية الصحية النفسية في الأعوام من ١٩٧٥ إلى ١٩٨٠، والتي طورت البرامج المطلوبة من أجل إدماج الرعاية النفسية ضمن الرعاية الصحية الأولية.

واعتباراً من عام ١٩٨٦، حددت الخطط الحكومية فيما يتعلق بالصحة النفسية هدفها في التوجه نحو إدماج الرعاية الصحية النفسية الأساسية ضمن الرعاية الصحية الأولية وضمن الخدمات الاجتماعية، والتعاون مع القطاعات الحكومية وغير الحكومية المعنية من أجل تحقيق هذا الهدف. ونصت أهداف سياسة الصحة النفسية التي وضعت عام ١٩٧٨ لتحسين الصحة النفسية للأفراد عن طريق إتاحة الخدمات لمن يحتاجون لها وعن طريق الرعاية المجتمعية ومساندة الأهل. كما جاء في تعديل السياسة الصحية النفسية في ٢٠٠٣ أن من بين الأهداف الجديدة للسياسة: إنشاء وتطوير خدمات الصحة النفسية المجتمعية، وإصلاح المستشفيات النفسية، وتطوير تقديم الصحة النفسية في الرعاية الأولية.

وبالرغم من كل هذا التأكيد على أهمية إدماج الرعاية النفسية ضمن الرعاية الأولية، فإن الجهود التي تم بذلها لتحقيق هذا الهدف لم تكن كافية وجاءت نتائجها محدودة للغاية، ولم تحقق الغرض منها. فحسب منظمة الصحة العالمية فإن نسبة أطباء الرعاية الأولية الذين تلقوا دورات تدريبية

قصيرة حول الصحة النفسية لا تتجاوز ٥٪. كما أن غالبية هؤلاء الأطباء ليست لديهم أي بروتوكولات للمساعدة في تشخيص وعلاج الاضطرابات النفسية. ولم يقم سوى عدد قليل منهم باكتشاف أو تحويل حالات مرضية إلى أي من الأطباء النفسيين. بل ولم يسبق لأغلب هؤلاء الأطباء أن تعاملوا على الإطلاق مع الأطباء النفسيين المتخصصين.

وباختصار، فإن جميع الدراسات والتقارير تجمع على أن مصر تعاني من نقص شديد في الموارد المادية والبشرية المخصصة للصحة النفسية، ومن قصور في إتاحة خدمات الرعاية الصحية النفسية للأفراد. ومازالت مستشفيات الصحة النفسية هي التي تقوم على توفير أغلبية خدمات الصحة النفسية؛ وهي الخدمات التي تتوافر في المدن الكبرى أساسًا وليس في المناطق الأخرى وخاصة الريف. كما أن الرعاية الصحية الأولية مازالت غير قادرة على تقديم الخدمة الصحية النفسية أو تحويل المحتاجين إليها أو توفير الأدوية النفسية الأساسية. كما تشير التقارير إلى ضعف التعاون بين القطاع الصحي الرسمي والقطاعات المجتمعية الأخرى، بما فيها منظمات المجتمع المدني.

ولذا لا عجب أن نجد المصري الذي كان - ومازال - مشهورًا بالفكاهة والمرح والسخرية والتحضر في سلوكياته أن يلاحظ المراقبون له أنه يحتل العالم في الكآبة؛ حيث كشفت إحصائية حديثة أجراها (معهد جالوب) الأمريكي على عينة من شعوب العالم بلغت (١٥٠) ألف فرد، أن المصريين أكثر شعوب العالم تشاؤمًا فيما يتعلق بالمستقبل؛ إذ غابت الضحكة والتفاؤل وكل الأحلام؛ ولم يعد المصريون يستمتعون بحياتهم كما كانوا من قبل. وقد تكون حياة المصريين مليئة بالمنغصات التي لا تغيب عن أحد في التعليم والصحة (ذكرنا توًا نموذجًا منها)، والبيئة والإسكان، والأجور، والمرور؛ وصحيح أن تاريخ المصريين لم يكن حافلاً بفترات الرخاء والاستقرار والمتعة

(كما وعدنا جميع الزعماء الذين تولوا قيادتنا من المصريين، ولا أقول من المستعمرين أو الأجانب أو الأعراب، ولكن المصري ظل طيلة الوقت يعتبر التمتع بحياته بأقل التكاليف واجبًا مقدسًا.

وإليكم هذه الملاحظات عن المصري قديمًا وحديثًا:

- كان المصري القديم يعشق الترفيه عن نفسه، فكان أول من اخترع (السلم الموسيقي)، وسماه (سلمًا)؛ لأنه كصوت الملائكة، وكان يقيم الحفلات ويخدم على بابها شكل امرأة تدخل زينة ونواحة عصر.
- وكان المصري القديم - أيضًا - أول من ألف الموسيقى الجنائزية لتعين على تحمل لحظات الفراق، وكان يعشق الشعر ويكتب الحكمة من خلاله.
- في سنوات مضت كان الفلاح يجلس تحت شجرة يصنع من عصا الغاب (نايًا) يعزف عليه أشجانه وأحزانه، وكانت مصطبة العمدة ملتقى الصحبة في المساء تسمع فيها النكات والحكايات وسير الأبطال وأهل الله، وكانت (المقاهي) في المدن بديلاً لها تجد المصريين من كل مستوى بدءًا من المهنيين والموظفين انتهاءً بالمثقفين والوزراء.
- حتى النساء كان لهن يوم للاجتماع في بيت إحداهن في (العصاري)، وكن يمتعن أنفسهن بالرقص والغناء تارة، وتعلم المهارات اليدوية تارة أخرى بينما الأطفال يلعبون في الشارع والحارة بألعاب صنعوها بأيديهم ومسارح سنترها ملاءات السرير وكتب ومجلات يتسابقون في قراءتها.
- لكن نلاحظ وجود فجوة بين رغبة المصري في الاستمتاع بحياته وبين ما يقوم به من سلوكيات لتحقيق ذلك، وأن المشكلة ليست في نقص الإمكانيات كما يقول البعض بقدر عدم إقبالها على إمتاع ذاته والمحيطين به، والدليل ما تنشره الهيئات الرسمية عن إنفاق المصريين

على فواتير جوالاتهم المحمولة والسجائر والمعسل الذي يتم استهلاكه إما في المقهى أو في البيوت، وكلها أرقام تقدر بالمليارات

- لكن المصري - من خلال الملاحظة - نجده قد فقد رغبته في التمتع وجف إبداعه الذي عرف به في الماضي وعبرت عنه أغنية محمد عبدالوهاب (.... عشرة كوتشينة في البلكونة).

- وكان من أبسط المتع التي تريح القلب وتدخل على الزوجين السرور في نهاية اليوم أن نسبة كبيرة من المصريين باتت غير مهتمة إلا بقيم الحياة الاستهلاكية وتعليم الأبناء، والإنفاق على مصاريف البيت والعلاج، هذا غير مظاهر (التفاخر) التي باتت تشكل ظاهرة سيئة في سلوكيات المصريين.

- ووفقًا لدراسة عن أوجه إنفاق الأسر المصرية، فإن ميزانية المصريين تتوزع على عدد من البنود كالآتي:

- الطعام والشراب والصحة والتدخين تبلغ نسبة الإنفاق عليه ٤, ٦١٪
- المسكن وتجهيزاته ٣, ١٤٪
- الملابس ٧, ٩٪.

السجائر (طبقًا لأرقام الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء ٨ مليارات جنيه سنويًا).

- المحمول تبلغ تكلفة المكالمات نحو ٢٥ مليار جنيه سنويًا.

- على الرغم من ملامح الأزمة المالية العالمية فإن مؤشرًا أعدته شركة (ماستركارد) العالمية لأولويات الشراء لدى المصريين أكد أن ٥٧٪ من شملتهم العينة سينفقون معظم دخولهم على بند الترفيه رغم توقع استمرار التباطؤ الاقتصادي وتبقى نسبة ٣٥٪ من المصريين لا تعرف المصيف على الإطلاق، وهي نسبة تتوافق مع نسبة الفقراء في مصر.

- إن المصريين قد فقدوا القدرة على الحلم والطموح رغم أنها من أبسط (المباحات).
- وإن غالبية طموح المصريين تتلخص في: الستر والصحة، وهي مطالب مشروعة ولكن لا يصلح أن تكون هي كل الطموح، فأي متعة يجنيها الإنسان إن لم يكن دون حلم يسعى لتحقيقه في الغد.
- ذلك لأن الكثير من الأمور (السيئة وغير الإنسانية) قد دخلت تباعاً إلى حياة المصريين (خاصة في الآونة الأخيرة) مثلاً:

(أ) عدم وجود مياه نظيفة (بل اختلطت بمياه المجاري).

(ب) زيادة نسبة التلوث في كل شيء، حتى الهواء، ولعل مصطلح السحابة السوداء التي تلوث سماء القاهرة كمثال خير نموذج على ذلك.

(جـ) ارتفاع تكاليف الكهرباء (ويكفي أن الدولة في الفترة الأخيرة قد أضافت الزبالة على الكهرباء، ولابد أن تدفع)، صحيح أن البعض قد رفع عدة قضايا أمام المحاكم لعدم دستورية ذلك، وصحيح أن المحكمة قد أصدرت حكماً باتاً وقاطعاً ببطلان هذا الإجراء إلا أن فاتورة الكهرباء لم تخل من ذلك، وإذا لم يعجبك هذا الإجراء فليس أمامك كمواطن مقهور إلا أن تدق رأسك على الأقل في أقرب حائط، وحتى إذا شج رأسك فلن تجد المستشفى التي تستقبلك وتقدم لك العلاج المناسب إلا من مستشفيات الحكومة (كما تقول) مجرد هياكل ليس بها أي إمكانيات

وفي دراسة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالتعاون مع مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار (التابع لمجلس الوزراء) على عينة شملت (٢٠) محافظة مصرية أكدت الدراسة أن ٧ر٧٧٪ ممن شملتهم الدراسة عندما سئلوا عن كيفية تحقيق أحلامهم قالوا: «إنهم سايبنها على الله».

- وهو ما يفسر إقبال المصريين على السينما التي لا تزال تجد أحلامهم في نهاية سعيدة لا يبذلون لها أي مجهود حيث يصل عدد المصريين الذين يرتادون دور العرض السينمائي في فصل الصيف فقط نحو (٥) ملايين ينفقون فيها (٧٠) مليون جنيه فيما يقرب من (١٥٠) دار عرض، بينما يقدر إنفاقهم على المسرح بحوالي (٥١) مليون جنيه

(من خلال نشوى الحوفي، المصري اليوم، ٨/٦/٢٠٠٩)

ولكن الدراسة كما رأينا لا تقدم سببًا حقيقيًا قد أدى إلى كل هذه الكآبة لدى المصري. فمن هو المسئول عن البيئة الفاسدة، والغذاء الفاسد المروي بمياه المجاري، والهواء الفاسد، وسد كل أبواب الأمل في الحاضر وحتى في المستقبل؟، إنها بلا شك السلطة الفاسدة وأعوانهم الذين بذلوا كل مجهوداتهم في (حراب الواقع) وتخريبه.

ولذا فإن السلطة يهمها في المقام الأول ضرورة المحافظة على أمنها، واستخدام كافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة للمحافظة على كرسي السلطة

وفي دراسة قيمة قام بها (هشام الناصر) بعنوان أمن الدولة المصرية من محمد علي إلى مبارك:

استعرض الباحث كيفية وصول محمد علي (وهو من أصول ألبانية) ولم يصل إلى كرسي الحكم كما ذكر في تاريخنا عن طريق اختيار الزعماء المصريين له، ولكن وصل من خلال مؤامرة من نوع ما مع القنصل الفرنسي (جرانجيتي أو برفيتي) كانت فاعلة في دفع محمد علي إلى كرسي الحكم مقابل تسهيلات وشخصية تمثلت في استيلاء القنصل الفرنسي على كميات منتقاة من الآثار المصرية والتي كون منها متحفًا في (تورين بإيطاليا)، ووعود بتعاون مستقبلي مع الدولة الفرنسية وهو الأمر الذي ظهر لاحقًا في الانفتاح المصري على فرنسا من خلال إرسال البعثات العلمية والمستشارين العلميين

والعسكريين وبناء المدارس المتخصصة كالهندسة والحربية وبناء الترسانة البحرية وغيرها.

ولذا فإن نعم أن دعائم حكم محمد علي قد استندت على مبادئ أربعة رئيسية هي:

١ - البطش بالخصوم (نتذكر مذبحة القلعة عام ١٨١١م)

٢ - الميكافيلية (وخاصة مبدأ قيام الحاكم بتحطيم أولئك الذين ساعدوه أو دعموه بالوصول إلى سدة الحكم) (نتذكر ماذا فعل بالزعماء الذين ساعدوه)

٣ - الهيمنة على عناصر ومؤسسات الدولة الأساسية (مثل المؤسسات في ذلك الوقت: الشيوخ، التجار، والعسكر) إضافة إلى تأميم الأراضي الزراعية الصالحة ولصالح أسرته والمقربين منه

٤ - اللعب على المتناقضات (بدءاً من التناقض بين القنصل البريطاني والقنصل الفرنسي إلى الخلافات بين المماليك وشيوخ البلد الوطنيين، وبين التجار والمشايخ، وبين التجار فإنهم نعتبر سلعة محببة، وبين عناصر جيشه من ترك وألبان وأرمن وأكراد وأوربيون وبقايا مماليك راضخة، وبين المشايخ فإنهم من حيث المذاهب والأصول والأنساب. وبين المسلمين والأقباط ...إلخ.

ونفس الصورة السابقة قد تكررت في عهد الرئيس محمد أنور السادات من خلال:

١ - البطش بالخصوم (مذبحة مايو ١٩٧١م)

٢ - الميكافيلية في إقصاء كل من ساعده (إهانة وطرد اللواء الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري، البطش بمحمد حسنين هيكل، اللواء صادق رئيس الأركان، البطش بالزيات وهو مهندس تفصيل الدستور والقوانين المعيبة مع جمال المطيعي وغيرهم).

٣- الهيمنة على عناصر الدولة الأساسية العسكرية بإعادة المشير أحمد إسماعيل إلى الخدمة كوزير للدفاع بعد محاكمته وطرده عقب حادثة رادار الزعفرانة أثناء حرب الاستنزاف (١٩٦٨ - ١٩٧٠م)، التجار، وتدليلهم رجال المال والأعمال الذين شكلوا طبقة (أو فئة منتفعة) وصلت إلى درجة المصاهرة. وكذلك الشيوخ (وبعدهم رجال القضاء الموالون للسلطة، ومفتي السلطة، ورجال الدين «شيخ الأزهر ووزير الأوقاف ومفتي الديار بدرجة أقل»)

٤- اللعب على المتناقضات، ومنها استمالة شعراوي جمعة بالتلويح له برئاسة الوزراء أو إحداث وقيعة بين مجموعة علي صبري، ومنها وأشهرها تعميق الخلافات بين اليساريين والقوميين وبين الجماعات الإسلامية التي تم تخليقها في الجامعات لضرب التيار اليساري (أو الشيوعي - وهي كلمة سيئة السمعة في الضمير المصري المعروف بالتدين بالفطرة).

كما نجد على ما سبق بأن مصر حتى مبارك والذي قوى الأمن الداخلي (الشرطة) ربما على حساب الجيش، إضافة إلى اللعب على الفتنة الطائفية، ومن الجدير بالذكر أن السادات كان أول من لعب بهذا الجانب بصورة واضحة من خلال أحداث الزاوية الحمراء وما تبعها من أحداث دامية فتنت تي القبض على كافة المثقفين في مصر والزج بهم إلى السجون وهو ما عجل بنهايته وقتله في حادث المنصة الشهير يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١م.

والخلاصة:

إن محمد علي - كمثال - قد نظر إلى الشعب المصري وكأنه مجرد إقطاعية له ولأسرته من بعده، وكلنا يتذكر ما قاله توفيق لأحمد عرابي حين قدم له مطالب الشعب؛ إذ قال له: «كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي وما أنتم إلا عبيد إحساننا».

وهكذا ينظر إليه الحكام سواء كانوا أجانب أم حتى أبناء البلد الذين حكمونا على أننا كذلك – مجرد (عزبة أو إقطاعية) يتصرفون فيها كيفما يشاء.. وهذا ما يفسر سلوك حسني مبارك حين ثار الشعب عليه، وأخذ يعدد إنجازاته أو يذكرها كل لحظة (في كلمته المقتضبة) التي ألقاها يوم الجمعة ٢٨/١/٢٠١١، والتي استمرت عدة دقائق كرر فيها "أنا رئيس الجمهورية" (وبمقتضى الصلاحيات المخولة لي بصفتي رئيس الجمهورية) بمقدار كل دقيقة يردد فيها هذه العبارة.

وفي دراسة رائعة وجديدة في الفكر السياسي للمفكر الراحل العراقي (هادي العلوي) عن سيكولوجية الحكام العرب: وهو يشير في صدر دراسته أنها مجرد (افتراضات) لأن هذه المسألة جد صعبة، ولكنه يتوصل إلى مجموعة من الفروض والتكهنات بخصوص هذا الأمر.

– يرى بضرورة الأخذ في الاعتبار المنشأ الذي يأتي منه الحكام، ويرى أنهم في الغالب يتم تصنيفهم طبقيًا، فهم خليط من ممثلي الإقطاع والبرجوازية في الأقطار المتطورة نسبيًا مثل مصر والشام والعراق، أو من النظم العشائرية أو القبلية مثل شبه الجزيرة العربية واليمن.

– أما الوضع الخاص لرجال الحكم فإنهم يتحدرون من المواقع التالية:

١– الجهاز الإداري ويأتي منه الوزراء وأحيانًا رؤساء الوزراء.

٢– من الجيش – وذلك في الانقلابات العسكرية– حيث تتألف الحكومة من الضباط بما في ذلك رئيس الدولة.

٣– تخصصات اجتماعية مستقلة ليس لها ماضي سياسي

٤- من وسط وطني، يحدث ذلك عندما تتألف حكومة إثر انتفاضة أو ثورة وطنية لا تحقق كامل أهدافها

أما عن أسباب الوصول إلى السلطة فيجملها في:

١- حصول الموافقة الشعبية وهذا يتجلى في الانتخابات الحرة النزيهة (ولا ترهق أو تريح نفسك من هذا الجانب؛ لأن كل حكامنا لم يأتوا من هذا الباب).

٢- الثورات المسلحة وهي على قسمين:

(أ) الانتفاضة الشعبية الشاملة.

(ب) الحرب الشعبية طويلة الأمد.

٣- الاغتزاني: من الأفضل لنا بنزع بمعنى التوثب المصحوب بالسرعة والطيش كما يؤخذ من طريقة استعماله، وللاغتزاء في الوقت الحاضر عدة أشكال بقدر ما يتعلق بالمنطقة العربية:

(أ) الانقلاب العسكري: والذي يتخذ أحد شكلين:

- عملية عسكرية بحتة من داخل الجيش.

- أو عصبة مختلطة يشترك فيها مع الجيش مغامرون مدنيون فتكون نوعًا من التنظيم السياسي.

(ب) الالتفاف حول حركة وطنية

(جـ) التواطؤ المباشر مع القوى الأجنبية (العمالة - الخيانة - الإمبريالية... إلخ المصطلحات التي تستخدمها في وصف من يقوم بهذا الفعل).

◆ ويترتب على (الاغتزاء) العديد من الصفات مثل:

- روح المغامرة

- العنف القمعي.

- النزعة الاستبدادية مثل احتقار الشعب.

- الخوف من الشعب في نفس الوقت.

وإن الوصول إلى الحكم في عالمنا العربي يكون عن طريق الأسلوب الأخير

• السمات الشخصية للحكام (خاصة العرب):

١- ضعف الشعور بالمسئولية الاجتماعية

٢- ضعف الحس التنموي.

٣- سلوكية الفرصة: ويظهر ذلك من خلال:

(أ) الاندفاع نحو المغامرة وخوض المعارك الخطرة وبطيش

(ب) الانغماس في اللهو.

(جـ) إمكانية أن يجمع (الحاكم) بين الأسلوبين المتناقضين معًا (أي المغامرة واللذة).

٤- اختيار شخصيات ضعيفة للمناصب الرسمية ذلك لأن الحاكم ديكتاتوري، ولذا فإنه لا يقبل أبدًا أن يقدم له رأيًا (ذكر مدير مكتب أحد الرؤساء العرب أنه كان - أي الرئيس المخلوع - يضرب الوزراء بالشلوت) ناهيك عن (سبهم) أو الصياح فيهم وكأنهم أطفال في حضرة سعادة مدير المدرسة مثلاً.

٥- الإذلال حيث يشعر أن كل شيء في البلد مسخر لخدمته، والإذلال باختصار أن يعطي الفرد لنفسه الحق في التصرف فيما لا يملكه غيره ممن يقف خارج وضعه الخاص، ولذا فإن السلطة (ينظر إليها الحاكم وكأنه وسيلة للكسب الشخصي وجمع أكبر قدر ممكن من الأموال والثروات ووضعها في حسابات سرية في البنوك الخارجية، ناهيك عن الاستثمار في العديد من المشروعات في الخارج ثم يوهم شعبه أنه يتناول الفول والطعمية وأنه فقير لا يملك أي أموال (كما قال - معمر القذافي - في إحدى خطبه للشعب الليبي بعد أن ثار عليه، وقد كذب هذا القول البيانات التي تسربت من بنوك سويسرا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا).

٦- يتصف بسيكولوجية العمالة حيث الولاء للأجنبي على حساب أبناء وطنه، وتلبية كل مطالب الأجنبي - حتى بدون أن يطلبها (ولعل نظرة سريعة إلى الواقع العربي وبعد تسريبات ويكليكس يتضح ذلك)

ولذا فإن طول فترة الرئيس في الحكم (٣٠ عامًا) وكانت الصورة ثم تتضح بعد، مما أدى إلى ظهور (فكرة التوريث)، ويذكر أن الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل هو أول من أثارها. ولذا فقد تلقفها الكثير من الكُتّاب وعارضوها.. حيث ظهرت العديد من الحركات المعارضة أشهرها (حركة كفاية)؛ حيث دفع الكثير من أعضائها ضريبة لذلك، نذكر منهم الأستاذ الدكتور/ عبدالوهاب المسيري الذي مرض في أواخر أيامه، ورفضت الدولة أن تعالجه على نفقتها رغم أنها تعالج الكثير من الفنانين والمطربين (وهم يجنون الملايين إبان عملهم في الفن والتمثيل)، وكذا دفع ثمن معارضة الدكتور/ عبدالحليم قنديل حيث تم (خطفه) ومتى؟ في إحدى ليالي رمضان. وقاموا مختطفوه (وهم بالتأكيد من رجال أمن الدولة أو حتى الرئاسة) وبعد أن قاموا بعصب عينيه أخذوه إلى الصحراء في طريق مصر السويس وأشبعوه ضربًا وسبًّا وجردوه من ملابسه ونزعوا عنه (نظارته الطبية) وتركوه هكذا في الصحراء حتى واصل سيرًا إلى الطريق الأسفلتي حيث أخذه في سيارته أحد المارة وتوقف عند كتيبة عسكرية لكي يرتدي ملابس تستر جسده العاري، وتقدم بلاغًا للنائب العام، وتم (حفظ البلاغ) كالعادة، وبناءً على تعليمات عليا، لكي ما أثر في حين استضفت إلى نوابه شخصيًا في برنامج (عصير الكتب) مع الكاتب بلال فضل عقب أحداث نجاح الثورة (أذيع البرنامج يوم الأحد ٢٠١١/٢/١٣) وكان يعمل في هذا الوقت بجريدة العربي الناصري. وكان لا يتسلم راتبه نظرًا لضعف إمكانيات الحزب والجريدة وكان يعتمد في الأساس عند اعتماده على الله بالطبع على مقالات كان يكتبها في جريدة (الراية

القطرية) حتى جاءه – في نفس الأسبوع الذي خطف وضرب وجرده من ملابسه وأهينت كرامته فيه وفي الشهر الفضيل الذي تحبس فيه الشياطين. ولكن شياطين الأمن والسلطة لا تحبس، ولا تحترم الشهر، ولا ترعوي، حتى جاء خطاب من الجريدة القطرية تشكره فيه على كتاباته السابقة، وأنها لن تقبل بعد الآن أي كتابات له، مما يعني (وقف التحليل الوجبة) لأسرته. عليك أن تفهم أن هنا لدينا فعل فاعل وليس مجرد الحظ أو الصدفة البحتة.

أيضًا دفع ثمن معارضته الكاتب الكبير/ إبراهيم عيسى والذي تولى رئاسة تحرير الدستور وانتقد كثيرًا الرئيس ومشروع التوريث، وحين تجرأ وكتب عن (صحة الرئيس) زج به إلى السجن: ووضع على كاهله العديد من التهم أهمها أنه قد أدى إلى (إرباك وتعثر الاقتصاد المصري نظرًا لكتابته عن شائعة مرض الرئيس).. وكأن الحكام في عالمنا العربي هم (أنصاف آلهة) لا تمرض ولا تموت؟

وحين اقتربت انتخابات مجلس الشعب (٢٠١٠) تم اتخاذ العديد من الإجراءات أهمها: إقالته من رئاسة التحرير، وبيع الدستور في انقلاب مأساوي نظن أن الدولة أو السلطة العليا كانت لها يد فيها، ووقفه عن برنامج كان يقدمه في قناة (أون تي في) (بلادنا بالمصري)، وكتب كثيرًا عن (سيناريو) انتقال السلطة، موضحًا في إحدى مقالاته أن السيناريو مبني بالكامل على شيئين:

١- موافقة الولايات المتحدة لاستمرار حكم الرئيس مبارك.

٢- أن يتم انتقال السلطة في حياة الرئيس وعلى عينه، ومن ثم يكون متحكمًا في كل مقتضيات الأمور، وصاحب سلطة مطلقة ولا نهائية وعمل كل ما يروق له.. حيث تنتقل السلطة إلى نجله.

(إبراهيم عيسى، ١٣/ ٥/ ٢٠٠٩، الدستور)

ومن الغريب أنه في أواخر عهد حسني مبارك (قبل خلعه بناءً على إرادة الشعب) كانت كل الحوارات تدور حول محور واحد:

- إما أن يدخل الانتخابات التي كان من المقرر لها أكتوبر أو سبتمبر ٢٠١١، الرئيس شخصياً ثم بعد فترة يترك الحكم لابنه.

أو:

- يدخل مباشرة (نجله) بعد مباركة (الأب (مبارك))، وجمعة الباطل من أعضاء الحزب الوطني ومجلس الشعب والشورى (المطعون فيهما بالتزوير وبالتالي عدم شرعيتهما). وقس على ذلك - بالمرة - المجالس المحلية المنتشرة في ربوع ومدن وقرى مصر المحروسة من أسوان حتى الإسكندرية.

ولذا فقد كثر الحديث عن (سيناريوهات الحكم) في مصر خاصة مع رؤية الشعب واستقرائه للعديد من الملاحظات:

١- إجراء تعديلات دستورية (شكلية وهمية وبها عوار) خاصة في المادة (٧٦) والتي تعد من أكبر (المواد) طولاً في دساتير العالم، ونخلص إلى أنه قد تم (تفصيلها) من قبل ترزية القوانين في مصر، والحمد لله هم قلة والشعب يعرفهم، وتكاد أن تسد هذه المادة كل الطرق إلى أي مرشح آخر بخلاف الرئيس ونجله فقط.

٢- إلغاء الإشراف القضائي على الانتخابات (وبالدستور) مما يجعل الفجوة تزداد بين الشعب والحكومة. وأن (ضمانة النزاهة) لن تكون متوفرة.

٣- جعل مدة الرئاسة أبدية (حتى موت الرئيس)، وإن كان هناك نص يقبله العقل بأن يظل الرئيس (حتى بعد رحيله) ممسكاً بزمام الأمور في البلد فإن ترزية القوانين لن يتورعوا (قاتلهم الله وقبح وجوههم) عن كتابة هذا النص

٤ - وجود (تخبط) فيما يخص الشأن. إذ يخرج علينا مرة أمين الحزب الوطني (السابق) ليخبرنا: لم نعلن بعد الرئيس القادم، في حين أن الرئيس نفسه يقول في إحدى تصريحاته الصحفية إنه سيظل في الحكم حتى آخر (نفس) أو آخر (نبضة في القلب).

٥ - إن الصحف الحكومية تهلل للنجل وتفرد بتلميعه وزياراته إلى القرى الأكثر فقرًا في صعيد مصر، وإجراء حوارات معه... إلخ

٦ - إن (النجل) نفسه يقوم بزيارات (يعلن عنها) الإعلام الحكومي إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومقابلة المسئولين دون كشف النقاب عن محتوى هذه المقابلات وما يدور فيها. والشعب حتى يتصور أن النجل (يقدم فروض الطاعة لهم؛ حتى (يرضوا عنه) ويتم ترشيحه أو الموافقة عليه (بعد أن قدم الأب كافة التنازلات المطلوبة وصار الحليف لأمريكا ولإسرائيل - يذكر مشروع الغاز الطبيعي كمثال). وكان السؤال الذي يطرح نفسه: بأي صفة يزور (النجل) الولايات المتحدة ويقابل المسئولين؟

٧ - تولي (النجل) في ظروف غامضة (رئاسة أمانة السياسات) في الحزب الوطني. وهذا المنصب جد هام.. وقد اتضح ذلك من خلال (المهرجان) الذي كان يقام سنويًا (في الغالب كان يتم في شهر سبتمبر) حيث يتبارى كبار المسئولين في الحزب في (إحصاء) الإنجازات (وهي بالمناسبة كانت إنجازات وهمية ليس لها وجود في الواقع المصري أو ربما كانت إنجازات في وهم وخيال وإبداع وفكر قائليها فقط).

وعلى ما سبق أدى إلى طرح العديد من (السيناريوهات) حول السلطة (القادمة) في مصر خاصة وأن الرئيس كان قد بلغ الثالثة والثمانين من عمره المديد، ومعنى أن يدخل فترة سادسة مقدارها ست سنوات معناها أن يكون قد اقترب في عمره من التسعين أي سن النضج والخبرة والحكمة.

وقد طرح د. عمار علي حسن العديد من السيناريوهات للحكم في مصر بعضها تقليدي مثل:

١- يقوم نظام الحكم بإصلاح نفسه سريعًا ويحارب الفساد (لكن هذا السيناريو بفضل الله لم يحدث وكان لن يحدث!).

٢- يستمر النظام في أدائه الهابط معتمدًا على القوة الأمنية الساحقة، فتسقط الدولة المصرية في خاتمة المطاف في حجر جماعة الإخوان المسلمين (وهذا السيناريو لم يحدث والحمد لله!).

٣- يتحالف النظام مع الإخوان المسلمين مع الأخذ في الاعتبار أن هذا الاحتمال أو قبول خروج هذا التكتيك لن يكون منه بد في ظل تدهور الأوضاع (والحمد لله هذا السيناريو لم يحدث)

٤- يمضي النظام قدمًا في التوريث دون التفات إلى معارضيه، وهذه مسألة تتراكم الشواهد عليها، وإن كانت تواجهها عقبات كثيرة (والحمد لله رفضها الشعب في ثورته المباركة، وذكر في هتافاته أن الحل باطل وكل ما قبله باطل....إلخ)

٥- يحدث تغير لحظي قد ينبع هنا إما بفعل (الحتمية البيولوجية) و(القدر المحتوم) أو بوقوع هبة شعبية على خلفيات اجتماعية على غرار ما شهدته مصر في بعض فترات تاريخها الحديث أو تدخل قوة ما تصبيها أمن مصر القومي وتلبية احتياجات شعبها، وشوقه إلى التغيير. وهنا قد تعاد صياغة قواعد اللعبة السياسية، وتسنح الفرصة لصعود أصحاب تفكير مختلف، وأبناء طبقات جديدة.

ويطرح الكاتب أيضًا العديد من السيناريوهات للحكم في مصر بعد أن وصلت الأمور إلى درجة من (الجمود) في كل المجالات رغم أن النظام (وحمنة المباخر) يتغنون ليل نهار بالاستقرار.

(عمار علي حسن، ٢/ ١١/ ٢٠٠٩، المصري اليوم)

لكن ماذا يحدث إذا عرف الرئيس أن الشعب قد ثار عليه وأخذ في التمرد على حكمه وسلطاته؟

لعل ثورة تونس ومصر ثم الثورات الشعبية التي اندلعت في العديد من الدول العربية مثل: ليبيا واليمن والجزائر والمغرب والعراق والبحرين (والتي تندلع بدرجة أو بأخرى إبان كتابة هذه الدراسة) تصنع لأن نفهم الوضع أكثر

أولًا: أن من يتولى السلطة في عالمنا العربي فإنه يضع في اعتباره أنه لن يترك الكرسي إلا بالموت، ولذا حتى وقت قريب لم يك في عالمنا العربي (رئيس سابق).

ثانيًا: إن أي رئيس يتولى السلطة يحاول تحصين نفسه بطرق متعددة حتى تضمن له (بقاء الكرسي) عن طريق الكثير من الإجراءات مثل:

(أ) تزوير الانتخابات (نذكر أن نتيجة ٩٩,٩٩٩٪ في عالمنا العربي كانت هي النتيجة الوحيدة لانتخابات الرئاسة المزورة في عالمنا العربي. وأذكر أن وزير الداخلية إبان عهد الرئيس السادات كان يذهب إليه في منزله في ميت أبو الكوم ليبلغه بالنتيجة (٩٩,٩٩٩٪) مرالغة، وأنه يأسف على ١٠٠٪ هذا (الكذب والحقير) الذي لا لا. وأظن أن الرئيس الراحل أنور السادات كان يضحك ويهون الأمر على وزير داخليه قائلاً: ولا يهمك يا نبوي إنه من القلة المندسة؟

(ب) البطش الأمني باستخدام عصا الأمن. ولذا فإن الرئيس نفسه - أو أي أحد في السلطة في عالمنا العربي - يختار بعناية فائقة وزير داخليته؛ لأن الوزير يساوي أمن واستقرار السلطة والحكم، ولذا فإن باب خرق حقوق الإنسان والقوانين والأعراف الدولية (وقل ما تشاء حتى لا نستهلك الورق وتضييع الوقت) في البطش والقهر بكل من يحاول أو يجرؤ على أن يتفوه بكلمة (معارضة) (أو حتى ينتوي ذلك) - لا قدر الله مستقبلاً

(جـ) اختيار كتيبة من (المنافقين) يتولون المناصب الإعلامية، ويحرص هؤلاء على عدة أمور أهمها

لابد يوميًا أن نجد صورة السيد الرئيس تتصدر الصفحة الأولى حتى وإن كان قد أرسل برقية تهنئة أو تعزية لأحد الملوك أو الأمراء أو أي إمارة صغيرة في العالم

- إلى جانب صورة الرئيس - أو بعد قليلاً - لكن في نفس الصفحة الأولى نجد صورة الزوجة (ماما سوزان السيدة الأولى) نظرًا لأنها ترأس جميع المؤسسات والمشاريع الخيرية.. وعلى مقربة صورة (النجل) المرتقب.

- أن يكون المقال الافتتاحي (خاصة في العدد الأسبوعي للجريدة، ولا مانع أن يكون ذلك في جميع الأعداد أي في جميع الأيام) تمجيدًا أو ثناءً بالرئيس وبحكمته: بل وإن رؤساء أمريكا وفرنسا وإيطاليا (أي دولة كبرى) تستشيره في القضايا (التي تخصهم) وتأخذ برأيه.

- التغني بأمجاد الرئيس وإنجازاته (سواء الواقعية أو المتخيلة) وأنه لولا الرئيس - أصبح عندنا في كل بلد عربي، ولا أخص قطرًا بعينه - وأنه لولا حبه واهتمامه إلى البلد لكنا الآن نعيش في (رحاب العصور الحجرية).

- التأكيد على أن الرئيس - أي أحد في السلطة وفي أي بلد عربي - يسهر على راحة الشعب، ولست واثق أن الرئيس - أي رئيس حتى لا تفهمني خطأ - إنما سهر لياليه يسهر لأغراض أخرى تخصه لا تخفى على شعب

- التأكيد على أن الرئيس - أي رئيس أو حاكم - وجوده يعني صمام الأمن والأمان للبلد، ولولا حكمته وفكره المبدع الخلاق لكانت إسرائيل - ومن وراءها أمريكا والدول الإمبريالية - كانت قد احترمتنا ودمرتنا، ولذلك يجب أن يوقر في الأذهان أن بقاء الرئيس - أي رئيس أو حاكم

إنما يعني بقاء الشعب واستمرار التنمية والرخاء والرفاهية والتي لن نجد لها مثيلاً في الآخرة إن شاء الله).

- إبراز أزمة أو مشكلة ثم (الرجاء) للرئيس أن يتدخل لحلها، وأنه الوحيد الذي (يشفي) الجراح، ويضمدها ويحقق الأحلام والطموحات.. وكأن الذين يديرون الأجهزة التي سببت المشكلة للمواطنين هم مجرد (أشباح)... فإننا نتدخل أمام رؤساء التحرير بحكمته وإنسانيته التي بلا حدود، ولولاه لكان الشعب الآن (مستقراً) بلا حراك في القبور وتحت الثرى).

- إذا منح الرئيس - أي رئيس أو حاكم - أي حق للشعب، فإن هذا (مكرمة) (وكرم) لا يقدر، ولذا يجب أن نبالغ في تقديم الشكر للرئيس (مثل إدخال مياه نقية إلى منطقة ما أو كهرباء أو طرق أو خطوط مواصلات ...إلخ، ونظن أن مثل هذه الأشياء هي من حقوق المواطن الأساسية التي يجب أن تهتم بإنشائها الدولة، وأنها إذا لم تفعل ذلك فإنها تكون قد (أجرمت في حقه)

- التهليل والمبالغة والوصف الكامل إذا قام الرئيس بفتح (كوبري) أو زيارة قام بها لمصنع.. خاصة إذا سأل (موظف أو عامل قد تم اختياره بعناية من قبل أمن الدولة والرئاسة والأمن المختص) وسأله عن صحته وأحواله وحنانه كأب (حنون) و(متأكد فيه) وخاصة إذا تواضع الرئيس في مشهد تمثيلي ووضع يده على كتف هذا المواطن الذي لم يختاره الرئيس عشوائياً؛ بل بناء على تعليمات الأمن.. يتم وضع هذه الصورة في صدر الصفحة الأولى ويكتب من أسفلها: هكذا هو الرئيس يحاور أبناءه بالود والحب

ونكتفي بهذا الرصد الذي انصب أغلبه على الحوافز وأترك ما يقدم عن الرئيس في التليفزيون (الحكومي) ورصد جميع أنشطته وذكرها في كل

نشرة، وفي الشريط الإخباري، وكأنها قصيدة رومانسية يجب أن نحفظها: من قابل، واتصل، ووجه، وأصدر أوامره.... إلخ.

ثالثًا: اختيار وزراء ورئيس الوزراء وحتى الآن لا توجد معايير (واضحة) لهذا الاختيار، فعلى أي أساس يختار الرئيس – أي رئيس في أي دولة– وزراءه.

بمعنى آخر: هل توجد معايير للاختيار؟

وهل هذه المعايير تكون مرتبطة بكفاءته في العمل وسمعته الطيبة؟ أم بالقبيلة أو العائلة التي ينتمي إليها.... إلخ.

واقع الأمر: لا توجد (معايير) نستطيع أن (نعول) عليها في كيفية اختيار الرئيس – أي رئيس – لوزرائه، وإذا تحدثنا عن الوزراء في (آخر عهد مبارك) سوف نجدهم ينقسمون إلى ثلاث فئات.

١ - وزراء قد تم اختيارهم من قبل الرئيس شخصيًا.

٢ - وزراء قد تم اختيارهم من قبل السيدة حرمه (نذكر وزير الثقافة ووزير الإعلام).

٣ - وزراء قد تم اختيارهم من قبل (نجله) نذكر وزراء رجال الأعمال مثل: السياحة والإسكان والصحة وغيرهم.

كما أن (النجل) على سبيل المثال – أيضًا - قد أقصى أحد أقطاب الحزب الوطني (المرحوم كمال الشاذلي) وأتى (بحليفه) أحمد عز ليحتل صدارة الحزب الوطني، ولذا لم يتعجب المراقبون حين وصف أحمد عز (في أكثر من مؤتمر من مؤتمرات الحزب الوطني السنوية إياها) حيث وصف (النجل) بأنه: مفجر الثورة وصانع التغيير في مصر، وطبعًا بعد أن يذكر ذلك ينطلق التصفيق حادًا وهازجًا، وما يفوت (النجل) واقفًا: ويتصنع (الانحناء) ليشكر (المصفقين).

بالضبط كيف يتم (صنع القرار؟). لا أتحدث عن مصر فقط، ولكن هذا الأمر مجهولاً ومبهماً. وأذكر أن الأستاذ إبراهيم سعدة (إبان رئاسته لتحرير جريدة أخبار اليوم) قد فتح المجال للكاتب الكبير: محمد حسنين هيكل للكتابة في أخبار اليوم (بعد أن أقصاه الرئيس الراحل أنور السادات، وأذكر أنه قد فتح هذا الموضوع، ولكن سرعان ما اختفى محمد حسنين هيكل من أخبار اليوم، بل ومن الكتابة في أي صحيفة في مصر، بل ومن الظهور الإعلامي في أي قناة (مصرية) ولم يدخل التليفزيون المصري (يجري معه (محمود سعد) حواراً إلا بعد أن قامت ثورة يناير ٢٠١١

- فهل يتم صناعة القرار من قبل لجنة من المستشارين للرئيس؟ أي رئيس؟
- وكيف يتم - بداية - اختيار هذه اللجنة
- أم أن الرئيس - أي رئيس - يطلب إجراء دراسات متخصصة في المجال أو من المجال الذي (ينوي) إصدار قرار فيه.
- وهل (يرجع) إلى (المتخصصين) في هذا الأمر؟ أم أنه يأخذ برأي أهل الثقة أي المقربين منه حتى وإن كانوا يفتقدون إلى الخبرة اللازمة والكافية في هذا الأمر؟

وبما أنه ليس لدينا أي معلومات نستطيع أن نستقي منها الإجابة عن هذا التساؤل، فإن ما طرحناه من تساؤلات يعد في حد ذاته (احتمالات للإجابة) لأن السؤال نصف الإجابة إن لم يكن هناك إجابة.

وأخيراً نسأل: هل الرئيس من الممكن أن يتخذ القرار وفقاً لما (يطن) في رأسه من أفكار وانفعالات معينة؟

نعتقد أن أي رئيس في عالمنا العربي يعتمد على فكرة أساسية وهي: ضرورة تأمين نفسه من الأعداء والمعارضين والخونة والبلطجية والإرهابيين أو الجرذان والقطط والجراثيم - كما وصف العقيد القذافي

القائم بالثورة ضده في ليبيا- ولذا فإن الرئيس لا يمكن أبدًا أن يخطر في باله أن يثور الشعب؛ لأنه مع مرور الأيام قد ينسى من الأساس أن هناك شعب. وإذا ذكر أحد المساعدين له بضرورة إلقاء خطبة في مناسبة ما فإنه قد يفعل ذلك (على) أو يكلف أحدًا بالقيام بذلك أمثال: كأن يكلف الرئيس محافظ القاهرة أو وزير الأوقاف بأن ينوب عنه في الاحتفالات الدينية: نصف شعبان، وهلال رمضان ..إلخ).

لكن ماذا يفعل الرئيس إذا ثار الشعب عليه؟

يحدث له بالضبط ما يحدث حين يعرف أي فرد أنه (مُصاب) بمرض خطير مثل: الإيدز مثلاً أو الالتهاب الكبدي الوبائي (سي).

* حيث يمر الرئيس بالمراحل الآتية:

أولاً: الصدمة Shock:

حيث يشعر الرئيس - خاصة في السلطة وفي عالمنا العربي والذي يكون قد وطد نفسه أنها -- أي سلطته - سوف تكون أبدية بفضل كافة الإجراءات القمعية والدعائية والسياسية ..إلخ التي اتخذها حتى يضمن (خلود) على الكرسي. سوف لا شك سوف يُصاب بالصدمة حين يعرف أن الشعب (شعب إيه وأين هو؟) الذي يثور عليه.

وهنا فإنه يدخل في حالة نفسية سيئة وكذا عضوية تأخذ صورًا من الأمراض الآتية (أو من الممكن أن تتجمع لديه كل هذه الأعراض. وهذا يتضح من صورته حين يظهر على الشاشة بعد عدة أيام من المظاهرات والقتل والإصابات) هذه الأعراض هي:

- الإحساس بالإجهاد. - اضطراب النوم. - فقدان الشهية.
- العزلة الاجتماعية (لا اتصالات ولا لقاءات لا مع مسئولية في الداخل أو الخارج).

- انقلاب المزاجي (والذي يتراوح بين السخرية مما حدث ومحاولة تجاهله وبين الاكتئاب الحاد من إمكانية أن يحدث - خلعه - أو يجبر على ذلك) ولذا فإنه في هذا الجانب قد تنتقب مشاعر اليأس وفقدان الأمل.
- الدخول في تساؤلات فلسفية.
- توقف التفكير والإحساس بأنه عاجز عن استيعاب الموقف وخاصة في البدايات الأولى من إبلاغه بالحادث
- الذهول والشعور بالذنب.
- عدم تصديق ما حدث وأنه مجرد (سحابة صيف) سرعان ما سوف يقوم الآن (بلمها) كما كان يحدث في الماضي

تلك - من وجهة نظرنا - أبرز أعراض الصدمة التي تنتاب الرئيس - أي رئيس يتعرض لمثل هذا الموقف (ومن خلال استقراء أحداث المظاهرات والثورة على الأقل في ثلاث دول عربية: تونس - مصر - ليبيا) وهذا يفسر لنا (تأخر ردود أفعال الرؤساء على ذلك. مثال: اندلعت المظاهرات يوم الثلاثاء الموافق ٢٥/ ١/ ٢٠١١، وحدث ما حدث من قتل وإصابات كثيرة وعنف غير مبرر - على الإطلاق - من قبل الأمن وقبضته الحديدية والفولاذية اللاإنسانية ورغم ذلك فقد خرج الرئيس ببيان مقتضب أثناء فيه الحكومة في الساعة الواحدة صباحًا من يوم الجمعة.. فهل كان لابد أن يحدث كل هذا الوقت، وكل تلك الأحداث الجسام حتى (ينتبه) الرئيس إلى ضرورة إلقاء كلمة (تكون في الغالب تصب الزيت على النار ولا تستمع إلى مطالب الشعب)

ثانيًا: الشعور بالضغط Stress:

حيث يشعر الرئيس بعد أن يتم إبلاغه بمظاهرات الشعب ضده بحالة من (عدم التصديق) أو الدخول في حالة من الضحك والسخرية (نفرٌ لطوال تجاهل شيء اسمه شعب)، وأن هذا الشعب الذي أفهمه وزرع داخليته

للمتسابقين أنه مجرد - لا مؤاخذة - حذاء يضعه في قدمه إن أراد. أو يحتضنه راقصاً بشدة بنور عينه الآن... وربما يقوم الرئيس بإيذاء الشخص الذي قام بإبلاغه مع ما هو معروف عن الشخصية العربية "إننا يجب أن نسارع بإبلاغ الآخرين بالأخبار الجيدة الحسنة، ونتحاشى أن نقوم بذلك حين يكون الخبر سيئ (حتى لا يترتب على ذلك نتائج سيئة) قد يتحملها الشخص الذي قام بالإبلاغ عن الخبر السيئ.

وقد يدخل الرئيس في موجة من الضحك والسخرية ثم التهوين من هذه المظاهرات قائلاً لنفسه: (إن كان مازال يحمل في طياته تراث وفكر وعظمة هذا الشعب: يابا على الروس دقت طبول) ويظل يراوح - أيضاً في هذه المرحلة - بين اليأس والأمل مع غلبة الأول (مقرأ لإبلاغه من قبل وزير داخليته: يا فندم دول شوية عيال - مندسين - أكيد أرسلتهم أو حرضتهم إيران أو حزب الله أو حتى الموساد ويهدف إحداث - دولية - وسوف نتعامل بالأسلوب الذي اعتدنا عليه في التعامل معهم. ولن يستغرق الأمر أكثر من ساعتين. لسه العصا الغليظة وكل ما يرتبط بها موجود في أيدينا وتحت السيطرة فلا تشغل (سعادتك أو سيادتك) بمثل هذه التفاهات. لكن على مرور الوقت واستمرار المظاهرات والاحتجاجات تزداد الضغوط الواقعة على الرئيس فعلاً.. ويشعر أن (المسألة جد) وليس كما صورها له الوزير الخائب

ثالثاً: القلق Anxiety:

وهو رد فعل طبيعي - موجود عند جميع البشر - بغض النظر عن مكانتهم أو مناصبهم أو حتى عمرهم.. الخ في الخوف والذين لهم به صلة مثل زوجته والتي أصبحت - في لحظة من بعد أن تقلد منصبه - السيدة الأولى، والوجاهة التي تحيط بها أينما حلت سواء في الداخل أو الخارج وكذلك أبناءه الذين استطاعوا أن يكونوا أنفسهم، ويصبح لديهم ثروات

ومشاريع عملاقة (طبعًا من مصروفهم الخاص لأنهم أولاد يتميزون بالقدرة على التفكير والذكاء الوجداني والمالي، والذكاء اللا أنا مالي) . وكذلك الأخطار وضبابية المستقبل التي تنتظرهم ، بل وينتظر الجميع الآن.

ولذلك فإن السيد الرئيس يدخل في حالة من القلق والتوتر (وهي مشاعر نفسية) إلا أنها تنعكس على الحالة الجسدية حيث يعاني أيضًا من:

- الشعور بوخز في الصدر.
- صداع مستمر (تفشل المسكنات المعتادة في إسكات هذا اللعين الذي يتلبني ولا يهدأ).
- الإحساس بتنميل في الأطراف .
- الدخول في حالة من ضيق التنفس (أو كرشة النفس) وكأن جبل المقطم يجثم عليه .
- الإحساس بعدم التوازن (خاصة إذا حاول أن يسير)، ولذا فإنه يظل مضطرًا إلى الجلوس.
- الإحساس (بدوران الرأس) وأن رأسه غير ثابتة في مكانها.

وينعكس على ما سبق فيعجز عن اتخاذ القرار أو حتى محاولة التفكير فيما تم إبلاغه به الآن وما هو حادث في أرض الواقع.. ثم يزداد القلق إذا تم إبلاغه أن المظاهرات والاحتجاجات تتزايد رغم استخدام (العنف المفرط وبد الأمن ونادميه الخليفة ضده) .

رابعًا: الخوف من الموت السريع المبكر Fears Fearly Death أو نهاية سلطته أو حكمه التي كان يعتقد أنها مستمرة إلى أبد الآبدين:

ثم سلسلة الإجراءات التي اتخذها مع أسرته ومستشاريه حول الإجراءات والتدابير التي كانت تضمن له دوام استمراره في السلطة، ولكن ما هي رياح عاتية (نتمنى أن لا تكون كذلك يا حدم) تحاول إقلاعه عن هذا

المنصب.. خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن الرئيس في الدول النامية والعربية والإسلامية في الغالب إنما يعني أن الرئيس يملك كل شيء في البلد الذي يحكمه (الناس.. الأرض.. وما تحت الأرض من خيرات وثروات) وأنه كان بيده الأمر والنهي والفصل، أو حتى إفساد الفصل.. ناهيك عن الأضواء التي تلاحقه وصوره المبجلة والمنمقة والعظيمة التي تلاحق شعبه أينما حل أو تلفت أو نظر - حتى عنوة - فسوف يجد صورته وأنه هو البلد والبلد هي نفس القائد

الرئيس = مصـــر

مصـــر = الرئيس

إذن (وفقًا للمعادلة الرياضية) الرئيس هو مصر إلى تصور (هذه النهاية وانتهاء السطوة والسلطة والجبروت والقهر) بدخل الرئيس في العديد من المشاعر المؤلمة والتي تدخله في حالة من الخوف (بعد أن دخل في المرحلة السابقة في حالة من القهر)

ولنه يتساءل البعض عن الفرق بين القلق والخوف، فنقول إن:

القلق: - باختصار - هو شعور عام بالخشية، أو أن هناك مصيبة على وشك الوقوع (وهي هناك مصيبة أو كارثة أكثر من تهديد حكمه الأمن المستقر والضارب بجذوره في الأرض أكثر من هذا)، أو تهديدًا غير معلوم المصدر (حيث تكون الاحتجاجات هينة في البداية، ولا يعرف بالضبط من يرامها، وطبعًا لا يكون مصدقًا أنها من صنع وإرادة الشعب - هذا الشعب الذي نظر إليه وكأنه مسلوب الإرادة) مع شعور بالتوتر والشدة.. وأن هذا القلق يكون مصحوبًا بالعديد من الأعراض النفسية والجسمية والعقلية التي تسبب له (!)

في حين يعرف الخوف بالآتي:

١ - إنها استجابة غير متناسبة مع الموقف.

٢ - لا يمكن تفسيرها منطقيًا .

٣ - لا يستطيع الفرد التحكم فيها إراديًا

٤ - تؤدي إلى الهروب (حتى وإن كان هروبًا نفسيًا أو تغاضي عما يحدث في أرض الواقع) .

ولذا فإن الرئيس حين يدخل في هذه المرحلة فإنه تظهر عليه العديد من الأعراض لخصتها كتب الطب النفسي في:

١ - ارتفاع دقات القلب وزيادة سرعته .

٢- العرق .

٣- الارتجاف.

٤- مشاعر الضيق في التنفس والإحساس بالخمول.

٥ الشعور بالاختناق.

٦ - آلام في الصدر والشعور بعدم الارتياح.

٧- الإحساس بالغثيان (ضمنًا) وعدم الاستقرار في المعدة (بل الشعور بعدم الاستقرار في كافة الوقائع).

٨- الشعور بالدوخة والإحساس بالدوار أو الوقوع فعلاً في حالة إغماء (في الخطاب الأخير الذي ألقاه الرئيس قبل التنحي بساعات) وفي الكلمة المسجلة سمعنا من العالمين ببواطن الأمور أن الرئيس قد أصيب بالإغماء عدة مرات، ولذا فقد ظهر في الخطاب وكأنه مجهد.

٩ - فقدان الشعور بالواقع أو انعدام الشعور بالذات

١٠- الخوف من أن يفقد السيطرة على نفسه ويدخل بلا استئذان في حالة من الجنون والهذيان.

١١- الخوف من الموت (خاصة أن يقتص عليه أحد من الثائرين إليه)، ويكون قد تورط مع أولاء المتآمرين)، ويريد أن يقفز الكلب على الكرسي الذي اعتدت عليه واعتاد عني.

١٢- حدوث تشوش في الحس (خاصة الإحساس بالتنميل والوخز)، مع الأخذ في الاعتبار أن (سيادة أو سعادة) الرئيس يحدث له الآتي:

(أ) إما أن يشعر بهذه الأعراض (بعضها أو كلها) تظهر لديه بشكل مفاجئ.

(ب) إن هذه الأعراض قد تصل إلى قمتها خلال عشر دقائق.

(جـ) إن يشعر بنوبات فزع متعاقبة غير متوقعة

وأخيراً فقد وضع العلماء جدولاً يفرقون من خلاله بين القلق والخوف كالآتي:

محاور المقارنة	القلق	الخوف
١- السبب والموضوع .	مجهول	معروف
٢- التهديد.	داخلي	خارجي
٣- التعريف .	غامض	محدد
٤- الصراع .	موجود	غير موجود
٥- المدة.	مزمن	حادة

خامساً: الغضب Anger:

حيث يستمر غضب الرئيس في صور شتى:

(أ) فقد يتجه إلى الآخرين: إن السبب في اعتمادي على أناس لا يتحملون المسئولية ولا يتمتعون بالقدر الكافي والإخلاص المطلوب أن أظل (محافظاً ومستمراً)

ومقاومًا على (كرسي السلطة)، ولا فرق بعطف المسئول عن الأمن، بل ولد يتهكم عليه (فيه أجهزة الأمن، والاستخبارات، والمباحث، والقناصة فيه الأسلحة والقوة الضاربة التي لو يحتمي لها تساق ملايين، رغم هم (شوية عيال)، واقلة منحة؛ تهدد نظامي وتظهر عجزها وبذلك – عمومًا بعدم يخلص هذا الموضوع وتحصر على (الشوية عيال لفاعيص دول) أن يكون له معك حساب وأي حساب؟

(ب) أو يوجه سيادة الرئيس غضبه إلى القدر: كل الشعوب المحيطة بي أمورها مستقرة (فلان) يتولى حكم الدولة المجاورة (بالحديد والنار) منذ أكثر من (٤٠ عامًا) أي (يدوب داخل في الحكم على الثلاثين) لكن حظي أن أنني سمحت (بها حتى حرية) جلست (الكلاب من شعبي) يعارضونني (حتى لو كانت معارضة كدة وكدة)؛ في حين أن الذين أعرفهم في الحكم مثلي في البلاد المجاورة لا يسمحون أبدًا (حتى للنملة) أن تسير في اتجاه هم لم يحددوه لها. إلا تحت أيديهم وتحت بلدي.

(جـ) أو يوجه الغضب إلى الأهل: لقد اعتمدت على ابني وزرعت في نفسه أنه سيتولى الكرسي من بعدي. وما هو الآن قد انشغل بموضوعات أخرى سوف تجعل (لا قدر الله) الكرسي (يطير منه بل – استر يارب – ومني).. وليس الابن وحده هو المسئول عن ذلك، بل الزوجة التي انشغلت هي الأخرى (بالمظاهرة الاجتماعية) وافتتاح المشروعات والمكتبات والقراءة للجميع والتعليم للكبار والمناطق العشوائية.. في لقاءات مدبرة ولم تشغل نفسها – في الحفلة – بالمحافظة على الكرسي، وتكريس – ولو وقت قليل – لذلك.

وكل ما سبق يجعل سعادة الرئيس يدخل في حالة من العدوان والعنف تجاه الآخرين، وصب جام غضبه عليهم ولومهم

سادساً: الإنكار Denial:

وهو (أي الانكسار ولبس سيادة الرئيس) حيلة دفاعية يلجأ إليها الشخص للتشكيك في الأمر (الذي تم مصارحته به حالاً)، وأنه مجرد (تضخيم للأمور)، وأن هذا الأمر (تضخيم للأمور)، وأن هذا الأمر أي الاحتجاجات المزعومة تلك لا وجود لها إلا في خيال الشخص المريض الذي قام بإبلاغي.. وأنه لابد أن يكون (حاقد) وقد لا يصل أبداً مجرد الاستماع إلى ما حدث أو يحدث على أرض الواقع.

ولذا فقد وصف الرئيس التونسي (المخلوع) المتظاهرين بأنهم إرهابيون، في حين وصفهم الرئيس حسني مبارك (المخلوع) بأنهم بلطجية، في حين وصفهم الزعيم الليبي وملك ملوك الأفريقية (كما يحب أن يقال له) بأنهم جرذان وقطط وحرامية، بل وأنهم عيال قد غرر بهم ويتعاطون حبوب مهلوسة طالباً من أهلهم إلقاء القبض عليهم واحتجازهم له حتى يقوم بتربيتهم وتأديبهم.. مطالباً بسرعة إلقاء القبض عليهم؛ لأن مثل هذه الحبوب خطراً على القلب!!!

ولذا نجد تحدث فجوة بين مطالب (الشعب) في البداية أو بين (التنازلات) التي يقدمها الرئيس... وهي للأسف تكون تنازلات متأخرة.. مما يؤدي إلى إثارة الجماهير ورفض مثل هذه التنازلات المزعومة في نفس الوقت مع ارتفاع سقف مطالب الجماهير، وبدلاً من المناداة بإصلاح النظام تتواصل الطموحات والأحلام فتكون إسقاط النظام، ورحيل الرئيس، فيتكبر أو يتغاضى عن فهم (الرحيل) لأنه لم يعتاد على سماع مثل هذه الكلمة؛ لأنها غير موجودة أصلاً في قاموسه (حللت أهلاً ورحلت سهلاً) وهنا تقوم الجماهير بشرح هذه الكلمة (ارحل) له من بعد أن تكون قد كتبتها له بعدة لغات: عربي، إنجليزي، فرنسي، عبري... إلخ، فيقولون له بالغناء:

«ارحل يعني امشي..... إن كنت ما بتفهمشي»

سابعاً: الدخول في حالة من الاكتئاب Depression:

ويحدث كرد فعل متوقع نظراً لإحساسه البالغ بعد تخليه عن الكرسي، وأن أي يوم يمر دون أن يلبي مطالب الجماهير (التي تزداد عددها وتزداد مخاوفها وسخطها)، كما يحمل كل أحلامه التي كان قد آمن بها واحتضنها وتعايش معها لدرجة أنه انخدع يوماً وصار موقناً :

أن الحلم = الواقع .
وأن الواقع = الحلم
وأن كرسي السلطة = الحلم والواقع

ولكن ها هو (الحلم) يتبخر، والكرسي يبتعد بعد أن ظن لطول جلوسه على الكرسي أنه قد حدث توحد بينه وبين الكرسي لدرجة أنه كثيراً - أي سيادة الرئيس - قد حاول أن ينهض من على الكرسي ليمارس بعضاً من الألعاب الرياضية حتى يحافظ على استمرار رشاقته، إلا أن الكرسي رفض أن يترك (الرئيس) ينهض من عليه. وهنا يبتسم السيد الرئيس ممتناً وشاكراً للكرسي، والذي حدث وفاق (لله في لله) بينه وبين الكرسي... ولكن ها هم (المتظاهرون ومن أمثالهم) يحاولون (التفرقة) و(الخصام) و(حب السلطة) بيني وبينك. ألا نامت أعين الجبناء.

ثامناً: الإقرار بالواقع والهروب بعيداً عن المتظاهرين:

وهذا ما حدث بالضبط للرئيس التونسي حين هرب إلى الخارج، وهذا هو ما حدث بالضبط للرئيس السابق حسني مبارك حين استقر به المقام في شرم الشيخ (مع الأخذ في الاعتبار) أنها كانت (موضوعة في الأساس) لمثل هذا الاحتمال: وقد تدرب على ذلك كثيراً)... وعاش معظم أيامه الأخيرة هناك، وكانت الظروف الاضطرارية هي التي تدفعه إلى النزول إلى العاصمة حيث التلوث والضوضاء والضجيج الذي لم يعد الرئيس - وأحباؤه - يعتادون عليه.

خامسًا: تتزول أيضًا الاحتمالات بأن الرئيس حين يعدم بفراقه للكرسي فإنه من الممكن أن يفكر جديًا في الانتحار Suicide وقد يقوم على فعل هذا الشيء، وقد لا يقوم، وقد يستسلم للقدر لعل وعسى تنتهي هذه الزوبعة، ويتحد أصدقاؤه وحلفاؤه (في الداخل أو في الخارج) في محاولة لإعادته مرة أخرى إلى كرسي السلطة (الذي عشقه بل وقع في هواه حين رآه للمرة الأولى) وهذا ما ذكره محمد حسنين هيكل من مخاوفه من أن يكون تواجد الرئيس السابق محمد حسني مبارك خطرًا على الثورة. ولكننا نؤكد أن السلطة قد (طارت) وكل يوم يمر إنما يبعد المسافة بينه وبين الكرسي وأن الأمور (تتغير).. ولا يمكن أبدًا أن تعود الأمور إلى سابق عهدها. ومع ابتعاده عن (الكرسي) يتلاشى هذا الحلم الذي كان من الممكن أن يؤدي بحياته وحياة أسرته لو تمكن منه (المحتجون وولاد الأبه).. ويشكر الله سلم. ويعيش (منعمًا وغارقًا في أوهامه السابقة.. وكيف كان يملك كل شيء، أو يفعل أي شيء وأن الوزراء أو الشعب سوف يندم على أيامه تلك؛ لأنه - بتوقع أي رئيس - أن من سيأتي بعده لا يمكن أبدًا أن يحقق للشعب ما يريد، وأنه مهما قدم لهم من خدمات فإنه لن يقدم له مثلما - هو قدم - من خدمات.

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن السلطة، وهي كما رأينا حديث ذو شجون ولا ينتهي الحديث فيه ولا الاستغراب.

***



الشـــبـــاب



الشباب

لا نستطيع أن ننكر أن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ قام وشارك فيها جميع فئات وأطياف الشعب المصري، وهذه حقيقة، ولكن الحقيقة التي تسبق هذه الحقيقة أن الشباب كان لهم الفضل في إشعال الشرارة الأولى للثورة. وهذا هو الأهم والأخطر من وجهة نظرنا، ذلك لأن الأوضاع في مصر قد وصلت إلى درجة من الفساد لا يمكن بعدها السكوت عنها، وأنت غاضب وأنا غاضب، وهو غاضب.. ولكن من الذي يحاول في البداية (التمرد) على هذا الصمت.. إنهم الشباب. ولذلك حين وجد الشعب هذا الإصرار من قبل الشباب على مواصلة التمرد (وتغيير النظام) حتى انضم الجميع في الثورة ولم يعد هناك مجال لأي تردد؛ لأن (الفرصة) لاحت مناسبة.. وذلك أن تغضب وأن تعبر عن وجهة نظرك.

وسوف نلقي الضوء قليلاً على الشباب من المنظور النفسي قبل الحديث عن أدوارهم الرائعة في الثورة.

ولسنا في حاجة إلى التأكيد بأن الاهتمام بالشباب يعد في المقام الأول اهتماماً بمستقبل الإنسانية كلها. ومن ثم فإن الاتجاه إلى دراسة هذا القطاع يعد مؤشراً هاماً على تقدم المجتمع وتطوره من حيث أن الشباب يمثلون قوة العمل الأساسية والحقيقية في المجتمع، ويمثلون المستقبل وما سيؤول إليه فيما بعد. ويكفي أن نذكر كما - دائماً ما نردد - نعرف: أن الشباب هم نصف الحاضر وكل المستقبل.

إضافة إلى أن مرحلة الشباب تعد واحدة من أهم مراحل الحياة؛ لأنها المرحلة التي يكتسب فيها الشباب مهاراتهم البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية، وهي المهارات التي يتطلبها نموهم النفسي والاجتماعي والبدني

من أجل تنظيم علاقاتهم بأنفسهم وبالآخرين (بالواقع من حولهم)، فضلاً عن مرور الشباب بالعديد من الأزمات.

(سامي عبد القوي، محمد عويضة، ١٩٩٤، ص ٩٦)

كما أن جيل الشباب (مقارنة) بجيل الكبار والصغار أكثر حساسية للتحول والأكثر تفاعلاً معه وذلك لعدة اعتبارات:

١ - إن شريحة الشباب هي الشريحة الأكثر حساسية للتحولات التي تقع في الحاضر، ونظراً لأن مصالحها تقع في الحاضر والمستقبل فإنها تكون الشريحة الأكثر وعياً بمقتضيات هذه التحولات وتوجهاتها.

٢ - إن شريحة الشباب هي الشريحة صاحبة المستقبل، ومن ثم فهي تعمل جاهدة على ضرورة أن تكون هذه التحولات لصالحها.

(محمد نبع الله الخطيب وآخرون، ٢٠٠٠، ص ص ١٠ - ١١)

وبالرغم من وجود العديد من الدراسات التي تناولت قطاع الشباب فإن هناك ندرة واضحة في كم ومجالات هذه الدراسات.

ويلخص يوسف عز الدين صبري (١٩٨٩) أهم الصعوبات التي تواجه من يتصدى لدراسة الشباب في أمرين:

الأمر الأول: إن مفهوم الشباب في حد ذاته له معان مختلفة باختلاف الجماعات والباحثين ومنطلقاتهم.

الثاني: وجود ندرة واضحة دولياً للمؤشرات المتخصصة لقطاع الشباب.

(يوسف عز الدين صبري، ١٩٨٩، ص ٥١)

تعريف الشباب:

من هم الشباب؟ إن الإجابة على هذا التساؤل تقود إلى العديد من الاختلافات ليس فقط بين العلماء من تخصصات مختلفة بل داخل التخصص الواحد.

فعلى سبيل المثال يعرف علماء السكان الشباب بأنها المرحلة التي تقع ابتداء من سن الخامسة عشرة وحتى الخامسة والعشرين، وفي تعريف سكاني آخر هو المرحلة التي تقع بين سن الخامسة عشرة وحتى الثلاثين أو الخامسة والثلاثين

(علي ليلة، ١٩٩٣، ص ٢٨)

في حين يعرف علماء الاجتماع الشباب بأنهم فئة تتحدد من خلال طبيعة الأدوار الاجتماعية ومدى اكتمالها والتي يؤديها الشباب (أي من خلال عاملي الإنتاج – أي العمل – والزواج).

(علي ليلة، ١٩٩٣، ص ١٢٢)

في حين يركز تعريف آخر من تعريفات علم الاجتماع على أنه أهم سمة تميز فئة الشباب عما عداهم من (فئات عمرية أخرى) تتمثل في الرفض Rejection والذي يعد من أهم الظواهر اللافتة للنظر لدى فئة الشباب، وأن هذا الرفض لا ينشأ من فراغ، بل هو مرتبط بالعديد من الأنساق القيمية السائدة في المجتمع.

(سامية الساعاتي، ١٩٩٩، ص ١٣١)

في حين يعرف الشباب من وجهة نظر علماء النفس من خلال تحديد الآتي:

– تبدأ فترة الشباب Youth عادة ببزوغ فترة المراهقة Adolescence والتي يكتمل فيها النضج الجنسي عند الفرد، ويحدث ذلك عادة عند سن الخامسة عشرة، وأن فترة المراهقة والشباب تبدأ من خلال مجموعة من التغيرات البيولوجية التي من الممكن رصدها.

أي أن هذا التعريف يفرق ما بين ثلاثة أشياء هي:

– الشباب – المراهقة – مرحلة البلوغ.

في حين تعرف موسوعة علم النفس والتحليل النفسي الشباب من خلال الآتي:

فترة من العمر يطلق عليها مصطلح الشباب أو الصبا

- تمتد من سن ١٦ سنة إلى سن ٢٥ سنة تقريبًا.
- لا يجب أن نستند إلى تحديد فترة الشباب من خلال المعيار العمري فقط
- يجب الأخذ في الاعتبار العديد من المظاهر والمتغيرات النفسية والاجتماعية والجسمية التي تحدث للشباب من الجنسين وذلك لاشتراكهما في مظاهر جسمية ونفسية كثيرة في نفس المرحلة العمرية

(فرج طه وآخرون، ١٩٩٣، ص ص ٥-١-٦-١١)

لماذا الاهتمام بقطاع الشباب!

تتوافر مجموعة من الدوافع للاهتمام بالشباب نجملها في الآتي:

١- إن الشباب في أي مجتمع تمثل شريحة اجتماعية لا يستهان بها وتشغل وضعاً متميزاً في بنية أي مجتمع من المجتمعات

٢- إن فئة الشباب تعد أكثر الفترات العمرية حيوية وقدرة على العمل ومشاركة الحياة والإنتاج .

٣- إن فئة الشباب تعد الفئة العمرية التي يكاد يلازمها الشعور والتطلع أن يكون مكتملاً مما يقود ذلك إلى (التوافق) مع الذات أولاً ثم مع الآخرين ثانيًا.

٤- إن أي مجتمع من المجتمعات إنما ينهض ويتقدم - أو العكس - من خلال كيفية التوظيف الأمثل لطاقات شبابه .

٥- تأثر الشباب ببعضهم البعض، وغني عن البيان أن هذا (التأثر) قد يكون إيجابيًا، وقد يكون سلبيًا .

٦- قدرة الشباب على الرفض والثورات التي قد تغير من بنية العادات والتقاليد المألوفة.

٧- نظم العولمة والإنترنت (بكافة فضاءاته ومحتوياته) وكذا الفضائيات وأن هذا الكم من المعلومات والمعارف عن كل ما يجري أو يحدث داخل هذا الكون المترامي الأطراف قد ساهم بلا شك وخلق (لغة حوار) يكاد أن يكون مشتركًا بين الشباب. ولذا فإن هذه النظم وإجادة الشباب لها بسرعة تفوق سرعتنا نحن الكبار التي قد أكسبت الشباب مزيداً من الفهم والوعي، وصنعت لغة مشتركة وحواراً يمكن أن يمتد ليشمل جميع الموضوعات والأشياء بلا أي خطوط حمراء.

٨- إن الشباب هم الفئة الأكثر تقبلاً للتغيرات بل وسعياً إليها نظراً لأن طبيعتهم النفسية تنهض على:

- رفض السائد والمألوف
- السعي إلى ما هو جديد.
- محاولة (ابتكار) الأحسن.

٩- إن الشباب هم الفئة الأكثر حساسية لحالة المجتمع الصحية، وما إذا كان المجتمع يمر بمرحلة مرضية معينة (مثل انتشار الإدمان، أو التدخين، أو حتى الجريمة... إلخ)؛ وأن أي سلوك إجرامي إنما يصدر عن واقع ثقافي - اجتماعي - أخلاقي، قد يقود إلى ذلك وينعكس في نفسية الشباب من خلال ظواهر وأعراض مرضية أم لا

١٠- إن فئة الشباب هم الأكثر تأثرًا بالأفكار والأيديولوجيات وقد يدركون الفروق بينهم وبين الشباب الآخر (الأوروبي) مثلاً، وقد لا يدركون ذلك، ومن ثم يكون رد الفعل والذي يتجلى في صور مختلفة مثل:

- الهوس الديني.
- الإلحاد.
- الترف (أي الإغراق في الملذات)
- التطرف.
- العنف... إلخ

١١- إن فئة الشباب تعاني - بحكم هذه الفترة - العديد من المشكلات النفسية لعل أهمها: أزمة صراع الهوية تلك التي ذكرها (أريك إريكسون) في تقسيمه لمراحل عمر الإنسان، وأنه بناءً على هذه الأزمة وغيرها قد يتحدد ما إذا كان الفرد سيدخل إلى دائرة السواء النفسي أم لا.

١٢- إن فئة الشباب - كنوع من التمرد - هم أكثر الفئات استحداثًا لعديد من الظواهر السلوكية، أمكن حصرها في إحدى الدراسات العربية إلى (٣٢) مظهرًا سلوكيًا مثل:

١- التباهي بالتعامل مع الأماكن ذات الاسم المشهور (الأجنبي تحديدًا)
٢- تدخين السجائر الأجنبية .
٣- الجهر بالإفطار في شهر رمضان
٤- التباهي بوجود خلافات مع الآباء (أي أنه مستقل ومتمرد من سلطتهم) .
٥- شراء سيارة خاصة عند الالتحاق بالجامعة
٦- إقامة الحفلات الكبيرة والمكلفة في المناسبات المختلفة .
٧- التهكم والسخرية من الأهل وسط (ثلة الأصدقاء)
٨- الإقبال على العمل في الشركات الاستثمارية بغض النظر عن التخصص
٩- شراء الملابس المستوردة
١٠- تبني علاقات عاطفية بين الشباب والشابات
١١- تعاطي أنواع من المخدرات المختلفة
١٢- مصاحبة الفتيات
١٣- تقليد الأجانب.
١٤- الإقبال على العمل في مجال السياحة والفنادق
١٥- التهرب من أداء الخدمة العسكرية (بل والتباهي بذلك) .
١٦- قيادة السيارات بصورة مزعجة وبسرعة خارقة .

١٧ - مبالغة الفتيات في التزين والتحلي بالمشغولات الذهبية .

١٨ - السفر للخارج

١٩ - ارتداء البنطلون الجينز

٢٠ - التمسك الشديد بكل ما هو غربي حديث.

٢١ - التباهي بمخالفة القانون دون خوف من العقاب

٢٢ - الإقبال على تعلم الكمبيوتر واللغات الأجنبية

٢٣ - إحجام الشباب عن الزواج .

٢٤ - تفضيل كلية السياحة والفنادق على كليات الطب والهندسة.

٢٥ - التهافت على حضور حفلات المطربين والفرق الأجنبية

٢٦ - الميل إلى التدين بصورة مسرفة والتمسك الحرفي بالمظهر والشكل ولو على حساب المضمون

٢٧ - التهافت على شراء العطور الأجنبية

٢٨ - ارتداء الذكور للمشغولات الذهبية .

٢٩ - إهمال أية اهتمامات سياسية .

٣٠ - التباهي بالنجاح عن طريق الغش

٣١ - التعصب الرياضي.

٣٢ - مشاهدة الأفلام المخلة بالآداب.

(نادية إميل بنا، ١٩٩٣، ص ص ١٠٠-١٠١)

١٣ - إن فئة الشباب هم أكثر الفئات التي يستطيع (الآخر - المستعمر) أن يفرض ثقافته من خلالهم، ولعل سلسلة المطاعم الأجنبية الشهيرة أو تحبيذ تناول أنواع معينة من المشروبات (الغازية)، وكذا مشاهدة أفلام معينة؛ بل وتحبيذها عن كل ما هو (مصنوع) أو (منتج) في البيئة المصرية والعربية خير نموذج على ذلك .

١٤- إن فئة الشباب هم الأكثر إحساساً بالقهر، وبالتالي فهي شهدت - كمثال - الجامعات المصرية العديد من الاحتجاجات الطلابية خلال عقد السبعينات (من القرن الماضي). وكان أقوى تلك الاحتجاجات الذي اجتاح جميع الجامعات المصرية على مدى شهر ونصف الشهر تقريباً عام ١٩٩١م احتجاجاً على حرب العراق رغم إعلانها الانسحاب من الكويت .. وغيرها من الأسباب والعوامل التي تدفع بالطلاب إلى الاحتجاج

١٥- إن فئة الشباب هم أكثر الفئات في المجتمع دفاعاً عن المبادئ والمفاهيم وهم الذين خاضوا حروب الاستقلال تأكيداً لمبادئ الوطنية والحرية، كما أنهم - هم - الذين رفضوا أو تمردوا وتظاهروا مع قضايا عالمية تتحمل عبئها فئات من شريحة الشباب مثل الحرب في فيتنام وتلوث البيئة .. وغيرها من القضايا

(محمد حسن غانم، ٢٠٠٩: ١٦)

خصائص الشباب النفسية:

سوف نعتمد في عرض خصائص الشباب النفسية وفقاً ما قدمه (إريك إريكسون Erikson)، وذلك لعديد من الأسباب أهمها المفهوم الذي قدمه عن الأزمات المختلفة التي تواجهه كل مرحلة عمرية، فضلاً عن نظريته للفرد عبر مراحل حياته المختلفة منذ أن يولد إلى أن يموت .

ويمكن تلخيص وجهة نظر (أريكسون) إلى خصائص مرحلة الشباب في النقاط الآتية:

١- يواجه الشاب أزمة تكوين الهوية: من أنا؟ وإلى من أنتمي؟

٢- هذه الأزمة لا تبدأ بداية مرحلة المراهقة ثم تنتهي بفترة الشباب، وإنما هي عملية حياتية مستمرة في الغالب، بل وقد نجد جذور تكوين الذات أو

الهوية الإنسانية إلى مرحلة الطفولة وتحديداً منذ التحدي الأول الذي يواجه الفرد – أي فرد – هو مسألة الثقة من عدمها في (الأم) والأم في التحليل النهائي تعني الوطن – الأرض – العرض – الشرف – كل ما هو جميل، ويجعلك ترتبط بجذورك في هذه الأرض).

٢- إن فترة الشباب فترة أزمة حيث يواجه الفرد الشاب بمجموعة من الأزمات لابد من حسمها.

٣- تثور مجموعة من التساؤلات أهمها: عدم (تميع) الهوية وغيرها من التساؤلات والتي تأخذ مسارات سبعة من الصراع هي:

المسار الأول:

ويواجه هذا التساؤل القدرة على رؤية الأشياء وفقًا لأهميتها النسبية في مقابل (التشتت) في تقدير الوقت، وهذا البعد هام جداً حتى لا تختلط (الأزمان) لديه وهذه القدرة تظهر في بدايات مرحلة الشباب.

المسار الثاني:

ويواجه هذا التساؤل: القدرة على تأكيد الذات في مقابل الوعي بالذات وهو تساؤل يتم حسمه من خلال ثقة الشاب في نفسه وثقته بأنه – من خلال المستقبل – سوف يكون قادراً على إنجاز ما يريد.

المسار الثالث:

ويواجه هذا التساؤل. القدرة على اختبار الدور في مقابل (ركود) الدور. وينتهي هذا الصراع بوعي الشباب وقدرته على القيام بأدوار مختلفة يمارسها في المجتمع، وأنه من خلال هذه الأدوار سوف (يعي) هويته

المسار الرابع:

ويواجه هذا التساؤل: القدرة على اختبار المرض في مقابل العجز عن (الاستقرار) على المهنة التي يريد أن يكونها في المستقبل، ويتم حسم هذا

الصراع من خلال وعي – أو عدم وعي – الشخص بإمكانياته وقدراته التي تؤهله لأن يمتهن عمل، فإذا استقر في اختيار (العمل) فإن ذلك سوف يساهم بلا شك في تحديد – أكثر – لهويته.

المسار الخامس:

ويواجه هذا التساؤل: لتحديد الهوية النوعية أي إلى أي الفئات النوعية ينتمي (ذكور – إناث)، وما هي الصورة النمطية السائدة عن كل نوع (من وجهة نظر النوع نفسه، وكذا النوع الآخر)، ويلح (إريكسون) على أهمية أن ينمي الشاب الصورة (النمطية) عن نوعه (أي صفة)، ولا شك أن ذلك سوف يساهم في تحديد أفضل لهويته.

المسار السادس:

ويواجه هذا التساؤل الذي يتعلق (بالموقف من السلطة) من خلال أن يعي هذه الحقائق:

- ما هي أشكال السلطة؟
  كيف يتلقى الأوامر؟
- وممن من؟
- ومتى يرفض؟
- ومتى ينصاع؟
- وفي كل مرة كيف يأمن (غضب السلطة).

وهي تساؤلات لو أحسن الإجابة عنها، فسوف تساهم – بلا شك – في تحديد أفضل لهوية الشخص.

المسار المانع:

ويتميز بالقدرة على مجموعة من الأيديولوجيات أو المعتقدات التي يرى ضرورة الاعتقاد بها في مقابل (التشوش) وعدم الاستقرار على أيديولوجية محددة. وقد (يتشتت) بين أفكار وأيديولوجيات متعددة. وقد يستقر به المقام في الإيمان والإخلاص لمبدأ معين وأيديولوجية معينة

(Erikson, 1968)

ويؤكد إريكسون أن الشاب إذا استطاع أن يمر بحسم هذه (الصراعات) السبعة بنجاح فإن (شكل) الهوية التي تتكون لديه سوف تكتسب الثبات. وإذا فشل فسوف تكون صورته (هويته) مهزوزة، بل وفي تصوره - هو - لذاته

- **صورة الشباب كما أحبت وسائل الأعلام أن تعكسها:**

بما أن الشباب يمثل قوة الدفع في أي مجتمع نظراً للدوافع والأسباب التي انتهينا من ذكرها حالاً. فإن للمجتمعات الديكتاتورية تسعى بكافة الطرق والوسائل إلى إلهاء الشباب أو تحويل أنظارهم إلى أشياء حياتية يومية حتى ينشغلوا بها بعيداً عن السياسة (ووجع القلب).

وقد تم رصد الآتي:

أولاً: إلهاء الشباب بكرة القدم: ويتضح ذلك في المباريات التي يكون المنتخب القومي فيها طرفًا في (اللعب) مع منتخب لفريق آخر، وأن مباراة مصر والجزائر ليست ببعيدة إذا كنت تتذكر من خلال الشق الإعلامي الشواهد، وكأننا مقدمون على الدخول إلى معركة حربية، رغم أن كرة القدم في النهاية لابد أن تسفر عن ثلاثة احتمالات هي:

(أ) إما الفوز.

(ب) وإما الهزيمة.

(جـ) وإذا التعادل (وفي هذه الحالة إذا كان لابد من الحسم فلابد من اللجوء إلى ضربات الجزاء الترجيحية) التي ترجح كفة فريق على فريق آخر، مع الأخذ في الاعتبار عدة أمور:

(أ) لابد من الوضع في الاعتبار أن الحكم سوف يقع في أخطاء إما عن سهو أو عمد، وفي النهاية هو بشر، وأن الدخول في أخطاء شيء وارد. ولابد من (الإيمان) وليس (الظن) بذلك .

(ب) قد يكون الفريق ليس في حالته التي اعتاد الجمهور عليها للعديد من العوامل والأسباب

(جـ) قد تدفع الظروف ببعض العناصر الهامة أو القوة الضاربة في الفريق إلى الغياب عن الملعب للإصابة أو المرض أو عوامل نفسية أخرى وهذا شيء وارد ويجب أن نؤمن بذلك .

(د) قد يفاجئنا الخصم أو الفريق المنافس بأنه في أفضل حالاته، وأن فريقنا عاجز عن مجاراته، وهذا شيء وارد ولابد من الإيمان بذلك وأخذه بعين الاعتبار.

(هـ) قد يفشل المدرب لأسباب ما في القراءة (الصحيحة) لخطط وتكتيكات الفريق الآخر فيلجأ إلى تغييرات غير مؤثرة. بل قد تنعكس سلبًا على أداء الفريق، وهنا قد نمنى بهزيمة ساحقة.

(و) قد (ينقلب) الجمهور (وهو اللاعب رقم ١٢) والذي قد نعتبره داعمًا لاستبسال الفريق في الملعب. ولذا هذا الجمهور قد ينقلب على فريقنا وبدلاً من التشجيع يتجه إلى السب لبعض اللاعبين مما يخرجهم بدورهم عن طور التركيز، فينعكس أداؤهم سلبًا في الملعب، ولذا فإن العالمين ببواطن الأمور في الرياضة يعلمون جيدًا أن الجمهور سلاح ذو حدين قد يكون معك. وقد يكون ضدك: وعلى طول الخط حتى الأمل إبان هذه المباراة أو تلك .

(ز) الأخذ في الاعتبار الكثير من عوامل الحظ والصدفة. وهذا ما نشاهده كثيرًا إبان مشاهدتنا للمباريات، إذ قد يشوط لاعب كرة ما من منتصف الملعب، وتجد طريقها إلى الشبكة، وقد يكون هذا اللاعب الفرصة مواتية أمامه، وأمام الجون، ورغم ذلك (تطيش مشرفة)، وتعجز عن دخول (الشبكة). أو كما نرى في بعض المباريات قد يتحالف الجون مع الفريق فتصد الخشبة بعض الكرات وتخرجها إلى الخارج، وقد ترتطم الكورة بخشبة الجون وتجد طريقها بكل سهولة إلى الشبكة، وحتى ضربات الجزاء أو الخط الترجيحية يلعب فيها الحظ دورًا لا يُستهان به. ولذا لا يجب أن (نصر) على ضرورة (الفوز الكاسح) في جميع المباريات.

وبدلاً من أن تؤدي الرياضة إلى (تجميع) الشعوب، وإذا بها إلى خلافات سياسية أو حتى (قومية) نجد أنه قد يحدث (العكس).

إضافة إلى تشجيع الدولة – أحيانًا – لظهور صفة (التعصب) خاصة بين الفرق الكروية العريقة في التاريخ مثل (الأهلي والزمالك) في مصر مثلاً.

وأن (زرع) الولاء (للبلد) ورفع (الأعلام والرايات) و(الشحن الإعلامي) لمباراة مهما كانت أهميتها في كرة القدم لا يجب أبدًا أن نعول عليها حتى بت أعتقد كمتخصص في علم النفس أن الكرة تشجعها الدول خاصة في عالمنا العربي كنوع من المخدر أو الإلهاء للشباب حتى يجدوا شيئًا يتحمسون فيه أو يتعصبون له، أو يفرغون فيه طاقاتهم وعدوانيتهم، وحين تبث الدول في شعوبها ضرورة الوصول إلى كأس العالم، فإنها تستغل هذه (النشوة) التي دخل فيها الجمهور، فتلجأ – في الغالب – إلى استغلال (هذا الحدث) ويمكن أن ترفع (الأسعار)، وبعد أن ينفض مولد سيدي الكورة وكأس الأمم الأفريقية – كمثال – أو كأس القارات. أو حتى كأس العالم، يستيقظ المواطن على واقع قد ازداد (بؤسًا وقهرًا) وشقاءً.

ثانيًا: زرع الكثير من الاعتقادات أن الشباب (متحرشون) جنسيًا بالإناث، لدرجة أن صحيفة المصري اليوم قد أفردت فصولاً لهذا (الحادث). وكأن المجتمع قد تحول بين عشية أو ضحاها إلى (ذئاب) بشرية تبحث عن (ضحاياها) لكي تقوم (بافتراسها).

نقرأ مثلاً

١- في العمل ثمة مكان محكوم بأشخاص قادرين فتيات ونساء عاملات يتعرضن للتحرش. وأن هذا التحرش يتم في العمل ومن أحد زملائهن!!

٢- ضحية تقول: إن المجرم قد خطفني واغتصبني تحت تهديد السلاح. والمحكمة أنصفتني. وتعرض الصحافة القصة بهذه الإثارة: كنت في الشارع حوالي الساعة التاسعة مساء، وفوجئت بشخص غريب يشدني ويحاول أن يخطفني تحت تهديد السلاح فصرخت.. فضربني ودفع المطواة في وجهي فصرخت أكثر فضربني مرة ثانية بالمطواة في رجلي وخطفني من الشارع العام لمكان ما واغتصبني تحت تهديد السلاح....إلخ

(المصري اليوم ٢٧/ ٢/ ٢٠١٠، ص ١٤)

٣- تحت القبة ليلة القبض على متحرش، حيث تمت مناقشة بعض القوانين الخاصة بتشديد العقوبة على المتحرش تحت قبة مجلس الشعب، ولكن كان هناك انقسام بين مؤيد ورافض. والمشكلة أن الأعضاء أنفسهم قد انقسموا حول تعريف المتحرش.

(المصري اليوم ٢٧/ ٢/ ٢٠١٠، ص ١٤)

٤- حقوقيون في المجتمع يجعل المرأة ضحية وما تحتاجه هو تعديل القوانين الحالية (المصري اليوم ٢٧/ ٢/ ٢٠١٠، ص ١٤)

٥- جمهورية الشبهات. تحرش واغتصاب وهتك عرض والخلاصة أن (النص الحلو) لم يعد آمنًا. هذا ما تكشف عنه حوادث التحرش التي

تتوالى في كل مكان الشارع، المدارس، المواصلات، أماكن العمل والترفيه، نساء وصحن أنفسهن صيداً (فريسة) سهلة لا تحميهن سلطة الدولة، ولا يضمن لها المجتمع أمناً معقولاً.

(سارة نور الدين، المصري اليوم، ٢٧/ ٢/ ٢٠١٠، ص ١٤)

٩- دراسة عن: مركز حقوق الإنسان بعنوان: أسباب التحرش الجنسي متعددة والحل في يد المرأة. حيث تذكر الدراسة الحقائق الآتية:

١- إن ظاهرة التحرش الجنسي الجماعي قد عادت مرة خلال أيام عيد الفطر (٢٠٠٨) حيث تجمهر أكثر من (١٥٠) شاب في حي جامعة الدول العربية بحي المهندسين، ولم يكتفوا باستعمال الكلمات البذيئة والنابية، وإنما امتدت أيديهم لتمزيق ملابس الفتيات، ولم تسلم منهم لا سافرات، ولا محجبات، ولا حتى منتقبات.

٢- وفقاً للمركز المصري لحقوق المرأة وجد أن التحرش يتم على جميع النساء سواء من مصر أو حتى من النساء الأجنبيات حتى أن هذه الظاهرة قد طالت المحجبات والمنتقبات!؟

٣- إن الإحصاءات - في هذا الصدد - تشير إلى نسب عالية للتحرش.

٤- في الغالب فإن الضحية لا تبلغ (حتى تدخل في متاهات السين والجيم والفضائح).

٥- إن كل ما سبق يشير إلى أمرين:

(أ) غياب الأمن أو الحكومة

(ب) لا توجد قوانين رادعة لمواجهة هذه الظاهرة.

ثم نجد العديد من المقالات والدراسات حول التحرش مثل:

١- أفكار حول التحرش الجنسي في مصر.

(أحمد سعد عيد، الحوار المتمدن، العدد ٢٤٩٤، ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٨)

٢- دراسة: استفحال ظاهرة التحرش في مصر.

(المركز المصري لحقوق المرأة ١٧/ ٧/ ٢٠٠٨)

٣- شهود عيان يروون قصص التحرش الجنسي بفتيات في قلب القاهرة.

(جريدة الشرق الأوسط ٦/ ١١/ ٢٠٠٦)

٤- التحرش الجنسي كظاهرة اجتماعية في مصر

(محمد علي الأتاسي، ١٧/ ١١/ ٢٠٠٨)

٥- الأمن يمنع وقفة احتجاجية بوسط البلد للتنديد بوقائع التحرش الجنسي.

(موقع مصراوي، ٢٠٠٨)

٦- مصر تشهد حملات إعلامية ضد التحرش الجنسي.

٧- التحرش الجنسي إلى أين؟ (موقع مصراوي، ٢٠٠٨)

٨- صحف: التحرش الجنسي يصاحب الاحتفال بعيد الفطر و(١٠٠) شاب يهتكون أعراض (٣) فتيات في شارع جامعة الدول العربية

(موقع مصراوي، ٢٠٠٨)

٩- أسباب التحرش الجنسي متعددة في مصر. (صالون لي رشد، ٢٠٠٨)

١٠- حول ظاهرة التحرش الجنسي لفعلي بالنساء في المجتمعات العربية والإسلامية. (باسم عبيدات، موقع شباب مصر، ٢٠٠٨)

لدرجة أن (مصر) قد تم (تصنيفها) ضمن أكثر الدول التي يحدث بها تحرش، ولذا فإن حكومات الكثير من الدول الأوروبية تحذر رعاياها القادمين أو القادمات للسياحة في مصر.. من هذا الأمر"[١].

وأرى أن القضية مبالغ فيها، والهدف تشويه شباب مصر، وصحيح أننا لا ننكر وجود (بعض ظواهر) التحرش، ولكن (عالية): الشباب في مصر (بخير) بدليل أنه في ميدان التحرير واجتماع الملايين من الشباب والفتيات والنساء والرجال من مختلف الطوائف لم يحدث حالة تحرش واحدة، بل كان

الشباب حريصين على تحضر لم (آدمية) الفتاة أو المرأة.. فهل انقلب سلوك الشباب في مصر إبان فترات الثورة من النقيض إلى النقيض؟ وهل السلوك من السهولة أن يتحلى بهذه السهولة رغم عدم تلقي هؤلاء الشباب دروساً في الأخلاق، ومراعاة الذوق والآداب العامة. كما أن التحرش – لو سلمنا به ابتداء، فإن أسبابه تعود إلى العديد من العوامل أهمها: انتشار التعري والإثارة بدون وجود مشروع شرعي لإشباع مثل هذه الرغبات المشروعة، بدورها عن طريق الزواج، وتيسير السبل لإتمام أو لإشباع ذلك. إذن الدولة هي (المسئولة) عن هذه الظاهرة، نتيجة لغياب التخطيط الشامل والواعي. والذي يجب أن يأخذ بعين الاعتبار (احتياجات ومطالب هذه الفئة عن طريق:

(أ) توفير العمل.

(ب) توفير الدخل المناسب.

(جـ) التيسير في إيجاد المسكن المناسب.

ثالثاً. انحدار مستوى التعليم، سواء الجامعي أو قبل الجامعي، وعلى أساس أن كاتب هذه السطور (متورط) في التعليم الجامعي حيث يقوم بالبحث والتدريس، فإنه يمكن إجمال المثالب فيما يلي:

(أ) الاعتماد على المذكرات (بدلاً من المراجع)

(ب) إن هذه المذكرات يتم تحويله إلى (مجموعة أوراق) لابد من حفظها حتى يجتاز الطالب الامتحان.

(جـ) نشطت حركة بيع أو (توليع) الأسئلة في كل مادة، وأصبح التعليم مثل الوجبات السريعة أو التيك أواي.

(د) حتى لو نجح الطالب في الامتحان، فإن العنصر الأهم وهو إيجاد عمل لن يكون متاحاً أو متوفراً، وهنا بلاشك يجعل الطالب لا يبذل مجهوداً يجعل المادة العلمية التي يتلقاها تثبت في ذهنه أو على الأقل تمكن توظيفها

(هـ) مساوئ العلاقة بين المدرسين وبين الطلاب، وقد نشرت جريدة المدستور ٢٤/ ٢/ ٢٠١٠ كمثال نموذجًا من سوء العلاقة هذا إذ بين طالب تحول لمدرسها (في المرحلة الثانوية) (أنت حتعلم نفسك ولا أجي ألك) .. وتد تجرأ الطلاب على المدرسين لأسباب متعددة أهمها كما ذكر التحقيق (إلغاء الضرب في المدارس) ونضيف من عندنا عوامل أخرى تمثلت في (إجبار) الكثير من المدرسين الطلاب على أخذ دروس خصوصية، والمدرس مضطر إلى ذلك؛ لأن الراتب الذي يتقاضاه لا يفي بمصاريفه وطالما أن المدرس قد (مد يده) للطالب فهل يحترمه الطلاب إضافة إلى السخرية من المدرسين، والتركيز على بعض سلبيات بعضهم مثال نشر جريدة المصري اليوم (١٤/ ٦/ ٢٠٠٩، ص١) أن مدرس في إبانة متهم بهتك عرض عدد من الطالبات وتصويرهن أثناء ممارسته الجنسية معهن، وأن هذه (الصور) موجودة في (الهاتف الشخصي للمدرس)، وكذا في الـ (سي دي).. وأن أجهزة الأمن قد ألقت القبض على المدرس بعد انتشار الاسطوانات الجنسية له مع الطالبات، أو اعترف المتهم بتفاصيل الجريمة كاملة، ورغم أن الممارسات كانت تتم بالرضا، لكن التصوير كان دون علم الطالبات؟ [٢١] انتهى الخبر، وكأن المشكلة في التصوير، وليس في (الفعل) ذاته .

وعلى التسليم بوجود (منحرفين) و(شواذ) في كل مهنة، إلا أن التضخيم حول (فساد البعض) قد يجعل صورة المدرس (والذي وقر في أذهاننا أنه مقام الأب) تكون سيئة، وأن العقاب الجسمي بلا شك مرغوب ملجأ في مثل هذه الأحوال إلى (التعميم)، وأن (الجميع) شاذ ومنحرف بالرغم من أن الأغلبية ما زالت بخير.. لكي تظل مسألة (عدم حسم الدولة لقضية رواتب المدرسين وجميع رواتب الموظفين) هي الأساس الذي يجب أن تنتبه إليها الحكومة حتى تعود (للمدرس) هيبته وكرامته، كما كان الحال في ستينات القرن الماضي على الأقل.

رابعاً- التركيز من قبل الإعلام على بعض الظواهر الشاذة، والتي لا يمارسها إلا قلة لا يمكن أبداً أن نعممها على الشباب المصري، مثل

(أ) نشر موضوعات عن (ظاهرة الإيمو حيث تعرف بعض الشباب والشابات على هذه الظاهرة عن طريق الإنترنت، ولها طقوس معينة. وتحرص بالطبع الصحف على الكتابة عنها حتى تشغل الرأي العام عن القضايا الأساسية) .

(ب) ظاهرة عبدة الشيطان، وأذكر أن الصحف قد أفردت لها العديد من التحقيقات والصفحات حتى تمارس طريقتها المفضلة في (الإلهاء عن القضايا الأساسية) .

(جـ) الشات بين الزواج والعلاقات الخفية والنصب وأن الذين يدخلون إلى الإنترنت يمارسون هذا النوع من النصب أو إمكانية إقامة علاقات جنسية (ولك أن تتخيل الصورة التي سوف تترسب في الأذهان عن شباب يتعاطون النت، وسوف نعمم الصورة السيئة عن مثل هؤلاء الشباب ونصمهم بالكثير من الصفات السلبية

(د) ظواهر : اعرف شخصيتك من نغمة موبايلك

(هـ) تعليق عن: لماذا يدور الشباب بسياراتهم في الشوارع بلا هدف.

(و) في بيتنا إنترنت: انتشار ظاهرة الزواج الافتراضي بين الشباب، ومتخصصون اجتماعيون يقولون: إن انتشار علاقات الحب الالكتروني سببه التمرد على قيم سائدة .

(مجلة شئون سياسية ٢٨/ ٣/ ٢٠٠٩)

نظن أن ما سبق يمكن دحضه بأمرين:

الأول: إن هذه الظواهر لو كانت موجودة - وهي موجودة بالفعل- ولكنها ليست ظاهرة تستدعي كل هذا التركيز الإعلامي.

الثاني: إن الإنترنت كما نعلم سلاح ذو حدين أي يمكن أن يدخل الشباب (أو أي شخص) الإنترنت بهدف (جمع المعلومات) عن موضوع ما، في مقابل أن لجأ البعض (وهذا حقه ومن باب حب الاستطلاع) في البحث عن كل ما هو غريب وشاذ. لكن الحقيقة التي لا يجب أن تغيب عنا هي. هل أي شخص يدخل إلى الشبكة العنكبوتية لابد بالضرورة أن يبحث عن كل ما هو غريب وشاذ ولابد أن يكون هذا (الشخص) منحرفًا أو يعاني من (عقدة نفسية) حتى يبحث في الأساس عن مثل هذه الظواهر الغريبة والشاذة؟

خامسا: انتشار البطالة بين الشباب:

وهذه حقيقة، ورغم عدم وجود إحصاءات (ولو حتى تقريبية) نظرًا لأن الدولة (أي دولة) تحرص على تحسين صورتها حين تضطر إلى عرض مثل هذه الظواهر فإنها تلجأ إلى تقليص هذه الإحصاءات).

لكن نجد المسئولين يذكروننا بالحقيقة التي صدعوا رؤوسنا بها وخلاصتها أن (دولتنا) ليست هي الوحيدة في العالم؟! التي تعاني من مشكلة البطالة، بل إن أقوى وأغنى الدول في العالم تعاني من هذه الظاهرة (ويضربون المثل بأمريكا) باعتبار أنها القطب الأوحد والأعظم في هذا الجانب، ولكن ما يغيب عن تصريحات المسئولين حقيقة أخرى خلاصتها أن مثل هذه الدول تعرب الحالة بطالة، أو أنها تقدم العديد من الخدمات (على الأقل الصحية)، والتي تجعل (هذا الفرد) لا يشعر بكل هذا الفراغ والاغتراب والضياع الذي يعانيه الشاب العاطل (أو المعطل) عندنا.

كما أن كثيرا من الشباب يلجأون إلى البحث عن (أي عمل) حتى وإن كان لا يتناسب مع مؤهله ورغم ذلك فإن مسألة (الواسطة والمحسوبية) تلعب دورا لا يستهان به في أن يعمل (س) ولا يعمل (ص) بالرغم من أن (تقدير س العلمي) أقل بكثير من تقدير (ص) ولكن (س) له (واسطة) واحضر

(كارت التوصية) في حين أن المدعو (س) لم يعثر على (كارت توصية) حتى تاريخه، لذا وجب عليه أن يتحمل مسئولية التأخير هذه (وليس نحن).

كما أنني قد شاهدت الكثير من الشباب وهو يعمل في مهن لا تتناسب أبدًا مع سنوات دراسته مثل: عامل في مقهى (أو كافتريا حتى لا نغضب) أو في محل (كباب) ... إلخ.

بالرغم من أن البعض يحاول أن يجعل هذه الظاهرة عالمية (كما سبق وقلت) وليست محلية أو مقتصرة على مصر (انظر كمثال: علي الديب، العالم العربي يقف على بركان البطالة، ٢٠٠٨، الإنترنت)

وإن الذين يتعرضون لمناقشة هذه الظاهرة لا يحملون - إلا فيما ندر - الدولة مسئوليتها من ذلك.

سابعًا: اضطرار الكثير من الشباب إلى الهجرة (سواء أكانت هجرة مؤقتة إلى الدول العربية - وفي الغالب الدول الخليجية أو حتى إلى ليبيا أو الأردن، أو الدول الأوربية، رغم أن بعضهم يتعرض لمعاملة سيئة لأسباب متعددة.

ولعل حوادث الموت التي يروح ضحيتها الكثير من الشباب من جراء الهجرة إلى الدول الأوروبية وموتهم غرقًا في البحر: وحتى المفتي يرفض التصريح بأنهم شهداء، مما يزيد من الآثار الضارة على ذويهم... "ألا يجعلنا ذلك نتساءل مضطرين:

لماذا يقوم مثل هؤلاء الشباب بمغامرة نسبة النجاح فيها يكون ١٪ والفشل (الغرق أو حتى الإمساك به ٩٩٪) ورغم ذلك يغامر الشاب ويتمسك بالأمل ١٪؟ أليس حال لسانه يقول: إن ١٪ أمل أفضل من لا أمل"

أليست تصريحات الرئيس في أكثر من خطاب له بأن المستقبل (مظلم أو أسود) يؤدي إلى نتائج سلبية ومرة في نفوس هؤلاء الشباب، فيضطرون إلى المغامرة والموت غرقًا؟ بعد أن يكونوا قد اقترضوا من أجل الركض وراء

سراب نسبة نجاحه ١٠٪، ألا تتحمل الدولة (حرجًا ولا تتحمل كل) هذا الفقدان للأمل لدى هؤلاء الشباب وتحويل أحلامهم إلى كوابيس.

***

والخلاصة:

إن أجهزة الإعلام حاولت أن تلهي الشباب وتشوه صورتهم وقد اتضح ذلك حين سأل مندوب قناة الجزيرة في مصر (تحل الرئيس) لدى أحد المؤتمرات الشعبية عن رأيه في شباب (الفيس بوك) فسخر (البطل) وضحك وقال له: دعليك بيهم يا حسين! وضجت القاعة بالضحك من الوزراء والمقاتلة الخاضعة (بصحبتهم بالطبع) وكل الحضور والاستخفاف تمثل هؤلاء الشباب الذين أثبتوا لنا وللعالم أنهم محترمون ومثقفون، ولديهم وعي وحس يفوق بمراحل ذلك الوعي الموجود عند أغلب من بيدهم الأمر.

وقد ظهر ذلك جليًا إبان أيام ثورة يناير المجيدة والخالدة حيث: الإرادة والتصميم على تحقيق الهدف والمحافظة على الهدوء (رغم كافة محاولات البلطجة ومحاولة تنكيلهم بكافة الأساليب غير المشروعة. واستخدام الآلة الحربية للبطش بهم، ورغم ذلك صمدوا في وجه كل هذه المحاولات.. وحين لمس الشعب ذلك منهم شاركهم بكل حب وفخر وتألم جدًا لدمائهم الذكية التي سالت على تراب مصر، مؤكدًا أن الحصول على الحرية والعدالة والكرامة، والإحساس بالانتماء إلى الوطن، وأن هذا الوطن قد عاد لنا (بعد طول غياب) له ثمن وأن لا شيء أبدًا يأتي بالمجان

فتحية حب وتقدير وامتنان لكل من ساهم أو ضحى بروحه أو بدمائه الذكية في سبيل (تحرير) الأرض ومن قبلها النفس.

***

أسباب ثورة
٢٥ يناير ٢٠١١م



أسباب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١

بداية الثورة تعني التمرد والرغبة في الخلاص من وضع قائم مزري إلى وضع آخر أفضل وأكثر حرية وعدالة وإنسانية.

والتاريخ يعلمنا أن الكثير من الأفراد يثورون ضد وضع قائم مرير، ولكن بعد فترة (نظراً لطول المكوث في السلطة والإصابة بالفساد) فإن الوضع الذي كان جديداً منذ فترة يستدعي بدوره ثورة، لأنه قد وقع في نفس الأخطاء التي ثار (أصحابها الآن) عليها منذ سنوات.

ورغم أنني سوف أورد بعد قليل ما تم ذكره من أسباب الثورة المصرية الشعبية أو ثورة اللوتس أو الثورة البيضاء (كما ورد في ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)، إلا أنني سوف أذكر أهم سبب أدى إلى اندلاع الثورة.

وهو باختصار (**طول البقاء في السلطة**) حيث إن أي حاكم خاصة في عالمنا العربي حين يتولى كرسي الرئاسة فإنه يسعى في السنوات الأولى – وبرغبة صادقة – إلى إدخال العديد من التعديلات الأساسية والجوهرية، فإذا طال بقاؤه في السلطة فإنه لا يعنيه سوى المحافظة على مصالحه، وبالتالي مصالح المنتفعين الذين يحيطون به، ويصورون له ليل نهار أن بقاءه في السلطة هو صمام الأمن والأمان، ولولا قيادته الحكيمة لكانت البلاد الآن في خبر كان. كما أن السلطة في بلادنا لها خصوصية خاصة ولقد أعجبني – كمثال – مقال د. محمد المهدي الذي كتبه على صفحات الدستور (الأصلي) الالكتروني بعد تمام الثورة بعنوان : "ثورة جيل عربي مختلف" رؤية تحليلية لثورة الشباب العربي ضد الهوان (جريدة الدستور ٣ فبراير ٢٠١١) .

بأهم نقاط وردت في هذا المقال كانت كالآتي:

١- إن جيل الآباء والأجداد كان يرتعد من العصمة ونسمع الخفراء ويدعو للوالي بطول العمر والبقاء، كما كان يهرب فزعًا من أي (بشلة ميري) ويقبل أيدي الحاكم ورأسه وكتفه وربما قدمه، ويسعو له بدوام الحكم وتوريثه لأبنائه وأحفاده، وحين ينصرف من حضرته يلعنه في سره. فإن لم يستطع ففي سره أ.

٢- إن الحاكم - في بلادنا العربية - ينظر إلى الرعية (من رعي الغنم وليس من الرعاية) بأنهم ضيوف ثقلاء على أرضي الأمر إن شاءوا أكرمهم، وإن شاء أحرقهم أو أهانهم.

٣- إن الشعوب العربية قد اكتسبت أخلاق العبيد وتنازلوا لحكامهم طوعًا أو كرهًا من الحرية والكرامة والإنسانية، ورضوا بلقمة العيش المغموسة في الذلة والهوان

٤- الآن قد تغير الوضع وظهر جيل جديد يتسم بالآتي:

- لم يتعود تقبيل أيدي أبيه أو عمه أو أجداده.
- جيل لا يخشى الكلاب أو الشرطة أو الدبورة
- جيل بدا مستهترًا بالضوابط والقوانين، تخرج بسيارته يقود بسرعة جنونية، ويقطع إشارات المرور.
- جيل لا يشرب اللبن صباحًا ولا ينام مبكرًا بل تمرد على نظام التعليم وعلى القيم السائدة
- جيل دخل عالم الإنترنت منذ نعومة أظفاره وتجول في كل المواقع، ورأى كل شيء - وأي شيء، دونما استئذان أو خجل أو استحياء.
- جيل رأى في ظلوك للكرة ما لم يره أو يعرفه آباؤه في شيخوختهم المتأخرة.
- جيل كبرت طموحاته وقصرت إمكانياته
- جيل تعرض لإغراءات بالمتعة والرفاهية والصعود، ثم اكتشف أن إمكانياته لا تسمح بشيء من ذلك.

- جيل اطلع على أنماط الحياة في دول العالم المتقدم، فرأى الحرية والمساواة والعدل وحقوق المواطنة والرفاهية ووسائل المتعة، ثم حين أغلق جهاز الكمبيوتر رأى واقعًا تعسًا في بيته ووطنه .
- جيل رأى ديمقراطية حقيقية في أكثر دول العالم، بينما رأى في بلاده كل ألوان الفساد والتلف والتزوير والألاعيب العبثية والشكلية
- جيل عجز عن أن يتصور أن يحقق حلمه داخل حدود الوطن، ففكر بالرحيل وظل ينتظر بلهفة تلك اللحظة التي يعبر فيها الحدود إلى وطن آخر أكثر عدلاً وحرية وجمالاً وشفافية وديمقراطية ورحمة.
- جيل حاول الهرب فغرق على سواحل أوربا أو تجمد في جليد غاباتها.
- جيل يعاني من الكبار الذين تربوا على الكذب والنفاق والغش والفهلوة والخداع والرشوة والمحسوبية والذل والهوان وأخلاق العبيد .
- جيل يملك الكثير من الإمكانات والمهارات والطموحات، ولا يجد لها مكانًا في وطنه .
- جيل عجز عن تحقيق حلمه في الزواج
- جيل تلقى تعليمًا فارغًا من المضمون ومتخلفًا عن العصر ويتسلم في نهاية مشواره التعليمي ورقة (شهادة) اكتشف أنه ليس لها قيمة في سوق العمل.
- جيل اكتشف أن ثمة تمثيلية تجري في وطنه يشارك فيها أشخاص يسمون أنفسهم رؤساء أحزاب وقادة معارضة ورموز فكرية وثقافية والجميع في النهاية يسعون لمصالح شخصية ضيقة ويتقبلون مواقف برلمانية انتهازية ويعملون على ترسيخ وتثبيت الوضع القائم لأجل غير مسمى.

٥- يتحدث عن أزمة الشاب (بوعزيزي) التونسي وكيف ثار على هذا الذل والهوان والشعارات الكاذبة التي يتخبط بها العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه.

٦- وحين حرق نفسه فإن ذلك قد ألهب الحماس وكسر حاجز الصمت والخوف من أجهزة (شاخت) وتكلست كراسيها وتجاوزها الزمن.

وإن كل ما سبق إنما يؤكد وجهة نظرنا التي نؤمن بها وهي: أن طول فترة البقاء على الكرسي يقود إلى المزيد من جميع صور الفساد:

- توحش أجهزة الأمن؛ لأن الحاكم ينظر إلى الشعب كعدو له، ولذا فإن الشرطة يجب أن تزيد في العدة والعدد حتى تواجه هذا الشعب إن فكر في التمرد.

- زيادة (كتائب) المنافقين والمنتفعين بداية من السادة الوزراء ثم رجال الأعمال؛ حيث تتقاطع مصالح على مصالح الحاكم، وإن هدفهم في النهاية واحد يتلخص باختصار في امتصاص دماء وثروات ومقدرات وإمكانيات هذا الشعب حتى آخر قطرة، وزيادة في الأمان لابد أن ترسل الأموال إلى الخارج؛ لأن الخارج أكثر أمنًا واستقرارًا وشفافية واستثمارًا.

- تأليه الحاكم نظرًا لطول فترة بقائه في الكرسي، وهذا يؤدي (بمجموعة) من (ترزية القوانين) إلى (تفصيل دستور) على (قد مقاس الحاكم) ولا مانع من إمكانية الأخذ في الاعتبار أن هذا الدستور (يصلح توريثه) لأنجاله وأسرته، ولا أدل على ذلك من حدوث (تعديلات) سيئة السمعة ببعض مواد الدستور، وحين اشتعلت الثورة في بداياتها وأخذ الرئيس (السابق) يقدم بعضًا من التنازلات حتى (يرضي) الجماهير التي بدأت ترفع سقف مطالبها من جانب، وحتى يستمر على الكرسي (ولي الكرسي) من جانب آخر أصدر الرئيس قرارًا بتعديل بعض مواد الدستور. وللأسف وجدنا - رئيس مجلس الشعب - أيضًا يهلل لهذه التعديلات ويعتبرها (إنجازًا) بل على حد تعبيره نهضة دستورية لم تشهد لها البلاد مثيلاً من قبل.

وحتى أشاركك في الضبط منذ أشهر من الآن سوف ننقل تفاصيل الخبر كما ورد في صحيفة الجزيرة السعودية بتاريخ ١٢/ ٢/ ٢٠١١ أي بعد أن تنحى الرئيس، ولم تلحق الجزيرة بالطبع أن تنشر هذا الخبر.

سرور يشرح المواد المعدلة:

البرلمان المصري: التعديلات التي تقدم بها مبارك تمثل نهضة دستورية

أكد الدكتور أحمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب المصري أن مواد الدستور الخمسة التي تقدم الرئيس حسني مبارك بطلب للبرلمان من أجل تعديلها تمثل نهضة دستورية ستطلق للتطور، وستحقق طموحات كبيرة، مشيراً إلى أنه بعد تعديل المادة ٩٣ فلن يكون لمجلس الشعب كلمة في تصحيح عضوية أعضائه، وستكون من اختصاص القضاء فقط. وأشار سرور إلى أنه تلقى طلباً من مبارك بتعديل المواد ٧٦ و ٧٧ و ٨٨ و ٩٣ و ١٨٩ فضلاً عن إلغاء المادة ١٧٩ من الدستور، وذلك تعزيزاً للإصلاح السياسي والدستوري، وأشار إلى أن المادة ٧٦ كانت مادة مقيدة لشروط اختيار رئيس الجمهورية، والتعديل الجديد يهدف للتوسعة في اختيار رئيس الجمهورية وتيسير هذه الشروط، أما المادة ٧٧ فإن التعديل طالب بقصر مدة الرئاسة على مدتين على الأكثر، وفيما يتعلق بخصوص المادة ٨٨ أوضح سرور أن التعديل يقول: إن الانتخابات يجب أن تتم تحت سمع وبصر أعضاء من هيئات قضائية؛ لأنهم يتمتعون بالاستقلال والحيدة، أما المادة ٩٣ فأشار رئيس مجلس الشعب إلى أنها كانت تجعل الفصل في صحة العضوية من اختصاص البرلمان بعد تحقيق محكمة النقض والذي كان يطلق منه مبدأ «سيد قراره» لكن بعد التعديل سيكون الفصل في العضوية من اختصاص محكمة عليا سواء المحكمة الدستورية العليا أو محكمة النقض لتكون هي المحكمة التي تفصل نهائياً في صحة العضوية، وبالتالي لن يكون للبرلمان كلمة في تصحيح عضوية أعضائه

أما المادة ١٧٩ وهي خاصة بمواجهة الإرهاب حيث أشار إلى أن هذا التعديل به حكمان قانونيان. الأول يسمح بإجراءات استثنائية تتخذ في مواجهة المتهمين، والثاني يسمح لرئيس الجمهورية نفسه الإحالة لأي جهة قضائية نص عليها الدستور، ومنها القضاء العسكري، وإلغاء هذه المادة بعد تقدماً وفي صالح حماية حقوق الإنسان واكتفاء بتشريع يوازن بين حماية المجتمع وبين احترام حقوق الإنسان.

وأنا واثق أن رئيس مجلس الشورى لو كان (باقيًا) في مكانه لكان بدوره قد هلل لهذه التعديلات، مع الأخذ في الاعتبار للتذكرة فقط أن الدكتور سرور إبان توليه لوزارة التربية والتعليم تم إلغاء الصف السادس الابتدائي وهلل لهذا الإلغاء معتبراً إياه وثبة تاريخية في تاريخ التعليم في مصر، وحين عادت سنة سادسة مرة أخرى إبان توليه رئاسة مجلس الشعب عد (عودة الصف السادس مرة أخرى إلى حضن التعليم وثبة تاريخية أيضاً)؟!؟

فهوس كثيرة من المنافقين في مجال الإعلام (خاصة الصحافة)، (وخاصة مرة أخرى ما يطلق عليها الصحافة القومية، والأفضل أن نسمي الحكومية أو لسان حال الرئيس) بالتهليل والزمر والرقص لأي قرار يتخذه الرئيس، ولابد أن يكون المقال الأسبوعي للجريدة لا يخلو من صوره - وهذا شيء أساسي - والتغني به لدرجة التي تساءلت مرة بيني وبين نفسي بالضبط - من أين يأتي رئيس التحرير بكل هذا الكم من الكلمات، والتي يعلم جيداً أن لا أحد يقرأها من الجمهور: وإنا هي سد خانة والسلام.

إن كل ما سبق يؤدي إلى (استقرار) الفساد بكل صوره وأشكاله وفي جميع المؤسسات (إلا من رحم ربي) بل تكون المشكلة أن الدولة نفسها لا تتغاضى عن الفساد، بل (وتدافع عنه) في الكثير من الأحيان.

ولعل المثال الذي لا يريد أن يبرح ذاكرتي أن أحد وزراء الإسكان عاث في أرض مصر فسادًا وبيعًا وإهداء للورثة والمحاسيب والمقربين، وقد كتبت بعض صحف (المعارضة) عن هذه التجاوزات، ورغم ذلك حين (أعفاه الرئيس) من منصبه أعطاه وسام (قلادة النيل) مكافأة له على ما قدمه لمصر من إنجازات!!

- زيادة الفقراء عبر ربوع مصر، وأصبح التمسك بأهداف الحياة من الأشياء (بعيدة المنال).

- إلهاء الناس بيوميات حياتهم . . . ولعل أشهر إلهاء تمثل في أمرين:

(أ) المشقة في الحصول على لقمة الخبز، ولذا كنت تجد الطوابير أمام الأفران، ناهيك عن المشاجرات، والكثير من حوادث القتل، رغم أن الجميع كان يعلم بفساد بعض (ملاك هذه الأفران) وأخذهم حصة الدقيق وبيعها في السوق السوداء.

(ب) أزمة أنابيب الغاز والتزاحم حول المخازن، أو الحصول على الأنبوبة في السوق السوداء بأضعاف أضعاف سعرها الأصلي (وإن كنت ماشيك). وظل غالبية الشعب يراوح مكانه بين هاتين الأزمتين.

يستدعي كل ما سبق - وكنوع من الأمان - وجود قانون للطوارئ يتيح الفرصة لرجال الشرطة بمختلف المسميات والأفرع والشعب أن يواصلوا قهر الشعب.

والخلاصة:

إن طول بقاء الحاكم في السلطة يفرز العديد من صور وأشكال وصنوف الفساد والقهر والإذلال. ولذا فقد سعدت إبان كتابتي لهذا الجزء حين أعلنت لجنة تعديل الدستور على أن الرئيس ستكون مدة ولايته (٤) سنوات، ومن حقه إعادة الترشيح مرة ثانية وفقط. وهذا بداية للإصلاح.

أسباب الثورة كما ذكرت في (ويكيبيديا - الموسوعة الحرة)

* الأسباب غير المباشرة:

قانون الطوارئ

نظام الحكم في مصر هو جمهوري نصف رئاسي تحت قانون الطوارئ (قانون رقم ١٦٢ لعام ١٩٥٨) المعمول به منذ سنة ١٩٦٧م باستثناء فترة انقطاع لمدة ١٨ شهراً في أوائل الثمانينيات بموجب هذا القانون توسعت سلطة الشرطة وعلقت الحقوق الدستورية وفرضت الرقابة. وقيد القانون بشدة أي نشاط سياسي غير حكومي مثل: تنظيم المظاهرات، والتنظيمات السياسية غير المرخص بها، وحظر رسمياً أي تبرعات مالية غير مسجلة. وبموجب هذا القانون فقد احتجز حوالي ١٧,٠٠٠ شخص، ووصل عدد السجناء السياسيين كأعلى تقدير بـ ٣٠,٠٠٠ وبموجب قانون الطوارئ فإن للحكومة الحق أن تحجز أي شخص لفترة غير محددة لسبب أو بدون سبب واضح. أيضاً بمقتضى هذا القانون لا يمكن للشخص الدفاع عن نفسه وتستطيع الحكومة أن تبقيه في السجن دون محاكمة. وتعمل الحكومة على بقاء قانون الطوارئ بحجة الأمن القومي وتستمر الحكومة في ادعائها بأنه بدون قانون الطوارئ فإن جماعات المعارضة كالإخوان المسلمين يمكن أن يصلوا إلى السلطة في مصر. لذلك فهي لا تتخلى عن الانتخابات البرلمانية ومصادرة ممتلكات ممولي جماعة الإخوان الرئيسيين واعتقال رموزهم، وتلك الإجراءات تكاد تكون مستحيلة بدون قانون الطوارئ. ومع استقلالية النظام القضائي. مؤيدو الديمقراطية في مصر يقولون: إن هذا يتعارض مع مبادئ وأسس الديمقراطية، والتي تشمل حق المواطنين في محاكمة عادلة وحقهم في التصويت لصالح أي مرشح، ورأوا الطرف الذي يرونه مناسباً لخدمة بلدهم.

قسوة الشرطة

يعتبر أحد الأسباب الرئيسية غير المباشرة في هذه الثورة. حيث إنه في ظل قانون الطوارئ عانى المواطن المصري الكثير من الظلم والانتهاك لحقوقه الإنسانية والتي تتمثل في طريقة القبض والحبس والقتل وغيره، ومن هذه الأحداث مقتل الشاب خالد محمد سعيد الذي توفي على يد الشرطة في منطقة سيدي جابر في الإسكندرية يوم ٦ يونيو ٢٠١٠ الذين قاموا بضربه حتى الموت أمام العديد من شهود العيان. وفي يوم ٢٥ يونيو قاد محمد البرادعي المدير السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية تجمعا حاشدا في الإسكندرية منددا بانتهاكات الشرطة، ثم زار عائلة خالد سعيد لتقديم التعازي.

ثم توفي شاب في الثلاثين وهو السيد بلال أثناء احتجازه في مباحث أمن الدولة في الإسكندرية، وترددت أنباء عن تعذيبه بشدة. وانتشر على نطاق واسع فيديو يظهر آثار التعذيب في رأسه وبطنه ويديه.

وذكر بأن العديد من أفراد الشرطة شوهدوا وهم يستخدمون العنف. ونقل عن أحد رجال الشرطة قوله لأحد المتظاهرين بأن يعطي له ثلاثة أشهر فقط من الخدمة ثم بعد ذلك هل سيكون على الجانب الآخر من الحاجز؟ إجمالي ضحايا عنف وبلطجة وزارة الداخلية المصرية وصل إلى ٣٥٠ مواطن (شهيد).

رئاسة حسني مبارك:

حكم الرئيس المصري محمد حسني مبارك مصر منذ سنة ١٩٨١م وقد تعرضت حكومته لانتقادات في وسائل الإعلام ومنظمات غير حكومية محلية، نال بدعمه إسرائيل دعما من الغرب، وبالتالي استمرار المساعدات السنوية الضخمة من الولايات المتحدة. واشتهرت حكومته بحملاتها على المتشددين الإسلاميين، ونتيجة لذلك سكتت الولايات المتحدة في ردودها الأولية

لانتهاكات حسني مبارك. فقد كان من النادر أن تذكر الصحافة الأمريكية في عناوين أخبارها الرئيسية ما يجري من حالات الاحتجاج الاجتماعي والسياسي في البلاد، وقد كان لحكم مبارك الأثر الكبير على التدهور الاقتصادي والاجتماعي على المصريين، هذا بالإضافة إلى التراجع الملحوظ في مستوى التعليم وارتفاع معدلات البطالة، هذا بالإضافة إلى أنه قد انتشرت الجرائم في البلاد.

الفساد وسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية:

خلال حكمه ازداد الفساد السياسي في إدارة مبارك لوزارة الداخلية بشكل كبير، بسبب ازدياد النفوذ على النظام المؤسساتي الذي هو ضروري لتأمين الرئاسة لفترة طويلة. وقد أدى هذا الفساد إلى سجن شخصيات سياسية وناشطين شباب بدون محاكمة، ووجود مراكز احتجاز خفية غير موثقة وغير قانونية، وكذلك رفض الجامعات والمساجد والصحف للموظفين على أساس الميول السياسية. وعلى المستوى الشخصي يمكن لأي فرد أو ضابط أن ينتهك خصوصية أي مواطن في منطقته باعتقاله دون شرط بسبب قانون الطوارئ.

منظمة الشفافية الدولية هي منظمة دولية لرصد جميع أنواع الفساد بما في ذلك الفساد السياسي. ففي تقرير لها في مؤشر الفساد سنة ٢٠١٠ قيمت مصر ب ٣,١ استناداً إلى تصورات درجة الفساد من رجال أعمال ومحللي الدولة. حيث أن ١٠ تعني نظيفة جداً و صفر تعني شديدة الفساد، وتحتل مصر المرتبة ٩٨ من أصل ١٧٨ بلد مدرج في التقرير.

وبحلول أواخر ٢٠١٠ حوالي ٤٠٪ من سكان مصر يعيشون تحت خط الفقر، أي يعتمدون على دخل قومي يعادل حوالي ٢ دولار في اليوم لكل فرد ويعتمد جزء كبير من السكان على السلع المدعومة

زيادة عدد السكان وزيادة معدلات الفقر:

مصر هي ثاني أكبر دولة في أفريقيا بعدد السكان بعد نيجيريا، وهي أكبر دولة في منطقة الشرق الأوسط. وحسب تقديرات سنة ٢٠٠٧ وصل عدد سكان مصر حوالي ٧٨,٧٣٣,٦٤١ نسمة وتوجد تقديرات أخرى تقول إن عدد سكان مصر وصل ٨١,٧١٣,٥١٧ في يونيه ٢٠٠٨، بينما كان عدد سكان مصر عام ١٩٦٦ حوالي ٣٠,٠٨٣,٤١٩ نسمة، ومعظم المصريين يعيشون بالقرب من ضفاف نهر النيل، في مساحة حوالي ٤٠,٠٠٠ كيلو متر مربع (١٥,٠٠٠ ميل مربع)؛ لأن هذه الأرض تعتبر هي الوحيدة القابلة للزراعة في مصر. زيادة عدد السكان ساعد في زيادة الفقر، وقلة التعليم، والدخل القومي للفرد، ومشاكل الإسكان.

تصدير الغاز المصري لإسرائيل:

منذ عام ٢٠٠٤ أبرمت أربعة عقود تقوم بموجبها مصر بتصدير الغاز الطبيعي لإسرائيل، ويمتد العمل بهذه العقود حتى عام ٢٠٣٠، ولقد تسببت هذه العقود في أزمات سياسية كبيرة للحكومة المصرية بسبب معارضة خبراء بترول وسفراء سابقين، حيث إن التصدير يبدأ في حالة وجود فائض وهو ما لم يتوفر في مصر.

واعتبر هؤلاء تلك العقود إهدارًا للمال العام ومجاملة لإسرائيل فضلاً عما يشوبها من فساد وعدم شفافية وهو ما دعا المحكمة الإدارية بمصر إلى أن تصدر أحكامها ببطلان قرار وزير البترول المهندس سامح فهمي لتكليفه مديري شركات عامة ببيع الغاز لشركة حسين سالم، التي تقوم بدورها بتصديره إلى شركة الكهرباء الإسرائيلية، وطالبت المحكمة الحكومة المصرية بإعادة النظر في أسعار التصدير.

❖ الأسباب المباشرة لثورة ٢٥ يناير:

انتخابات مجلس الشعب:

أجريت انتخابات مجلس الشعب قبل شهرين من اندلاع الاحتجاجات وحصل الحزب الوطني الحاكم على ٩٥٪ من مقاعد المجلس. أي أن المجلس خلا من أي معارضة تذكر؛ مما أصاب المواطنين بالإحباط. وتم وصف تلك الانتخابات بالمزورة نظراً لأنها تناقض الواقع في الشارع المصري، بالإضافة إلى انتهاك حقوق القضاء المصري في الإشراف على الانتخابات. فقد أطاح النظام بأحكام القضاء في عدم شرعية بعض الدوائر الانتخابية. ومنع الإخوان المسلمون من المشاركة في هذه الانتخابات بشكل قانوني.

مقتل الشاب خالد سعيد:

كان المواطن خالد سعيد قد قُتل في الإسكندرية في ٦ يونيو عام ٢٠١٠م بعد أن تم تعذيبه حتى الموت على أيدي اثنين من مخبري الشرطة قسم سيدي جابر؛ مما أثار احتجاجات واسعة مثلت بدورها تمهيداً هاماً لاندلاع الثورة.

تفجير كنيسة القديسين في الإسكندرية:

تفجير كنيسة القديسين هو عملية إرهابية حدثت في مدينة الإسكندرية وسط الاحتفالات بعيد الميلاد للكنائس الشرقية بعد حلول السنة الجديدة بعشرين دقيقة حدث انفجار أمام كنيسة القديسين في منطقة سيدي بشر. هذه العملية الإرهابية أوقعت ٢٥ قتيلاً (من بينهم مسلمون)، كما أصيب ٩٧ شخصاً. وتعتبر أول عملية إرهابية بهذا المشهد المروع تحدث في تاريخ مصر قبل العملية بفترة تم تنظيم القاعدة باستهداف كنيسة في بغداد وهدد الكنائس في مصر. وقبل التفجير بأسبوعين نشر على موقع متطرف دعوة لتفجير الكنائس في مصر، وعناوين أكثر من كنيسة منهم كنيسة القديسين والطرق والأساليب التي يمكن بها صناعة التفجيرات. هذه العملية أحدثت صدمة في مصر وفي العالم كله. واحتج كثير

من المسيحيين في الشوارع، ولقيام بعض السلفيين بالاحتجاجات وبعد الاشتباك بين الشرطة والمحتجين في الإسكندرية والقاهرة، وهتفوا بشعارات ضد حكم مبارك في مصر. وتم اكتشاف أن وزارة الداخلية المصرية - معلومة غير مؤكدة - هي وراء هذه التفجيرات بمساعدة جماعات إرهابية، وأن هناك سلاح سري في الوزارة تم تأسيسه من ست سنوات وعشرين ضابطًا وتحت إشراف وزير الداخلية حبيب العادلي، وتم تحويله إلى المحاكمة بعد اعتراف منفذي العملية عند ظلبهم اللجوء السياسي بالسفارة البريطانية بالقاهرة.

مقتل القائد سيد بلال:

سيد بلال (١٩٨١-٦ يناير ٢٠١١) مواطن مصري يقطن في الإسكندرية اعتقله رجال جهاز أمن الدولة وهو معه الكثير من السلفيين للتحقيق معهم في تفجير كنيسة القديسين وقاموا بتعذيبه حتى الموت، وكانت الشرطة المصرية قد اقتادت سيد بلال من مسكنه فجر الأربعاء ٥ يناير ٢٠١١م وأخضعته للتعذيب ثم أعادته إلى أهله في اليوم التالي جثة هامدة.

ويبلغ سيد بلال من العمر ٣٠ عامًا وحصل على دبلوم صناعي، عمل في شركة تروجيت حتى عام ٢٠٠٦م حين اعتقل وأودع سجن ليمان أبي زعبل، ثم عمل بوابًا لمخازن خام وهو أب لطفل عمره سنة وشهران.

قيام الثورة الشعبية التونسية:

اندلعت الثورة الشعبية في تونس في ١٨ ديسمبر عام ٢٠١٠م (أي قبل ٣٨ يومًا من اندلاع ثورة الغضب المصرية) احتجاجًا على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السيئة، وتضامنًا مع محمد البوعزيزي الذي أضرم النار في نفسه، واستطاعت هذه الثورة في أقل من شهر الإطاحة بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي (الذي حكم البلاد لمدة ٢٣ سنة بقبضة حديدية). هذا

النجاح الذي حققته الثورة التونسية أظهر أن قوة الشعب العربي تكمن في تظاهره وخروجه إلى الشارع، وأن الجيش هو قوة مساندة للشعب، وليس أداة لدى النظام لقمع الشعب. كما أضاءت تلك الثورة الأمل لدى الشعب العربي بقدرته على تغيير الأنظمة الحاكمة عليه وتحقيق تطلعاته.

■ الحالة البوعزيزية في مصر:

قبل أسبوع من بداية الأحداث قام أربعة مواطنين مصريين يوم الثلاثاء ١٨ يناير عام ٢٠١١ بإشعال النار في أنفسهم بشكل منفصل احتجاجاً على الأوضاع المعيشية والاقتصادية والسياسية السيئة وهم:

- محمد فاروق حسن (من القاهرة)
- سيد علي (من القاهرة).
- أحمد هاشم السيد (من الإسكندرية) - توفي في نفس اليوم متأثراً بالحروق التي أصيب بها.
- محمد عاشور سرور (من القاهرة).

وذلك تقليداً للمواطن التونسي محمد البوعزيزي الذي أشعل الانتفاضة التونسية بإحراق نفسه.

وقد أطلق بعض علماء الاجتماع والكتاب الصحفيون اسم «الظاهرة البوعزيزية» على الحوادث المتكررة في الوطن العربي والتي يحرق فيها المحتجون أنفسهم تقليداً لمحمد البوعزيزي احتجاجاً على البطالة والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السيئة. وقد شملت هذه الظاهرة إلى عدة دول عربية. (انظر تقليد تجربة محمد البوعزيزي).

تعتبر الظاهرة البوعزيزية من الظواهر التي يسجل التاريخ من ذكرها، وبالإضافة إلى استياء العموم من حدوثها فهي ظلم كبير للنفس ومخالفة لكل

الأديان، ولكنها أدت إلى إطلاق شرارة الثورات العربية وإسقاط الأنظمة الديكتاتورية ومحاكمة الفاسدين والظالمين الطغاة في عدة دول عربية.

المواقع الاجتماعية على شبكة الإنترنت:

قام المواطن المصري وائل غنيم (والذي يعتبره الكثيرون ملهم الشباب وقائد ثورة الشباب) بتأسيس صفحة أو مجموعة «كلنا خالد سعيد» في الموقع الاجتماعي فيسبوك على شبكة الإنترنت، وكان خالد سعيد قد قتل في الإسكندرية في ٦ يونيو عام ٢٠١٠م بعد أن تم تعذيبه حتى الموت على أيدي اثنين من مخبري شرطة قسم سيدي جابر، مما أثار احتجاجات واسعة مثلت بدورها تمهيدًا هامًا لاندلاع الثورة، كما دعا وائل غنيم من خلال الصفحة على موقع الفيسبوك إلى مظاهرات يوم الغضب في ٢٥ يناير عام ٢٠١١م وكان له دور كبير في التنسيق مع الشباب لتفجير الثورة في ٢٥ يناير ٢٠١١م.

فالثورة عندما بدأت يوم ٢٥ يناير كانت مكونة من الشباب الذين شاهدوا صفحة (كلنا خالد سعيد) على موقع الفيسبوك أو شباب الفيس بوك كما قال وائل غنيم في حديثه مع منى الشاذلي في برنامج العاشرة مساءً، ومن ثم تحولت إلى ثورة شارك فيها جميع الشباب، والآن تحولت إلى ثورة شارك فيها جميع طوائف الشعب المصري.

شهداء الثورة:

تخلي الرئيس حسني مبارك عن الحكم:

في السادسة من مساء الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١ أعلن السيد عمر سليمان في بيان قصير عن تخلي الرئيس عن منصبه وكان هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أيها المواطنون: في ظل هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد، قرر الرئيس محمد حسني

مبارك تخليه عن منصب رئيس الجمهورية، وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شئون البلاد. والله الموفق والمستعان».

تنحى مبارك عن الحكم وسلمه للمجلس الأعلى للقوات المسلحة، تدفق الملايين من الناس إلى شوارع القاهرة احتفالاً برحيله، خاصة في ميدان التحرير، كما عجت النساء بالزغاريد، وأصيب بعض الأشخاص بالإغماء من فرط فرحتهم، وما هي إلا دقائق حتى عمت الاحتفالات جميع أرجاء الوطن العربي من المحيط إلى الخليج ابتهاجاً بانتصار ثورة ٢٥ يناير وتنحي مبارك عن الحكم.

■ الفورين البوليسي ترصد الأخطاء التسعة لمبارك:

تحت عنوان أخطاء مبارك التسعة الكبرى، كتب ستيفن هاوتستين في فورين بوليسي مقالاً يشرح فيه أبعاد تلك الأخطاء وتداعياتها المصاحبة على الثورة الشعبية التي عاشتها البلاد منذ ٢٥ يناير الماضي.

يقول الكاتب في مقالته: إن مبارك مدفوعاً من سجله وقوله: إنه سيموت على ثرى مصر، أعطى إشارة إلى أنه لن يحتذو حذو الرئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي بالهروب بطريقة مخزية إلى المنفى دون ذلك تقريباً.

وجدد المتظاهرون بميدان التحرير مطالبتهم لإسقاطه، ورفض طلبه البقاء في منصبه بضعة أشهر أخرى، ويبدو أن مبارك ارتكب خطأ آخر قد يكلفه في النهاية أن يلقى مصير بن علي؛ وعليه فماذا كانت أخطائه الكبرى؟

أولاً: إخفاقه في توزيع ثروة الاقتصاد المصري الذي نما بمقدار محترم، لكن معظم المصريين لا يشعرون بأنهم حصلوا على نصيبهم العادل من تلك الثروة، وبدلاً من ذلك كانوا يشاهدون رجال الأعمال الأثرياء يقيمون صلات وروابط مع الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم ويسرقون ثروات وخيرات البلاد.

ثانيًا: سماحه بانتشار الفساد ليتغلغل في الحياة المصرية وهو ما جعل من المستحيل على أي كان في البلاد تحقيق حياة نزيهة، حيث لا يمكن إنجاز أي شيء بدون تقديم رشوة أو بالواسطة واستشراء الاختلاس.

ثالثًا: غياب الرؤية، فمهما يقال عن سابقيه جمال عبد الناصر وأنور السادات، فإنهما كانا يعرفان إلى أين يقودان بلدهما وكانت لديهما خطة للوصول لهدفهما وكان عبد الناصر يريد إقامة اتحاد بين الدول العربية تحت شعار الاشتراكية، وعدم الانحياز. بينما كان السادات يهدف إلى استعادة كبرياء وشرف مصر قبل تحقيق السلام مع إسرائيل والانضمام إلى الغرب، لكن فيما يتعلق بمبارك، فما الذي قدمه للمصريين؟ هناك بنية تحتية متهالكة وظروف اجتماعية اقتصادية عفنة وولاء كامل للولايات المتحدة.

رابعًا: إصلاحات فاترة أدت إلى تزايد شكوك المصريين وهم على حق في ذلك بشأن مساعي الإصلاح الحكومية المتكررة التي تميزها وتراافقها دعاية غير مقنعة، فهم عندما يسمعون كلمة الإصلاح يتطلعون إلى الموعود مثل التعديل الدستوري الذي يحول بهذا القدر أو ذلك، أو من قريب أو بعيد دون ترشح مستقل للمنافسة على منصب الرئيس.

خامسًا: إعداد جمال إن كان هناك شيء يتفق عليه كل المصريين فهو أنهم لا يريدون أن يحكمهم جمال مبارك البريطاني الثقافة. ولعب جمال مبارك دورًا متزايدًا وملحوظًا في إعداد السياسات الداخلية خلال العقد الأخير، معتمدًا على إصلاحات ليبرالية اقتصادية لا تلقى رضا الشعب. وكان على صلة مع رجال أعمال أثرياء يعتبرون فاسدين ولا تواصل لهم مع المواطن المصري، وكان من بين الهتافات الشعبية في المظاهرات في السنوات الأخيرة «لا للتوريث».

سادساً: سوء تقييم قدرة الناشطين، فمن الواضح أن وزارة الداخلية والشرطة لم تكن مستعدة لمواجهة اندلاع مظاهرات عارمة كالتي اندفعت إلى الشوارع يوم ٢٥ يناير، فهي كانت معتادة على مظاهرات صغيرة، كانت سيئة التنظيم أو تنظمها أحزاب المعارضة المنقسمة التي تفتقر كليًا إلى الكفاءة.

وكان من الواضح أن قوات الأمن تتوقع مظاهرات على نفس النمط لكن المنظمين الذين يقفون خلف الانتفاضة الحالية لديهم شبكات اتصال إلكترونية، ومن شباب مولعين ومطلعين على التقنية الحديثة ويعرفون كيفية التواصل مع المشاهدين ويعرفون كيف يتحدثون، وهؤلاء ليسوا من الأحزاب السياسية وتبين كيف أن قوات الشرطة ارتدت على أعقابها وهي منهكة ولم يكن بيدها حيلة مهزومة ومحبطة يوم الجمعة يوم أن تدخل الجيش.

سابعاً: المبالغة في الخداع، فخلال الحملات الانتخابية البرلمانية في الثلاثين سنة الماضية، سمح مبارك بحصول أحزاب المعارضة على أعداد رمزية من المقاعد البرلمانية، لكن في انتخابات ٢٠١٠ زور الحزب الوطني الديمقراطي الانتخابات بطريقة جامحة وخارجة عن السيطرة وترك حفنة فقط من المقاعد لحزب الوفد المتعاون، في حين لم يحصل الإخوان المسلمون على نصيب من المقاعد البرلمانية وخرجوا بلا مقعد من العملية الانتخابية، مما حرمهم من حصة بالحكومة، وكذلك المقاعد التي يخصصها الرئيس بما يتماشى مع التمثيل بالبرلمان.

ثامناً: إرسال الرعاع والبلطجية: فبعد اختفاء قوات الشرطة بطريقة غامضة، كانت هناك تقارير عن عصابات تقوم بالسلب والنهب، والذين هاجموا المحلات التجارية والبيوت علاوة على ترويع المواطنين العاديين، وتبين أن العديد من أفراد تلك العصابات يحملون هويات شرطة ورجال أمن: إن كان مبارك يأمل أن يدفع بالطبقة الوسطى إلى أحضان الدولة الخائفة، فيبدو أنه أخطأ التقدير بدرجة سيئة، فقد تزايدت الاحتجاجات من تلك الطبقة

تاسعًا: إدخاله المقربين منه والمحسوبين رغم خطابه الذي تعهد فيه بإدخال إصلاحات سياسية واقتصادية كثيرة دون أن يحددها، فعين رئيس مخابراته عمر سليمان ليكون نائبه، وعين حكومة، وعين جنرالاً متقاعدًا من سلاح الجو رئيسًا للحكومة، إلا أن زعماء المعارضة والمحللين اعتبروا ذلك - وهم على حق - دليلاً على حماية المصالح والحفاظ عليها كالعادة.

■ **الثورة على مبارك: اليوم ننجيك ببدنك:**

بدأ تقرير أذاعته فضائية الجزيرة بالآية القرآنية التي قيلت في الطاغية فرعون: ﴿اليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾ مشبهًا بها الرئيس المخلوع حسني مبارك الذي لاقى مصيرًا سبقه به الشهر الماضي الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين الذي لم يجد من الهرب بدًا ولجأ ببدنه تاركًا مقولة: «إن الشعوب أقوى من الطغاة متى صح فيها العزم».

واستطرد متسائلاً: إن مثل مبارك في شعبه كمثل زين العابدين؛ إذ قال له شعبه: أصلح، فأبى أن يكون من المصلحين، ألا تعسًا لمبارك وتعسًا لزين العابدين، هكذا قال الشعبان الثائران.

لم يمض شهر على انتفاضة تونس حتى خرجت الثورة في مصر خروج الوردة من أكمتها؛ وخرجت الثورة من الحواري الفقيرة ومن أحلام العاطلين المجهضة ومن شباب الطبقة الوسطى الذين ظنت بهم الظنون واتهموا بأمور ليس من بينها الاشتغال بالسياسة والهم العام.

خرجت الثورة من مصر من أمة ضاقت بحاضرها وخافت من مستقبلها وفرت كثيرًا إلى ماضيها به تتعزى، أمة كان قدرها أن تكون قائدة ورائدة فرأت نفسها في ثلاثين سنة الحالية يتراجع شأنها بين العالمين ويضج مفكروها ومثقفوها بالشكوى يقولون: ليست هذه مصر التي نعرفها.

ثلاثون عامًا بدأت بلحظة خاطفة يوم قررت جماعة على طريقتها أن تصحح ما تراه مسارًا خاطئًا أوغلت فيه البلاد فاغتالت الرئيس أنور السادات.

مبارك الذي ظل نائبًا للرئيس منذ عام ١٩٧٥م لم يكن يتوقع أن تكون أقداره تلك السعادة، فطالما غاب في عصر الانقلابات العسكرية الكلاسيكية، والحال كذلك فإن كبار الضباط لا يحلمون بغير وظيفة دبلوماسية أو ملحقية عسكرية في بلد ما يكون بها حسن الختام.

لكن مبارك أصبح رئيسًا لجمهورية مصر العربية في أكتوبر عام ١٩٨١، ثلاثون عامًا كان مبارك خلالها الحليف الاستراتيجي الأوحد للغرب، لم يصرح خلالها الأصدقاء الحلفاء سدنة الديمقراطية وحقوق الإنسان في الغرب أن عشر سنين في الحكم تكفي أو أن ربع قرن أكثر مما يطيق شعبه.

وقديمًا قيل: إن من يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم. لكن مبارك كان حريصًا على السلطة يتنقل بين كل دورة حكم وأخرى انتقالاً ملكيًا تحميه انتخابات مطولة وصناديق كاذبة خادعة، كل ذلك كان يجري باسم الديمقراطية، وفي رفاه تام بمنظومته الشكلية.

استطاع مبارك ورجاله من الحزب الوطني أن يتوصل للصيغة السحرية لإحكام السيطرة على الدولة عبر جميع فروع السياسة بفعل أن تبدأ دورة التهميش السياسي للشعب وللأحزاب ومنظماته المدنية، ولأن شرط السيطرة على السلطة في ذهن حاكم يعتقد أن التداول عليها يتم بينه وبين الموت أو بينه وبين ابنه، فقد تفنن في نظام حكمه (إضعاف المعارضة وزعمائها)، فأبقى مبارك على قانون الطوارئ الحاكم للبلاد منذ عام ١٩٨١م وهو قانون مقيد للتغييرات السياسية

وتحولت مجالس الشعب حيث يفترض أن تقع الرقابة الأداء التنفيذي بالإضافة إلى النهوض بالمهام التشريعية إلى مسرح لاستعراض صفوة الحزب الحاكم حيث لا مكان لصوت الشعب في مجلس الشعب.

ولم تكن ملاحظة التعديلات الدستورية في ٢٠٠٧ فقط لأنها تقيد الأحزاب بألف قيد، وتحول بينها وبين التمثيل النيابي، ولكنها كانت أيضًا تمهد الطريق أمام جمال مبارك لخلافة والده.

وكانت حصيلة الثلاثين عامًا من حكم مبارك أن ضعفت السياسة والفكر المواطن والوطن، فاتسعت أحزمة الفقر وتزايدت جيوش العاطلين وانسدت الآفاق في وجه الملايين من المصريين الذين رحلوا أنفسهم تحت خط الفقر. وقد تورطت مصر في عهد مبارك على الدعم الدولي خاصة الأمريكية حتى أصبح بند ثابت في الميزانية وهو ما تأذى منه المصريون الذين كانوا يرون أنه نقص من كرامتهم ووطنيتهم.

وكانت مصر على عهد مبارك قد أصبحت حالة صارخة في إدمان العون والعطايا الدولية، كما دفعت مصر في عهد مبارك ثمن باهظة في السياسة وتحولت من جراء ذلك إلى مقاول سياسي معتمد لعملية السلام، ولكنها غير منتجة للسلام. كما تراجعت مصر وخلال ٣٠ سنة من عهد مبارك عن دورها القومي واختنقت أحلام المواطن المصري في التقدم والرفاهية والحرية والديمقراطية والتي لم ينل الشعب منها أي شيء.

❂❂❂

توثيق وقائع الثورة

*** تسلسل وقائع الثورة في مصر:**

سارت كالآتي: فيما يلي تسلسل الأحداث منذ ١٧ يناير ٢٠١١ في مصر التي تشهد حركة احتجاجية غير مسبوقة ضد نظام الرئيس حسني مبارك الذي يحكم البلاد منذ ١٩٨١م:

١٧ يناير ٢٠١١:

حاول رجل إحراق نفسه أمام مجلس الشعب في القاهرة في خطوة تذكّر بالتونسي محمد البوعزيزي الذي قام بعمل مماثل أشعل فتيل الثورة الياسمين» التي أطاحت بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي بعد حكم دام ٢٣ عامًا. في اليوم التالي توفي عاطل عن العمل بعدما قام بإحراق نفسه وأصيب بحروق خطرة في الإسكندرية (شمال) وحاول محام إحراق نفسه أمام مقر الحكومة في القاهرة، وبعد يومين، خرج عاملان بعدما حاولا إحراق نفسيهما .

٢٥ يناير:

- بدء تظاهرات معادية للحكومة بمشاركة آلاف الأشخاص. قُتل متظاهران في السويس (شمال شرق) بعد صدامات مع الشرطة وتوفي شرطي في القاهرة بعد تعرضه للضرب من قبل متظاهرين. اعتقل حوالي مائتي شخص.
- في الليل: أطلقت قوات الأمن الغاز المسيل للدموع لتفريق آلاف المتظاهرين في القاهرة: أطلقت قوات الأمن الغاز المسيل للدموع لتفريق آلاف الأشخاص
- دعت واشنطن الحكومة إلى الإصغاء لمطالب الشعب

٢٦ يناير:

- آلاف المتظاهرين في عدة مدن على الرغم من حظرها من قبل السلطات طاردت الشرطة المتظاهرين مستخدمة الغاز المسيل للدموع والهراوات وحتى الحجارة. ورشق المتظاهرون قوات مكافحة الشغب بالحجارة.
- في القاهرة قتل شخصان في صدامات، وفي السويس ألقى متظاهرون زجاجات حارقة على مبنى حكومي. جرح ٥٥ متظاهراً و١٥ شرطياً

٢٧ يناير:

- أعلن مصدر رسمي أن ألف شخص على الأقل اعتقلوا
- في شمال سيناء، أشعل متظاهرون النار في مركز لأجهزة الطافئ والشاكات في الإسماعيلية
- عاد محمد البرادعي إلى القاهرة حيث أكد استعداده لقيادة المرحلة الانتقالية

٢٨ يناير:

- تظاهرات كبيرة في عدد من مناطق مصر وسقوط ٦٢ قتيلاً على الأقل في صدامات بين متظاهرين وقوات الأمن .
- طلب مبارك من الجيش مساعدة الشرطة على فرض احترام الأمن وتطبيق منع التجول في القاهرة والإسكندرية والسويس .
- أعلن الرئيس مبارك إقالة حكومة أحمد نظيف وتعهد بخطوات جديدة على طريق الإصلاح من دون أن يحددها
- تضاعفت المطالب بإصلاحات سياسية وبوقف قمع التظاهرات.
- تحدث الرئيس الأمريكي باراك أوباما مع مبارك طيلة ثلاثين دقيقة
- في الليل جرت عمليات نهب وأضرمت حرائق في مقر الحزب الحاكم وعدد من مراكز الشرطة .

٢٩ يناير:

- مقتل ٣٢ شخصاً على الأقل في اصطدامات. صدامات في الإسماعيلية ومهاجمة جهاز أمن الدولة في رفح على الحدود بين مصر وقطاع غزة
- عيّن مبارك مدير المخابرات عمر سليمان نائباً للرئيس وهو منصب شاغر منذ وصوله إلى السلطة وكلف وزير الطيران أحمد شفيق تشكيل الحكومة

٣٠ يناير:

- آلاف المتظاهرين في القاهرة
- الجيش ينتشر وسط العاصمة بدبابات وطائرات سلاح الجو تحلق في علو منخفض في سماء المدينة

٣١ يناير:

- مبارك يشكل حكومة جديدة، ويعين محمود وجدي وزيراً للداخلية بدلاً من حبيب العادلي
- الجيش يتعهد بعدم استخدام القوة ضد المتظاهرين معتبراً طلبات الشعب «شرعية».

١ فبراير:

- أكثر من مليون متظاهر في البلاد وحشد هائل في ميدان التحرير بالقاهرة
- مبارك يعلن أنه لن يترشح للانتخابات الرئاسية في سبتمبر ٢٠١١ والمتظاهرون يطالبون برحيله على الفور

٢-٣ فبراير:

- صدامات دامية في ساحة التحرير التي اقتحمها أنصار لمبارك، ردهم المتظاهرون ضد الحكومة، وحدوث مواجهات بالحجارة والزجاجات الحارقة وسقوط ١١ قتيلاً و٩١٥ جريحاً.

٤ فبراير:

مئات آلاف المصريين في الشوارع لمناسبة ما أطلق عليه «جمعة الرحيل».

٥ فبراير:

- استقالة المكتب السياسي للحزب الحاكم الذي يضم جمال نجل مبارك

٦ فبراير:

- جماعة الإخوان المسلمين تنضم إلى الحوار السياسي مع السلطة مع مجموعات سياسية أخرى بينها حزبا الوفد الليبرالي والتجمع اليساري، غير أن الجماعة اعتبرت أن الإصلاحات المعلنة غير كافية.

٧ فبراير:

- عشرات الأشخاص يعطلون الوصول إلى مجمع التحرير الإداري الهام في ميدان التحرير. مبارك يعد برفع الأجور ويطلب تشكيل لجنة تحقيق في أعمال العنف ضد المتظاهرين.

٨ فبراير:

- مئات آلاف الأشخاص يتظاهرون في القاهرة ومدن مصرية أخرى. في أكبر تظاهرات تشهدها مصر منذ بداية التحركات. ومبارك يشكل لجنة لتعديل الدستور.

٩ فبراير:

أعمال عنف دامية في مناطق الجنوب والغرب. مئات المتظاهرين يحاصرون مقري مجلس الشعب والشورى ومقر الحكومة في القاهرة، والسلطات تحذر من أن الجيش سيتدخل في حال حدوث فوضى لاستعادة النظام

١٠ فبراير:

- الرئيس مبارك يعلن في خطاب عبر التليفزيون أنه يفوض معظم صلاحياته إلى نائبه عمر سليمان، دون أن يعلن استقالته ما أثار غضب المتظاهرين. وإثر ذلك طلب سليمان من الشباب المحتجين العودة إلى منازلهم.

١١ فبراير:

- مساء الجمعة الموافق ١١/٢/٢٠١١ أذاع عمر سليمان خبر تخلي الرئيس محمد حسني مبارك عن السلطة. وأن تقوم القوات المسلحة بتولي الأمور في البلاد. وقد أحدث هذا القرار حالة من الفرحة الغامرة عمت جميع بقاع مصر، بل كل المصريين في الخارج .

- وكان في هذه الجمعة قد قرر المتظاهرون الذهاب إلى مقر رئاسة الجمهورية (قصر العروبة) في مصر الجديدة، بل وأحاط آلاف من المتظاهرين بالقصر.. وكانت الآلاف أيضًا تتوافد عليهم.. بل إن المتظاهرين قد تسلحوا بالطعام والبطاطين استعدادًا للبقاء أطول فترة ممكنة. وقد هبطت كما تناقلت الأنباء ثلاث طائرات إلى أرض القصر.. وبعدها أعلن النائب الأول والذي لم يستمتع بهذا المنصب أكثر من أيام قلائل خبر تنحي الرئيس .

٭٭٭

تفاصيل ما حدث يوم ٢٥ يناير ٢٠١١

أول يوم مبارك (لا أقصد مبارك في بالك ولكن أقصد بركة اليوم) للثورة واندلاع شرارتها.

- نشطاء ٢٥ يناير يدعون إلى إضراب عام يوم الأربعاء والانضمام إلى صفوف المتظاهرين والمعتصمين في القاهرة والمحافظات .
- المعتقلون في المظاهرات محتجزون في عربات الترحيلات في معسكر السلام للأمن المركزي في أقصى شرق القاهرة .
- بلال مصور الجزيرة (الحلوجي) أصيب بـ ١١ رصاصة مطاطية في أماكن متفرقة من جسده وذهب لمستشفى في المهندسين ولا يوجد جراح يسعفه .
- المتظاهرون يجوبون شوارع السبتية وشبرا ويدعون الناس في المنازل للاستيقاظ للتظاهر ضد استبداد النظام.
- القبض على أبي آيمن نور وتجمع عدد من المتظاهرين قرب ميدان التحرير والشرطة تطاردهم بالمدرعات والقنابل .
- احتجاز بعض المتظاهرين أمام دار الأوبرا بعد غلق كوبري قصر النيل عليهم. والأمن يطاردهم بالقنابل المسيلة للدموع .
- تحرك المظاهرات من ميدان رمسيس إلى شبرا الآن
- الجزيرة مباشر: الحالة الآن أبسط ما يقال عنها ملتهبة ولا نجد في قاموسنا الإعلامي أبسط من ذلك .
- مصادر طبية: وفاة متظاهر ثالث بالسويس يدعى غريب السيد (٤٤ سنة) إثر إصابته بطلق ناري في البطن تسبب في نزيف داخلي أدى إلى وفاته .

- مواجهات بين الأمن و ٣٠٠٠ متظاهر في مدخل شبرا والمتظاهرون يحاولون اللحاق بمجموعة رمسيس .
- دوي صوت القنابل المسيلة للدموع يهز منطقة وسط البلد لتفريق المتظاهرين .
- حملة البرادعي: استقبال مصطفى النجار منسق الحملة الشعبية لدعم البرادعي من ميدان التحرير بعد إصابته في قدمه .
- المتظاهرون يصلون ميدان رمسيس ويقدرون أنفسهم بـ ١٥ ألف متظاهر .
- الأمن يضع كردونًا كبيرًا حول المتظاهرين في شارع ٢٦ يوليو بوسط البلد
- متظاهرو التحرير في طريقهم إلى ميدان الإسعاف من شارع محمد فريد .
- آلاف من متظاهري التحرير في مسيرة تتحرك الآن من ميدان محمد فريد في وسط البلد
- المتظاهرون يتفرقون في شوارع وسط البلد واستمرار الاعتداء عليهم.

تفريق مظاهرة التحرير بالقوة وإلقاء أكثر من ٥٠ قنبلة والتمام الاعتصام بالسيارات المصفحة

نشطاء يوزعون الطعام، وزجاجات المياه على المعتصمين في ميدان التحرير، والفنان عمرو واكد يشارك النشطاء في عملية التوزيع

الأمن يصيد المشتبك بالمتظاهرين في ميدان الشون بالمحلة ويقذف المحتجين بالقنابل المسيلة للدموع .

- عبد الجليل مصطفى وقيادات الوطنية للتغيير يطالبون مبارك ونجله جمال بعدم الترشح في الانتخابات الرئاسية القادمة .

- إصابة حمدين صباحي وعشرات من أنصاره أثناء مشاركتهم في مظاهرة في البرلس.
- متظاهرون يلقون الحجارة على قوات الأمن في ميدان الشون بالمحلة. ويسيطرون على الميدان وعلقوا لافتة كبيرة في الميدان مكتوب عليها «ارحل يا مبارك» وأطلقوا اسم «ميدان الثورة» على الميدان.
- قالت مصادر أمنية وطبية إن متظاهرين على الأقل قد قتلا في مظاهرات الغضب الجديدة لسويس بالرصاص، فيما أصيب ٦٠ آخرون باختناقات.
- الخارجية تعلن وفاة مجند من قوات الأمن المركزي خلال المظاهرات.
- أنباء عن سقوط المواطن مصطفى رضا محمود كأول شهيد ليوم الغضب في السويس بطلق ناري حي خلال مواجهات مع الشرطة
- إسقاط موقع الحزب الوطني الديمقراطي على الإنترنت والذي كان يبث أخباراً تقلل من أعداد المتظاهرين وتتهمهم بالتخريب
- قام المتظاهرون في سيدي جابر بالإسكندرية بقلب سيارة شرطة وهو ما أدى لإلقاء الأمن قنابل مسيلة للدموع عليهم وكان عددهم ٣ آلاف متظاهر.
- المتظاهرون في الإسكندرية يحتشدون في شارع السلطان حسين بعد ضرب الداخلية لهم في شارع فؤاد.

الأمن يتعدى بعنف على المتظاهرين في الإسكندرية في شارع فؤاد

- الداخلية تتهم الإخوان بإشعال المظاهرات ودعمها بعشرات الآلاف للتخريب وتطالب الوزارة الجماهير العودة لمنازلهم.
- أهالي المحلة يحاصرون رئيس مباحث قسم أول المحلة بعد اعتدائه على المتظاهرين والأمن يستعين بالمطافئ لإخراجه

- الشرطة تطلق القنابل المسيلة للدموع على المتظاهرين والمواطنين العاديين في المنصورة، بعدما حاصر الآلاف مقر الحزب الوطني بالمنصورة ورشقوه بالحجارة.
- اشتباكات واسعة بين المتظاهرين وقوات الشرطة في شارع رمسيس بجوار جريدة الجمهورية
- المتظاهرون أمام دار القضاء العالي يفترشون أرض شارع رمسيس ويعلنون الاعتصام المفتوح.
- الشرطة تزيد من عنفها مع المتظاهرين في الإسكندرية بشارع بورسعيد.
- الآلاف معتصمون بميدان التحرير يطالبون برحيل مبارك.
- تعزيزات أمنية عالية وتواجد عدد ضخم من الجنود استعدادًا للاشتباك مع المتظاهرين الذين وصلوا إلى الآلاف في الإسكندرية.
- الآلاف في دمياط يقررون الاعتصام أمام ميدان الساعة في دمياط، وأمن شباب الحزب الوطني بالزرقا ينضم للمتظاهرين.
- الأمن يقطع الكهرباء عن قرى البشري بالمحلة، واستمرار احتجاج المتظاهرين هاتفين برحيل مبارك
- الأمن يعتدي على المتظاهرين في شارع بورسعيد بالإسكندرية بالقنابل المسيلة للدموع وعشرات الآلاف من المحتجين يهتفون (لا مبارك أب وابن).
- المتظاهرون يكتبون على حوائط المباني بميدان التحرير «يسقط حسني مبارك»، ويحطمون لافتة كبيرة للحزب الوطني موجودة بوسط ميدان التحرير ويدوسون عليها بأقدامهم.
- المتظاهرون في الإسكندرية يحاصرون قسم شرطة رمل الأول لمدة نصف ساعة

- الأمن يعتدي على عشرات المتظاهرين في ميدان التحرير بالطوب والخليل المسيلة للدموع أثناء صلاتهم للمغرب رغم استغاثات الواقفين لحمايتهم.
- الأمن يغلق كوبري أكتوبر أعلاه من ناحية فندق هيلتون .
- المتظاهرون في ميدان التحرير يجلسون أمام عربات الأمن المركزي، لمنعها من دخول ميدان التحرير.
- المئات من رجال الشرطة يطوقون مبنى محافظة الإسكندرية والمتظاهرون يواصلون الزحف نحوه، وتبادل التراشق بالحجارة بين الشرطة والمتظاهرين وإصابة متظاهر.
- كردونات من المتظاهرين في قلب ميدان التحرير تمنع الأمن من الدخول وإحكام السيطرة عليه .
- المتظاهرون يحاولون اقتحام مجلس الشعب وقاموا بتكسير السور، والأمن يرد بإطلاق قنابل مسيلة للدموع .
- موقع الحزب الوطني. على الدين هلال. المواطنون يحتفلون في عيد الشرطة، والشرطة تسهر لحمايتهم .
- عشرات المصابين بعد أن احتكت بهم سيارات المدرعات المصفحة التي أطلقها الأمن لمنع المتظاهرين .
- الأمن يطارد المتظاهرين بالسيارات المصفحة والإسعاف بشارع قصر النيل، بعد أن تمكن المتظاهرون من كسر الحواجز الأمنية والوصول لمجلس الشورى وحتى الجامعة الأمريكية وسط إصابة العشرات من الجانبين .
- الفنان عمرو واكد للدستور الأصلي من قلب المظاهرات: يجب أن تكون الدولة في خدمة الشعب والمواطنون يريدون التغيير ومعيش حد

هيقدر يقف قصادهم . كنا نشارك في مسيرة في شبرا وعندها كبر بعد ثورة ودخل علينا الأمن بالشوم. وتم القبض على أخي محمد وأكد وأنصح بإطلاق سراحه

- ١٧ ألف متظاهر في شارع أبو قير - الشريان الرئيسي للإسكندرية - بعد تقابل أكثر من مظاهرة قادمة من شرق ووسط الإسكندرية.
- غلق محطات مترو الأنفاق من سعد زغلول وحتى رمسيس، ولا يوجد سيارات لنقل المواطنين من شرق القاهرة لميدان التحرير
- مصادمات دامية بين الأمن والمتظاهرين أمام مجمع التحرير، وإلقاء القبض على كثيرين وإصابة آخرين
- مسعد أبو فجر: متظاهرون في سيناء يغلقون الطريق الدولي وهذا يعني فصل رفح والشيخ زويد عن باقي الجمهورية وإذا صمد هذا المشهد ثلاثة أيام سيسقط نظام مبارك .
- مراسل الجزيرة في مصر: المتظاهرون يقررون أن يقضوا ليلتهم في ميدان التحرير .
- متظاهرون يتجمعون أمام صورة الرئيس مبارك المعلقة على بنك التنمية والائتمان الزراعي بالقرب من ميدان التحرير ويرددون: ظالم ظالم، ثم يهتفون بالنشيد الوطني
- المتظاهرون في ميدان التحرير يحملون أحد الشيوخ ويرددون دعاء على النظام ووزير الداخلية ورئيس الجمهورية
- موقع الدستور الأصلي يتعرض لحجب للمرة الثانية داخل مصر
- آلاف المتظاهرين يحاصرون الحزب الوطني في شارع البحر بالمحلة ويهتفون «احلف بسماها وبترابها الحزب الوطني اللي خربها».

- المخرج عمرو سلامة: أنا اتمسكت واضربت داخل عمارة وولاد الحلال هربوني.
- الأمن يقبض على أربعة من المتظاهرين من شارع القصر العيني وفي المتظاهرون: سيبوا إخواننا .. سيبوا إخواننا »
- إصابة عسكري أمن مركزي بميدان التحرير .
- الآلاف في ثلاث مظاهرات واحدة أمام مجمع التحرير، وثانية أمام شارع الإسعاف. وثالثة في سيدي بشر .
- توقف موقع تويتر عن العمل في مصر.
- مجموعة تتبع المخرج عمرو سلامة يتعرض للضرب
- جرحى ومصابون وراء جامع عمر مكرم: والإسعاف تعالجهم في نفس الوقت، ومشاهد كثيرة للدماء، وغلق الشوارع المؤدية للكورنيش من القصر العيني.
- المتظاهرون في المحلة يحاصرون مجلس المدينة ومقر الحزب الوطني وقوات الأمن تحاول فرض حصار حولهم والمتظاهرون يهتفون الحلف سماها وترابها، الحزب الوطني اللي خربها.
- المتظاهرون يحملون عسكري أمن مركزي خلف مجمع التحرير والأمن يهتف معهم.
- المتظاهرون يحملون إبراهيم عيسى وهو يهتف يسقط حسني مبارك .
- مصادمات عنيفة بين المتظاهرين وقوات الشرطة أمام مجلس الشعب
- وقوع إصابات من الجانبين - المتظاهرين وقوات الأمن في ميدان التحرير والمتظاهرون يقومون بعمل إسعافات أولية لقوات الأمن التي أصيبت وهم يهتفون سلمية سلمية

- خروج أكثر من عشرين ألف في مظاهرة بشارع البحر تنتبه للمحلة واقتحموا الكردون الأمني وقطعوا صور حسني مبارك بالكامل، ورشقوا بالطوب على سيارات الأمن المركزي واتجهوا إلى مقر الحزب الوطني وأصيب اثنان
- إصابة العشرات بينهم أطفال في تبادل لإلقاء الحجارة بين الأمن والمتظاهرين في مجمع التحرير، والمتظاهرون يواجهون حجارة قوات الأمن بعبارات «مصر مصر» وموجة من التصفيق العالي.
- إبراهيم عيسى يشارك المتظاهرين وقفتهم في التحرير والشباب يهتفون له عيسى عيسى.
- شباب المتظاهرين يملأون ميدان التحرير هاتفين تحيا مصر.
- ألف متظاهر في محطة الرمل بالإسكندرية يمزقون صور جمال مبارك والأمن يعتدي عليهم
- المتظاهرون يرشقون صورة كبيرة لحسني مبارك في دوران شبرا وهم يهتفون «عيش.. حرية.. كرامة.. إنسانية».
- اشتباكات عنيفة بين الأمن ومئات المتظاهرين قبل ميدان السيدة زينب والأمن يستعين بالبلطجية.
- الأمن يعتدي على محرري الدستور الأصلي وهم نادية الدكروري وعبدالرحمن عبادي ورنا ممدوح والوليد إسماعيل.
- الأمن يقذف قنابل مسيلة للدموع بكثافة عالية على المتظاهرين من فوق أسطح العمارات في وسط البلد.
- بدو سيناء يهددون بالاعتصام قرب مقر القوات الدولية بسيناء.
- ضياء رشوان و ١٠٠ صحفي متظاهرون في شارع القصر العيني أمام مجلة روزاليوسف والأمن يعتدي عليهم بشدة.

الأمن يعتقل متظاهرين أمام مستشفى أحمد ماهر إلى جهة غير معلومة وحدث تبادل للضرب بين المتظاهرين وضباط الأمن.

- الأمن يلقي عدد كبير جداً من القنابل المسيلة للدموع لتفريق آلاف المتظاهرين في ميدان التحرير.

آلاف المتظاهرين من باب الشعرية ومنطقة رمسيس ينضمون إلى المتظاهرين أمام دار القضاء العالي.

- الأمن المركزي يطارد المتظاهرين في شوارع عبروا لمنعهم من الالتحام بمتظاهري التحرير، ويلقي القبض على ١٥ متظاهراً في شارع حلوصي سوران شبرا ويتهم مسنين ويسحلونهم على الأرض كما قاموا بالاعتداء على عدد من البنات

- المئات يخترقون الحواجز الأمنية في الإسماعيلية ويهتفون ايسقط يسقط حسني مبارك.

- الأمن يلقي قنابل مسيلة للدموع على المتظاهرين أمام وزارة التضامن الاجتماعي ومؤسسة روزاليوسف.

- قوات الأمن تفتح المياه على المتظاهرين الذين يصلون صلاة العصر في ميدان التحرير: ومتظاهرون يصعدون إلى أعلى سيارة رش المياه وقاموا بكسر الخرطوم

- الأمن يفتح خراطيم المياه على المتظاهرين أمام مدرسة قصر الدبارة وميدان التحرير والمتظاهرون يردون عليهم برمي الطوب

- المتظاهرون يحطمون ثلاث لافتات كبيرة للرئيس مبارك وحبيب العادلي واللواء إسماعيل الشاعر ويمزقونها بأسنانهم أمام قسم شرطة الرمكي وقوات الأمن تحاول منعهم إلا أنها تتراجع أمام أعدادهم الكبيرة

- الأمن يعتدي على المتظاهرين بالعصي والهراوات أمام مجلس الشعب
- آلاف المواطنين في السويس يرفعون شعارات أجانب وثوار تحية.. وانضمام الأهالي لهم وسط هتافات «واحد اثنين الشعب المصري فين» «ارحل ارحل يا مبارك».
- الشبكة العربية لحقوق الإنسان: أنباء عن سيطرة مواطنين على قسم شرطة دار السلام.
- إيقاف أحد أرقام الطوارئ الخاصة بجبهة الدفاع عن متظاهري مصر رقم ٠١٠٦٧٠١٤٧٠ - أصبح الآن غير موجود بالخدمة.
- مدرعات تحاصر آلاف المتظاهرين أمام مجلس الشعب بعد أن افترشوا الأرض وهم يهتفون «موتونا موتونا»
- حوالي ٣ آلاف متظاهر اتجهوا من ميدان مصطفى محمود في طريقهم إلى ميدان التحرير يتقدمهم المخرج أحمد ماهر.
- حوالي ٦ آلاف متظاهر ينجحون في كسر الحصار على ميدان التحرير واستقروا أمام مجلس الوزراء مرددين: «الحرامية أهم».
- اشتباكات عنيفة بين المتظاهرين والأمن بعد محاولتهم كسر الكردون المفروض على كوبري قصر النيل للقادمين من ناهيا.
- مظاهرة يزيد عدد المشاركين فيها عن ١٢٠٠ في شارع ١٥ في منطقة المصافرة وأخرى في ميدان الشلبية يشارك فيها أكثر من ٥٠٠ من الوطنية للتغيير بالإضافة إلى مظاهرات أخرى في مناطق أخرى يهتفون «يسقط يسقط حسني مبارك».
- المتظاهرون يفترشون شارع ٢٦ يوليو، ويمتنعون عن التظاهر لحين انتهاء أذان العصر.

- الآلاف من المتظاهرين يتمكنون من كسر الحاجز الأمني أمام دار القضاء العالي ويعبرون من شارع ٢٦ يوليو في اتجاه الجثة
- ٧ آلاف يتظاهرون أمام مجمع التحرير ويهتفون "تغيير حرية عدالة اجتماعية" "يسقط يسقط حسني مبارك"
- أكثر من ٥ آلاف متظاهر بطول شارع ٢٦ يوليو يهتفون ضد الرئيس مبارك
- مسجد عدد من المواطنين إلى ميدان مطرية أمام المسجد الكبير وحاول الأمن منع المواطنين إلا أنهم استطاعوا الدخول وانضموا إلى المتظاهرين وقد ارتفع عددهم إلى أكثر من ٤٠٠ متظاهر.

اشتباكات بين آلاف المتظاهرين وقوات من الأمن المركزي أمام دار القضاء العالي بعدما توجه المتظاهرون لتخليص ٢٠٠ من زملائهم من ضمنهم د. محمد البلتاجي القيادي الإخواني تم احتجازهم داخل دار القضاء العالي.

- حاول الأمن محاصرة المتظاهرين في بداية ميدان عبد المنعم رياض إلا أن المتظاهرين اشتكوا معهم فاستطاع عدد منهم كسر الكردون الأمني والعبور إلى ميدان عبد المنعم، ولكن قامت أجهزة الأمن بفرض كردونًا أمنيًا مرة أخرى في نهاية الميدان لبعض متظاهرين آخرين
- حمدين صباحي مع المتظاهرين في شارع البطل أحمد عبد العزيز
- الفنان عمرو واكد يتواجد في مظاهرة بشبرا.
- آلاف يتجهون من نقابة المحامين إلى ميدان التحرير.
- متظاهرو بولاق وناهيا يتجهون إلى مظاهرة جامعة الدول العربية وشهود من هناك: عدد المشاركين يتخطى ٨ آلاف متظاهر.

- محتجون بسيناء يتجهون نحو قاعدة دولية .
- العشرات من النشطاء ينظمون وقفة مقابل المسجد الكبير بميدان القرية ويرفعون علم مصر ويهتفون «اصحى ياشعب تعال معانا».
- أكثر من ثلاثة آلاف كسروا الكردون المحيط بهم في منطقة ناهيا متجهون إلى جامعة الدول العربية ويهتفون «ارحل ارحل مش عايزينك».
- مظاهرة تتجه إلى مؤسسة الأهرام ومصدر أمني «إحنا مش عارفين نعملهم إيه دول زي العفاريت بيطلعوا من كل حتة»
- آلاف يتجهون من جامعة الدول العربية باتجاه التحرير ويهتفون «اللي عايز التغيير يجي معانا على التحرير» ، «واحد اتنين الشعب المصري فين».
- العشرات يتظاهرون في سوق باكوس وأمام محطة مصر وأمام كوبري راغب في منطقة كرموز يهتفون ضد غلاء الأسعار ويطالبون بإقالة الحكومة .
- آلاف المتظاهرين يتجهون من شارع ناهيا إلى شارع جامعة الدول العربية.

الأمن يفشل في منع المتظاهرين من الوصول لمبنى اتحاد الإذاعة والتليفزيون وعشرات من جنود الأمن المركزي يسمحون بمرور المتظاهرين من الكردون الأمني. وافتراش المتظاهرين الطريق أمام الإذاعة والتليفزيون

- الفين من نشطاء ٦ أبريل في شارع وادي النيل بالمهندسين يهتفون بالروح بالدم نفديكي يا مصر.

- بدأ الأمن في ملاحقة المتظاهرين بجامعة الدول العربية، وذلك بعد وصولهم إلى أكثر من خمسة آلاف متظاهر.
- خمسة آلاف من متظاهري التحرير يتجهون إلى ماسبيرو يهتفون عيش حرية كرامة وطنية
- أيمن نور يقتحم مظاهرة أمام الحزب الوطني.

المتظاهرون أمام مقر الحزب الوطني يهتفون الحرامية أهم.

- المتظاهرون يخرجون من الكردون الأمني أمام مصطفى محمود وآلاف في شارع جامعة الدول العربية تطاردهم قوات الأمن المركزي
- إغلاق بوابات المقر الرئيسي للحزب الوطني خشية اقتحام المتظاهرين.
- إغلاق شارع القصر العيني بداية من القصر العيني الفرنساوي حتى مجلس الشعب
- بلال فضل يشارك المتظاهرين وقفتهم في شارع القصر العيني.
- الآلاف يهتفون أمام المقر الرئيسي للحزب الوطني بميدان عبد المنعم رياض: احلف بسماها وترابها الحزب الوطني اللي خربها وتوقف أتوبيسات النقل العام أمام المظاهرة وخرج منها بعض المواطنين للمشاركة فيها.
- ترك المتظاهرون كوبري قصر النيل بعد غلقه واتجهوا إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون ملاقاة المتظاهرين القادمين من شبرا.
- لافتات من أمام دار الحكمة.. لا للتعذيب.. لا لقانون الطوارئ.. يا شعب تونس قام.. هرب اللص والنظام لا للبطالة. ١٣ مليون عانس في مصر.

- تمكن عشرات المتظاهرين من الإمساك بأحد ضباط الأمن المركزي وقالوا له: «أنت معانا ولا مع مبارك... مستقبلك معانا.. مبارك هيرحل ويسيبك» وحاول كثير من عساكر الأمن المركزي الالتفاف حول المتظاهرين لإنقاذ الضابط إلا أن المتظاهرين طمأنوهم على أنهم لا يريدون من الأمن شيئاً.
الأمن بدأ تهديد المتظاهرين في شارع القصر العيني بالسحل إن لم يتفرقوا.
- الأمن يغلق كوبري قصر النيل في الاتجاهين والمتظاهرون يهتفون أمام جامعة الدول العربية «بالروح بالدم نفديكي يا مصر».
- الأمن يحتجز حسام الهندي الصحفي بالدستور بـ ٣ أمناء شرطة في ناهيا.
- حملة دعم البرادعي ومئات المواطنين في مظاهرات منفرقة أمام القصر العيني والفرنساوي ودار الحكمة.
- متظاهرو ميدان التحرير كسروا كردون الأمن وفي طريقهم لكوبري قصر النيل والأمن يفقد السيطرة.
- حركة ٦ أبريل يتجهون للتظاهر في ميت عقبة وناهيا وأرض اللواء.
- الأمن يغلق شارع القصر العيني الآن بالمتاريس والحواجز ويغير مسار السيارات لمنع الوصول لدار الحكمة.
- مظاهرة في شارع وادي النيل «يسقط يسقط حسني مبارك» «كيلو الفراخ بـ ١٠ جنيه».

ثلاثة آلاف متظاهر يحتشدون المنطقة ما بين ميدان التحرير والمتحف المصري بعدما قام الأمن بمنعهم من التوجه إلى ميدان التحرير ويهتفون «يا مبارك يا مبارك... السعودية في انتظارك».

- آلاف من المتظاهرين في ميدان عبد المنعم رياض يحاولون التوجه إلى ميدان التحرير والأمن يحاول منعهم بعنف.
- تجمع نشطاء من ٦ أبريل وحركة العدالة والحرية في الحواري المؤدية لمزلقان ناهيا.. وسيارات أمن مركزي تحيط بمزلقان لمنع المتظاهرين من العبور إلى شارع السودان
- أكثر من ألف متظاهر يحملون أعلام مصر ويهتفون «باطل» يتحركون من أمام دار القضاء العالي إلى ميدان عبد المنعم رياض.
- إلقاء القبض على مواطن يحمل لافتات على كوبري قصر النيل
- إلغاء مظاهرة جامعة القاهرة وعقدها أمام كوبري الجامعة.. وقوات الأمن تخرج الطلبة المتواجدين داخل الجامعة
- ألقت قوات الأمن القبض على مصمم أحذية في منطقة أبو السعادات بعد أن عثروا معه على لوحات زيت وبعد أن أمسكوا به وجدوا اللوحات فارغة ولا تحتوي على أي عبارات أو رسوم وعندما سألوه عن السبب أخبرهم أنها خاصة بالورشة التي يمتلكها بالتحرير ويدعى أنه يدعى عبدالمعز عبد الحميد.
- الأمن يغلق شارع ٢٦ يوليو بالكامل ويحاول تقسيم المظاهرة إلى مظاهرتين. وحضور جورج إسحاق وعلاء عبد المنعم وأحمد بهاء الدين شعبان.
- شهود: الأمن يوقف شاحنة مقعد وكريمة الحفناوي ونور الهدى زكي بميدان زركي ويمنعهم من التحرك بالتاكسي.
- ما يقرب من ٣٠٠ متظاهر يهتفون ضد النظام أمام دار القضاء العالي وسط تواجد أمني مكثف بحضور عدد من نواب الإخوان السابقين

والقيادي بالجماعة د. محمد جمال حشمت إضافة إلى د. محمد أبو الغار ود. جمال زهران ود. كريمة الحفناوي، والمتظاهرون يوزعون الورود على جنود الأمن المركزي.

- الأمن يحتجز ٨ فتيات منهن صحفية بإسلام أون لاين من مقهى سيلانترو بجامعة الدول العربية

- حركة ٦ أبريل تعلن القبض على مجموعة من طنطا أثناء دخولهم المحلة، اتصلت سمر أحمد عبد القدوس بالمركز المصري وهي من المقبوض عليهم قبل أن يتم إغلاق تليفونها فجأة.

- عشرات النشطاء ومعهم د محمد البلتاجي القيادي بحركة الإخوان يتظاهرون أمام مقر الشهر العقاري في شارع رمسيس.

صفحة خالد سعيد تعلن أن مظاهرة جامعة الدول العربية ستكون الثالثة ظهراً أمام مسجد مصطفى محمود.

- تفتيش ركاب محطة مترو أنفاق المطرية تفتيشاً ذاتيًا وسط تواجد أمني مكثف.

- الاعتداء على أحد النشطاء أمام دار القضاء العالي وهو يرفع لافتة ضد الرئيس مبارك.

- مصادمات بين الأمن وأعضاء لجنة الحريات بنقابة المحامين لمنعهم من الخروج في مسيرة.

عشرات النشطاء من لجنة الحريات بنقابة المحامين يتظاهرون أمام نقابة المحامين ويهتفون عاش كفاح الشعب المصري، وعاش كفاح الشعب التونسي، بالثورة الثورة يا مصريين، والأمن يحاصرهم بكردون أمني مكثف، ومنع دخول أو خروج أي شخص من داخل أو خارج الكردون

- جدال بين قيادات الداخلية حول إغلاق محطة مترو التحرير «السادات» ومنع توقف المترو فيها بعد وصول معلومات عن نية المتظاهرين التجمع في المحطة للتظاهر في قلب الميدان .
- مصدر أمني للدستور الأصلي «الشخص الذي قبضنا عليه شخص عبيط كان متصور أن فيه مظاهرات بجد النهاردة».
- قوات الأمن تمنع المارة من العبور في المنطقة التي يحتشدون فيها على المتظاهرين. وضابط ينصح أحد المواطنين الذي توجه لصلاة الظهر في مسجد مجاور للمكان الذي يحتشدون فيه مع المتظاهرين بأن يصلي في مكان آخر .
- تجمع عدد محدود من النشطاء أمام سينما روكسي بمصر الجديدة وسط مضايقات أمنية وحصار من قوات المركزي والنشطاء هم د. ممدوح حمزة وشاهندة مقلد ود. يحيى القزاز وسعيد شبالي وغياب لافت للشباب
- إلقاء القبض على أول متظاهر في ميدان التحرير . المتظاهر في الثلاثين من عمره وكان يحمل لافتات ضد التعذيب وألقت قوات الأمن القبض عليه في محطة مترو التحرير. ثم اتجهت به إلى أحد الأكشاك لبدء التحقيق معه
- عاجل: إصابة المعارض أيمن نور أثناء المظاهرات بحجر في رأسه .
- الشرطة تستعين بفئات من البلطجية في ميكروباصات بدون أرقام .
- خروج مئات الآلاف من المتظاهرين في كافة أنحاء الجمهورية خاصة محافظات القاهرة والجيزة والسويس والإسكندرية وشمال سيناء والمنصورة تطالب جميعاً بإسقاط النظام والأمن يتعامل معها باستخدام خراطيم المياه والغازات المسيلة للدموع

- قرابة مائة وخمسين ألف متظاهر بالإسكندرية يمزقون صور لجمال مبارك ويهتفون (مش عايزينك)
- أحمد منصور: الضباط يطلقون النار على المتظاهرين
- مصطفى الفقي متحدثاً للجزيرة: طول مدة المظاهرات يرفع سقف المطالب ودعونا لإجراءات سريعة للتعامل مع الموقف. ما يحدث الآن ثورة شعبية لا يستطيع الأمن التعامل معها.
- الجزيرة: عاجل تشكيل أمني يرفض إطلاق الغازات المسيلة للدموع على المتظاهرين.
- الجزيرة: نحو خمسين ألف متظاهر في المنصورة يحطمون مقر الحزب الوطني بالمدينة.
- وقف بث قناة الجزيرة بشكل كامل على نمر النايل سات
- أنباء عن مظاهرات كبيرة في مدينتي أسوان والأقصر يشارك فيها آلاف المتظاهرين
- شبكة رصد: اشتباك مع الشرطة خارج مسجد مصطفى محمود في مظاهرة يقودها حمدين صباحي.
- الأمن يطلق القنابل المسيلة للدموع على المتظاهرين لمنعهم من الوصول لمجمع التحرير منذ قليل
- شبكة رصد: المتظاهرون يقتحمون مقر الحزب الوطني بالإسماعيلية.
  تم منع وقفة دبي وانتقالها إلى منطقة حميرة.
- الأمن المصري يستخدم بلطجية يرتدون الزي المدني للاندساس في جموع المتظاهرين للقبض على الناشطين
- الجزيرة: اعتقال أربعة صحفيين فرنسيين أثناء تغطية أحداث المظاهرات

- الجزيرة: أحمد منصور من قناة الجزيرة يتعرض لاعتداء من بلطجية تابعين للأمن يرتدون الزي المدني .
- الشباب يقتربون من مقر الحزب الوطني الديمقراطي بالتحرير .
- قنابل مسيلة للدموع بشارع الجلاء بالمنصورة العدد حوالي ١٠ آلاف .
- العربية: عاجل مصر. متظاهرون يحتشدون قرب القصر الرئاسي في القاهرة .
- احتجاز محمد البرادعي والدكتور أسامة الغزالي حرب في موقعهم وعدم تحركهم من أماكنهم التي يؤدون بها الصلاة .
- مظاهرات حاشدة في المنيا والشرقية .
- مسيرة من عمارات العبور بصلاح سالم بمصر الجديدة إلى ميدان العباسية وشوهدت حواجز أمنية مشددة أمام منزل الرئيس والأمن يغلق كوبري الجلاء وآلاف المتظاهرين يجوبون الشوارع .
- انطلاق مظاهرة حاشدة أمام السفارة المصرية بعدة الآن.
- البرادعي وأسامة الغزالي حرب يتجهون للصلاة في مسجد الاستقامة بميدان الجيزة والأمن يحاول منعهم لم يسمح لهم بالدخول تحت ضغط الناس، وبعد الصلاة يخرج آلاف المصلين في مظاهرة يهتفون الشعب يريد إسقاط النظام، ويتعامل معهم الأمن بخراطيم المياه والغازات المسيلة للدموع .

ooo

أشهر ما قيل من نكات أيام الثورة

طوال أيام الثورة برزت خفة دم المصريين من خلال النكات التي تعبر عن الكوميديا السوداء التي عايشها المصريون على مدار ثلاثين عامًا .

وجاء إعلان تنحي الرئيس مبارك ليعبر بشكل أكبر حملة خفة الظل.. وأطلقت الكثير من النكات على هذا الحدث الأبرز في تاريخ مصر الحديث.

وكما كان للموقع الاجتماعي الشهير «الفيس بوك» هو مفجر ثورة الغضب أو كما أطلق عليه شباب الانتفاضة «مجلس قيادة الثورة» كان له دور بارز في إظهار سخرية المصريين في تنحي مبارك من خلال عدة من «الجروبات» أشهرها «جروب» خفة دم المصريين في المظاهرات، و«جروب» خفة دم المصريين في الأزمة .

ومن النكات التي شارك بها الشباب على الفيس بوك عارفين ليه النظام سقط ؟ علشان شال ٦ مواد من الدستور.

الملايين في ميدان التحرير يرفعون لافتة يقولون فيها ارجع يا ريس كنا بنهزر معاك نوقيع الكاميرا الخفية

من ميدان التحرير إلى الإخوة الأشقاء العرب «في حد مضايقكم تاني نسلمه قبل ما نسيب الميدان».

شهود عيان في أروقة التربية والتعليم تفيد بأنه تم تأجيل امتحانات الدور الثاني لأجل غير مسمى معللة هذا بأن النظام سقط رسميًا وقت ملشان يذاكر «استخدم صمغ مبارك ضمان ٣٠ سنة».

«مبارك بعدما مات قابل السادات وعبد الناصر سألوه: هاه.. سم ولا منصة؟ رد عليهم بحرقة وقال: فيس بوك»

وتعبيراً عن بدء الانتفاضة الجزائرية لأول أمس انطلقت نكتة بعد اعتقال ٤٠٠ متظاهر في الجزائر وقطع الإنترنت ملي فاضل إلا الحمار والخيول.

ولأن كل ثورة أو حدث بارز في تاريخ الأمم تتجه له أفلام تعبر عنه من خلال الصورة السينمائية، تنبأ الشباب بظهور جيل جديد من أفلام الثورة يكون على النحو التالي: «يا أنا يا حسني»، «مبارك في الزنزانة»، «الواد سليمان ساح الريس»، «مبارك شيكابيكا»، «إنها حقاً أجندة محترمة»، «تيمور وحسني» و«مطب رئاسي»، «الشعب مع الإخوان»، «تحيي شيكا»، «الزلزلة جوه التحرير»، «إسلام يا حسني»، «التحرير رايح جاي»، «الحرس الخاص جوه فيه سم قاتل»، ومسرحية «امشي يا حسني.. لأ مش ماشي».

مبارك بعث رسالة لزين العابدين (والذي سبقه في الخلع) قائلاً له: لو هتنام بدري النهاردة سيب المفتاح تحت الدواسة.

❁❁❁

أشهر الهتافات التي قيلت أيام الثورة

- الشعب يريد إسقاط النظام .
- ارحل .. ارحل .
- هنا في الميدان .. والجدع جدع .. والجبان جبان .. يالّلا بينا يا جدع .
- مجلس الشعب باطل .
- مجلس الشورى باطل .
- أحمد عز باطل
- حسني مبارك باطل .
- جمال مبارك باطل .
- كل آل مبارك باطل
- باطل .. باطل .. باطل
- حرية .. كرامة .. عدالة اجتماعية .
- يا مبارك يا مخلوع .. ارحم أبويا الفلاح .
- الشعب يريد محاكمة النظام

الشعب يريد محاكمة الفساد .

وحين طالت الأيام دون رحيل ظهرت هذه الهتافات:

- ارحل يعني امشي... إن كنت ما بتفهمشي .
- يا سعودية يا سعودية جيالك (........) من المنوفية
- للسعودية خسارة فيك.... إسرائيل أولى بيك .

- كلموه عبري .. عربي ما بيعرفشي .
- الجيش والشعب إيد واحدة .

وحين تم (التخلي عن المنصب) ظهرت هذه الهتافات:

- الشعب خلاص أسقط النظام .
- الجيش والشعب حنكمل للثوار
- مصر حرة.. حسني برة .
- حرية .. حرية .
- عايزين فلوسنا .. من بنوك سويسرا .
- يا شهيد نام وارتاح .. واحنا نكمل الكفاح
- يسقط يسقط ونريد الإعدام

الكذب حصري على التليفزيون المصري

- دلعو يا دلعو .. حسني الشعب خلعو.
- تحيا يا مصر في عزة ونصر .
- الشعب يريد محاكمة السفاح .
- يا دكتور إيه أخبارك ... خلاص سقط حسني مبارك

حسني مبارك ولى وراح.. احنا أساتذة الجامعات

- آه .. آه يا بلدنا... يا نكبة بهرك الحرامية .
- لا إله إلا الله.. الشهيد حبيب الله .
- يوم الجمعة بعد العصر .. قتلوا إخوانا في كل مصر .
- ما بنحبوش ... ما اخترناهوش .

- ياجيشنا يا مناضل ... إنهي حكم الباطل .
- ياحاكمنا ياباحث ... وكل الشعب يقلعك حابس .
- ثورة ثورة بالملايين .... جمعت كل المصريين.
- يللي عايز التغيير ... خطوة واحدة للتحرير
- يارغيف فينك فينك.... البطالة بيا وبينك .
- أهلاً .. أهلاً بالتغيير
- أومي تقول هنقعد في بيتنا ... دم الشهداء في رقابتنا .
- دولا مين ودولا مين ... دولا كل المصريين
- مصر أحلى بدون مبارك.
- يالا الهار ... يالا الهار . مبارك بيضرب شعبه بالنار
- ياسليمان ياسليمان ... مش عايزينك إنت كمان.
- ياسليمان ياسليمان ... مش عايزينك إنت كمان.

(يقصدون السيد عمر سليمان) الذي عينه الرئيس حسني مبارك نائبًا له.

- يا أهالينا.. يا أهالينا .. لو سكتنا يدوسوا علينا .

في الميدان:

كنت أجد العديد من الظواهر الإبداعية ومن مختلف الطبقات والفئات مثلاً:

الجرس: واحد يضرب طبلة... وشخص آخر وراءه يلف ميدان التحرير ويوجه حديثه للحشود قائلاً على طريقة المماليك قديمًا:

يا أهل مصر المحروسة.

لبه عبل تايه .

من ثلاثين سنة .

اسمه .....

مواصفاته:

أعمى ما بيشوفش

أطرش ما بيسمعش.

أخرس ما بيتكلمش

اللي يلاقيه

في أقرب صفيحة زبالة ويرميه .

أو يولع فيه.

يا أهل مصر المحروسة

(وهكذا يتواصل النداء ويتكرر)

الرجل ينادي بصوت من ضاع له شخص، والآخر يدق دقات محسوبة على الطبلة لكي يلفت الانتباه .

وتتواصل الهتافات:

- دم الشهداء مش هيروح .. بكرة نعود ونروح .

- معركة وإصرار ... ثورتنا مش هزار .

- على قصر عابدين ... شهداء بالملايين .

أول مطلب مصر الحرة ... حسني مبارك يطلع برة .

- اعتصام... اعتصام ... حتى يسقط النظام

- يسقط يسقط حسني مبارك .. قولي مين في الشعب اختارك؟
- مش هنخاف... مش هنطاطي.. احنا كرهنا الصوت الواطي
- ياحمال قول لأبوك... كل الشعب المصري بيكرهوك .
- اللي بيحب مصر.. ما يخربش مصر.
- مصر يا أم ولادك أهم.. دول علشانك شالوا الهم
- أنا مش ماسك بندقية.. نفسي أشبع م الحرية .
- مسلم.. مسيحي .. كلنا مصريين .
- حكمك يا مبارك باطل.. باسم (٨) مليون عاطل
- الشعب جعان.. الشعب اتذل.. وبحث المعيشة حل لا حل .
- ثورة مليونية حتى نكسب القضية .
- اخترناك يوم ما جيرت... وطردناك يوم ما ظلمت

اللافتات:

يبدو ملمح آخر في الشخصية المصرية تجلى بوضوح حين قمت بالذهاب إلى ميدان التحرير - إبان أيام الثورة.. ورصدت العديد من (اللافتات) اذكر منها:

- قالوا كنتاكي ودولارات وآخرتها رميت على بقسماط.
- ارحل بقى إيدي وجعتني (لأنه رافع هذه اللافتة) .
- إلحق عايز أروح احلق .

(لشاب شعره منكوش ويرفع هذه اللافتة).

- كنتاكي ايه.. كنتاكي تاكل يا غبي .

- بتلعب بالوقت على مين أنت ناسي إن احنا (٩) مليون عامل !!
- من مصر وفي ممكن أقطع لك تذكرة .

(الطفل لا يتجاوز عمره ١٠ سنوات يرفع علمه اللافتة)

- احنا من المنوفية واحنا أول ناس هنزلوا معاك
- يا للا بقى عايز كسره.

(الشاب يحمل زيرا):

- يا مبارك صحي النوم النهاردة آخر يوم
- يا للا بقى احنا اتخنقنا منك .

●○●

وقد تم توزيع بعض الأوراق ومنها:

المادة (٣) من الدستور المصري

«السيادة للشعب وحده وهو مصدر السلطات، ويمارس الشعب هذه السيادة ويحميها ويصون الوحدة الوطنية على الوجه المبين في الدستور».

وبناءً عليه فقد قرر الشعب الآتي:

١- الإقالة الفورية لرئيس الجمهورية من منصبه.

٢- تشكيل لجنة لتقصي الحقائق ومحاكمة المتسببين في سقوط أكثر من ٣٠٠ شهيد.

٣- إلغاء قانون الطوارئ.

٤- حل مجلسي الشعب والشورى فوراً (ما بُني على باطل فهو باطل)

٥- محاكمة كل من وزير الداخلية السابق (العادلي)، ووزير الإعلام الحالي (الفقي) بتهمة القتل العمد والتضليل وبث الفتنة والخيانة العظمى للبلد.

٦- تفويض رئيس الوزراء الحالي (بعد إلغاء وزارة الإعلام) بإدارة شئون البلاد لفترة انتقالية لحين وضع دستور جديد وإجراء انتخابات حرة على وظيفة رئيس الجمهورية.

٧- تشكيل لجنة من رموز المعارضة والشخصيات العامة وممثلين من الشباب لمتابعة وإعداد ومناقشة دستور جديد مع عمل استفتاء عام على الدستور للموافقة عليه من الشعب

٨- الإعداد لانتخابات حرة لانتخاب مجلسي الشعب والشورى يليها انتخابات على وظيفة رئيس الجمهورية.

٩- مشرعو مواد الدستور الجديد عليهم أن يضعوا نصب أعينهم الآتي:

- الحفاظ على كرامة المواطن
- العدالة
- المواطنة بغض النظر عن الديانة .
- وضع أسس جديدة لمفهوم الشرطة وإلغاء «أمن مبارك» المعروف «بأمن الدولة».
- وظيفة رئيس الجمهورية تكون لفترتين فقط مع إمكانية محاسبته وعزله أينما أراد الشعب .
- البعد عن السلطة الشمولية وصياغة مواد تتناسب مع العصر تحث على العمل والصدق والتعليم والبحث العلمي.

إمضاء

خمسون مليون مصري

●●●

لا للشائعات..نعم لاستمرار الثورة

- نحن المعتصمون في ميدان التحرير لن نترك مكاننا إلا بعد رحيل مبارك
- لن نلتفت إلى الشائعات التي تظهر كل فترة.

نعلم أن أهالينا يحمون بيوتنا ضد بلطجية الحزب الوطني والداخلية.

- هناك محاولات لتشتيت انتباهنا عن مطلبنا الأساسي وهو رحيل مبارك.

المعركة الآن هي رحيل مبارك، وإذا رحل سوف نعرض شروطنا كاملة على من يدير البلد معنا

- لن نترك ميدان التحرير مهما حدث، ولن ندخل في معارك جانبية، ولن نضحي بدماء شهدائنا.
- وندعو أهلنا في المناطق الشعبية إلى دعم المعتصمين في ميدان التحرير بالاستمرار في تنظيم المظاهرات والاحتجاجات؛ لأن ديكتاتوراً مثل مبارك لن يرحل إلا في حالة استمرار المظاهرات والاحتجاجات مع استمرار الاعتصام في ميدان التحرير

(الشعب يريد إسقاط الرئيس)

(ونكتفي بهذا القدر مما ذكر في ميدان التحرير وقد فاتت بوجه الكثير من الأمور، وقد نعود إليها لاحقًا بهدف التحليل الأكثر عمقًا لها، ودراسة «حالة التحرير») .

●●●

أحلام وتطلعات

أي ثورة في العالم يكون لها هدفان:

الأول: تحطيم وإزالة واستبعاد النظام القائم بكل رموزه ومقوماته ودستوره وقوانينه .

الثاني: إعادة بناء الدولة وفق أسس جديدة تحاول قدر طاقتها أن تتحاشى مثالب وعيوب النظام البائد الذي قامت الثورة من أجل التخلص منه: تحقق الآن الشق الأول: خاصة التخلص من (رموز السلطة)، ومازالت الثورة مشتعلة من أجل استبعاد ومحاكمة كل رموز السلطة، والواقع أن الجميع كان يعرف بوجود (الفساد)، ولكنه لم يكن أبداً يتخيل أن الفساد بهذا الحجم والجبروت والفجور .

- ويبقى الشق الأصعب وهو إعادة البناء، ونأمل أن يتم في تؤدة وبإصرار: وأن تظل الدافعية الثورية في الصدور حتى تصل الثورة إلى تحقيق أهدافها. مع الأخذ في الاعتبار أن ذلك قد يحتاج إلى وقت ومثابرة وإصرار وإرادة وعزم

- ومازال الطريق طويلاً ولم تسر فيه الثورة إلا خطوات قليلة . والله الموفق والمعين إن شاء الله إلى تحقيق ما نصبوا إليه من حرية وكرامة وإنسانية وعدالة رأي.

***

أخيــــــراً

وقد ترتب على تخلي حسني مبارك عن السلطة الآتي:

١- تعطيل العمل بالدستور.

٢- حل مجلسي الشعب والشورى.

٣- تشكيل لجنة لتعديل الدستور.

وباقي الإجراءات متواصلة.. مع الأخذ في الاعتبار أن الملايين مازالوا يلعبون كل يوم جمعة إلى الميدان حتى يصل (التجلي) بالإصلاحات وأهمها.

- إلغاء قانون الطوارئ.

- تشكيل حكومة جديدة (لا تحمل أي وجه من العهد الماضي).

ومازال الأمل يرفرف وفضاء الحرية يتسع.. في النفس وفي الفضاء.. يارب تستمر الحرية والعدالة والكرامة ويكون (كل ما سبق يوم ٢٥ يناير مجرد تاريخ).

●●●



المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

١- إبراهيم الذيب (٢٠٠٩): العالم العربي يقف على بركان الطائفة. الإنترنت.
٢- إبراهيم عيسى (١٥/ ٥/ ٢٠٠٩) نقل الرئاسة، الدستور.
٣- إبراهيم عيسى (١٠/ ٦/ ٢٠٠٩)، انقذ مصر يا سيادة الرئيس .
٤- أحمد باشا وآخرون (٢٩/ ٥/ ٢٠١٠) : تصحيح الأخطاء العلمية في تحليل الشخصية. المصري نوري (قابل للتغيير)، الإنترنت .
٥- أحمد زايد وآخرون (٢٠٠٩): منظومة القيم في المجتمع المصري، مركز الدراسات المستقبلية، آداب القاهرة .
٦- أحمد رايد (٢٧/ ٢/ ٢٠١٠) في مصر ٣ مستويات للفساد. حوار عبدالرحمن عبادي، الدستور .
٧- أحمد شلبي، د. مصطفى الرصفاوي (٨/ ٦/ ٢٠٠٩)، القضاة يختلفون حول الحكم، المصري اليوم، ص ١٩ .
٨- أحمد عكاشة (٣٠/ ٥/ ٢٠٠٦)، الزعيم يتوحد والكرسي، حوار محمد السيد صالح، المصري اليوم.
٩- أحمد عكاشة (٩/ ١٠/ ٢٠٠٩): في الكونجرس الإسكندنالي: المصري ليس صديراً بحقوقه مادام ينتظرها هبة من الحاكم محاضرة عرض: شريف عاشور، المصري اليوم.
١٠- أحمد عكاشة (٢٠١٠). تشريح الشخصية المصرية، دار الشروق، ط٣ .
١١- الحارث عبد الحميد (٢٧/ ٦/ ٢٠٠٩): الشخصية الاتكالية والإنسان العربي: مجلة العربي، العدد ٩٩، الإنترنت

١٢- الشروق (٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٩): أقطبة فساد في ٢٠٠٩م

١٣- الشروق (٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٩): ضباط ومباحث ٢٠١٠ سيكون دمويًا .

١٤- الشروق (٢٨/ ١٢/ ٢٠١٠): عام القضايا الساخنة .

١٥- الشيماء عزت (٨/ ٦/ ٢٠٠٩): تفاصيل ٢٤ ساعة في حياة (مُحضر) فاسد، المصري اليوم، ص ١٩ .

١٦- الشيماء عزت ومحمد أحمد السعداني (١٤/ ١٠/ ٢٠٠٩): دراسة (التنمية الإدارية) تكشف ٧٥٪ من المصريين يؤكدون سيادة الظلم و٥٠٪ لا يثقون في تصريحات الحكومة، المصري اليوم

١٧- العفو الدولية (٢٦/ ١١/ ٢٠٠٩): سكان ٢٦ منطقة في القاهرة عرضة للحفر أحياء داخل بيوتهم، عرض عبد المنعم محمود، جريدة الدستور.

١٨- الفورن البوليس ترصد الأخطاء التسعة لمبارك

١٩- المبادرة المصرية للحقوق الشخصية (٢٠٠٩): أوضاع وخدمات الصحة النفسية في مصر، الشبكة العنكبوتية .

٢٠- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقس: الشخصية المصرية في عالم متغير، موقع اليوم السابع الإنترنت .

٢١- الهوية الضائعة- الإسلام وازدواجية الشخصية العربية، الإنترنت .

٢٢- أميرة صالح (٨/ ٦/ ٢٠٠٩) سؤال لماذا تحترف التبرير، المصري اليوم، ص ١٧ .

٢٣- أميرة عبد الرحمن (٨/ ٦/ ٢٠٠٩): أمراض النخبة تنتقل إلى الشباب وتؤدي إلى عزوفهم عن المشاركة السياسية: المصري اليوم، ص ١٨

٢٤- أندريا نبتر شابدت (٢٣/ ٩/ ٢٠٠٩): الشخصية المصرية: مشي حالك، مرض: عضال مشعل، مجلة المرقة، العدد ٩٦، الإنترنت .

٢٥- أيمن عبد الهادي (٤/ ٦/ ٢٠٠٩): الوجه الآخر، ملف خاص، المصري اليوم.

٢٦- بدون (٧/ ١/ ٢٠٠٩) الشخصية المصرية (الإيجابية والسلبية) الإنترنت.

٢٧- بسمة عبد المنعم (٥/ ١/ ٢٠١٠). منقذة البنات حتى تحت النقاب، ملف، المصري اليوم ص ٢٢ .

- ياسمين القاضي (٥/ ١/ ٢٠١٠): مهمة مكروهة في الزواج، ملف، المصري اليوم، ص ٢٦ .

- بسمة عبد المنعم (٥/ ١/ ٢٠١٠): الزواج من منتقبة، ملف، المصري اليوم.

- رحاب حسنين (٦/ ١/ ٢٠١٠): الرجل المصري ينجذب نحو اتصال والانفتاح والصدق ويهرب من الشبكة والمهر وفضول المصريات، ملف: المصري اليوم، ص ١٥ .

- رحاب حسنين (٦/ ١/ ٢٠١٠): الزواج من أجنبيات حب ومصالح وأحياناً خيانة .

- رحاب حسنين (٦/ ١/ ٢٠١٠): المدن السياحية: هنا يعثر المصريون على الزوجة الأجنبية

- أسامة خالد (٦/ ١/ ٢٠١٠): المرأة خلال ٢٠٠٩ كثير من الإخفاق، قليل من النجاح، المصري اليوم ص ١٤ .

- خالد عمرو (٦/ ١/ ٢٠١٠): (سبلك رود) لعبة تعطيل الشباب من مجتمعهم، المصري اليوم، ص ١٨ .

- بسمة عبد المنعم (١٧/ ١/ ٢٠١٠): وائل أنفق ٢٠ ألف جنيه على ألعاب الإنترنت وهشام سرق سلسلة والدته ليلعب بثمنها .

- إبراهيم معوض (٧/ ١/ ٢٠١٠). دراسة صدرت من جامعة عين شمس حول استخدام المراهقين للإنترنت. المراهقات أكثر استخداماً لمواقع الدردشة على الإنترنت. المصري اليوم، ص ١٨.

٢٨- جريدة صوت الأمة (١١/ ٦/ ٢٠٠٦). توقعات مؤكدة: الاضطرابات قادمة في مصر إذا أصبح جمال مبارك رئيساً.

٢٩- جلال أمين (١٧/ ٣/ ٢٠٠٩): الجانب الأخلاقي لقضية التوريث، الشروق.

٣٠- جمال الجمل (٤/ ٦/ ٢٠٠٩): مصر وطن مطلوب بين نهضة مفقودة ونكبة موجودة، المصري اليوم، ملف خاص.

٣١- جهاز التعبئة والإحصاء (١٦/ ١١/ ٢٠٠٩): ٩١,٨٪ نسبة البطالة بين حملة الشهادات المتوسطة والعليا وما فوقها. عرض أميرة حلمي، الدستور.

٣٢- جوستاف لوبون (١٨/ ٥/ ٢٠٠٩): سيكولوجية الجماهير، عرض: خالد غزال، صفحات سورية، شبكة الإنترنت.

٣٣- خالد كاظم (١٥/ ١٢/ ٢٠٠٦): الشخصية العربية وإعادة إنتاج الاستبداد، الحوار المتمدن، العدد ١٧٦٥.

٣٤- خالد كاظم (٥/ ١/ ٢٠٠٧): قراءة سوسيولوجية في المثل الشعبي.. باحث عن كان الشيب خاله، الحوار المتمدن، العدد ١٧٨٦.

٣٥- خليل فاضل (٣/ ٧/ ٢٠٠٥): سيكولوجية المتلق والقسادلي والبلطجي: الحوار المتمدن: الإنترنت، العدد ١٢٤٧.

٣٦- خليل فاضل (١٨/ ٤/ ٢٠٠٧): سيكولوجية أمناء الشرطة في مصر. الحوار المتمدن، الإنترنت، العدد: ١٨٨٩.

٣٧- خليل فاضل (٢٠٠٨). ملامح الشخصية المصرية في صحتها وعلتها، موقع الكاتب على الإنترنت.

٣٨- دارين فرغلي (٥/ ٦/ ٢٠٠٩): الحاكم الإله.. صنع في مصر، المصري اليوم. ملف المواطن مصري نظرة في المرآة.

٣٩- دعاء البادي (١٥/ ٢/ ٢٠١١): السادات لمبارك. سم ولا منصة، جرد فيس بوك، الوفد

٤٠- رانيا فزاع (٢٣/ ٥/ ٢٠١٠). في مؤتمر المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية: الشخصية المصرية، متفائلة تميل للاحتجاج في صمت، موقع اليوم السابع.

٤١- رجب البنا (١٣/ ٦/ ٢٠١٠): المصريون في المرآة (١) الأهرام.

٤٢- رجب البنا (٢٠/ ٦/ ٢٠١٠): المصريون في المرآة (٢) الأهرام.

٤٣- رجب البنا (٢٧/ ٦/ ٢٠١٠): المصريون في المرآة (٣) الأهرام.

٤٤- رجب البنا (٤/ ٧/ ٢٠١٠). المصريون في المرآة (٤) الأهرام.

٤٥- رجب البنا (٨/ ٨/ ٢٠١٠): الشباب والمشاركة السياسية، الأهرام.

٤٦- رجب البنا (١١/ ٧/ ٢٠١٠): المصريون وثقافة العمل الجماعي. الأهرام

٤٧- رجب البنا (٢٤/ ٧/ ٢٠١٠). هل يصبح العنف ظاهرة اجتماعية، مقال، الأهرام.

٤٨- رجب البنا (١/ ٨/ ٢٠١٠): العنف في البيوت، الأهرام.

٤٩- رجب البنا (١٥/ ٨/ ٢٠١٠): التليفزيون وثقافة العنف، الأهرام.

٥٠- زيد فريح جاسم (٦/ ٨/ ٢٠٠٨) سيكولوجية القبلية، شبكة الإعلام العربي، الإنترنت.

٥١- سارة سند (٣/ ٣/ ٢٠١٠): المستشرق الروسي فلاديمير جولياكوف: مصر استقرت حتى تجمدت وجمال مبارك (لا يملك مقومات الزعيم)، حوار، المصري اليوم: ص ١٥

٥٢- سهام القحطاني (٢٦/ ١٠/ ١٤٢٦هـ): خطاب الأنا المصرية بين التقليل والتضخيم، المجلد الثقافي، الإنترنت

٥٣- سيد يوسف (٢/ ٦/ ٢٠٠٩): الخصائص النفسية للمواطن المصري، مجلة أفكار علمية، الإنترنت

٥٤- سيكولوجية الرفض ومقاومة التغيير (مقال)، الإنترنت .

٥٥- شريف عاشور (٨/ ٦/ ٢٠٠٩) عندما يغضب يحطم أملاكه العامة، والآن يحطم، المصري اليوم، ملف المواطن مصري، نظرة في المرآة.

٥٦- شيماء عادل (٢٥/ ٥/ ٢٠٠٩): عرض لدراسة الاضطرابات الأسرية سبب التبلد السياسي للشباب، المصري اليوم

٥٧- شيماء عادل، محمد كامل (٨/ ٦/ ٢٠٠٩): أسرة مضطربة.. إنسان متبلد.. فاقد الانتماء، المصري اليوم، ص١٨

٥٨- شيماء عادل، محمد كامل (٨/ ٦/ ٢٠٠٩): ماكينة صناعة الإنسان الممسوخ، المصري اليوم، ص ١٨ .

٥٩- صالح سليمان (٣٠/ ١٠/ ٢٠٠٦): الشخصية العربية المعاصرة: قراءة أولية، مجلة ديوان العرب، الإنترنت .

٦٠- صلاح الدين زين (١/ ١/ ٢٠٠٨): التعذيب في مصر . الدولة الشمولية واليسار، الإنترنت .

٦١- صلاح كرميان (٢٠٠٩): سيكولوجية التشتم واللعن، جريدة الشارة، الإنترنت

٦٢- طه عبد الحليم (٢٠/ ٧/ ٢٠١٠). ثورة ٢٣ يوليو بعيون ثوار الأهرام.

٦٣- ظاهرة التحرش الجنسي في مصر أطفال.

٦٤- عبلة السعداتي (٩-٢٠٠٠): صورة حواء في مؤتمر الشخصية المصرية. الأهرام.

٦٥- علاء الأسواني (٢٠٠٨) ظاهرة التدين البديل (مقال). جريدة الشروق: نقلاً عن اللجنة العربية لحقوق الإنسان. (٤/ ١١/ ٢٠٠٨).

٦٦- علاء الأسواني (٢٣/ ٦/ ٢٠٠٩): لماذا يذعن المصريون للظلم. الشروق.

٦٧- علاء الأسواني (١٢/ ٥/ ٢٠٠٩): ماذا يريد المصريون. الشروق.

٦٨- علاء الخضيري (٨/ ٦/ ٢٠٠٩): أنت تصفق.. إذن أنت مؤيد أو منافق أو خائف أو (بتمثل زي الناس). المصري اليوم. نظف المواطن المصري، نظرة في المرآة

٦٩- علاء القطريعي (٨/ ٦/ ٢٠٠٩). معادلة الخضوع: نافق في النهار، واسخر في الليل. المصري اليوم. ص ١٩.

٧٠- علاء عبد الله وشيماء عادل (٨/ ٦/ ٢٠٠٩). سؤال: لماذا ترتشي وتصد وتتحرف بالدين. المصري اليوم. ص ١٩

٧١- عمار علي حسن (٣/ ١١/ ٢٠٠٩): على ضفاف حوار هيكل: عشرة سيناريوهات للحكمة في مصر: المصري اليوم

٧٢- عمرو حمزاوي (١١/ ١/ ٢٠١٠): كيف يفكر المصريون، شبكة الإعلام العربية، الإنترنت

٧٣- عن ماتش الكرة بين مصر والجزائر: المصريون:

- ليلة احتفلت فيها الجماهير المصرية (ميدان التحرير).

البلطجية يهاجمون بيوت المصريين في الجزائر ويحرقون مداخلها

- اتحاد الكرة يرسل إلى (الفيفا) ملف بأدلة «ليلة الجزائر».

- المقاولون العرب تنقل ٣٣٠ موظفًا من فرعها بالجزائر إلى موقع آخر بعيدًا عن أعمال الشغب واستمرار الاتصالات لنقل ٧٠ آخرين.

(المصري اليوم ١٧/ ١١/ ٢٠٠٩)

٧٤- عزة عبد الخالق (٨/ ٦/ ٢٠٠٩): تبرير السرقة: الحكومة بتسرقنا كل يوم.. فيها إيه لما نسرقها؟ المصري اليوم، ملف: المواطن مصري، نظرة في المرآة.

٧٥- فاروق الجمل (٨/ ٦/ ٢٠٠٩): تبرير (نعمة القهوة) (أهي قعدة) بعيد عن الهموم، وأهي شيشة ودخان في الهوا، المصري اليوم ص ١٧

٧٦- فرج طه وآخرون (١٩٩٣): موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، القاهرة، دار سعاد الصباح.

٧٧- فرانسوا باسيلي (٢٠٠٩): الروح المصرية لا تموت: لماذا لا يثور المصريون، منتدى الكتاب العربي، الإنترنت.

٧٨- قاسم عبده قاسم (٨/ ٦/ ٢٠٠٩) المصري على دين حاكمه ولا ينتفض إلا بسبب لقمة العيش، والعقيدة، حوار محمد السيد صالح، المصري اليوم ص ٧.

٧٩- فكري حفني (٢٠١٠): التعذيب والمقاومة المجتمع (أربع مقالات)، الإنترنت.

٨٠- فكري حفني (٢٧/ ٣/ ٢٠١٠) مصر تعيش مرحلة (هو كده)، حوار رحاب الشاذلي: الدستور.

٨١- كريمة حسن (٥/ ٦/ ٢٠١٠) صحافة النكت، المصري اليوم، ص٦.

٨٢- مازن حسان (٣١/ ١٠/ ٢٠٠٩) المصريون في الخارج أحلام العودة تذهب بغربة، مجلة المرحة، العدد ٩٦، الإنترنت.

٨٣- محمد أحمد النابلسي (٢٢/ ٦/ ٢٠٠٥): سيكولوجية السياسة العربية. النفس المقهورة، بوابة فلسطين على شبكة الإنترنت.

٨٤- محمد المهدي (٢٠٠٩) : الشخصية المصرية، واحة النفس المطمئنة، الإنترنت.

٨٥- محمد المهدي (٣/ ٢/ ٢٠١١): ثورة جيل عربي مختلف، الدستور، الإنترنت.

٨٦- محمد بركة (١١/ ١٢/ ٢٠٠٩) التغيير السينمائي خيبة المصريين، الأهرام.

٨٧- محمد بشر (١٨/ ٥/ ٢٠١٠): علاء الأسواني مصرحاً: ماذا لا يثور المصريون/ جريدة الدستور

٨٨- محمد حبيب (١٦/ ٨/ ٢٠١٠): التغيير ضرورة سياسية وإنسانية. جريدة المصري اليوم، ص ٦

٨٩- محمد حسن غانم (٢٠٠٦): المحرومون والسلطة، الإسكندرية، المكتبة المصرية

٩٠- محمد حسن غانم (٢٠٠٦) دراسة نفسية في بعض متغيرات الشخصية لدى فئة من العاطلين والمتعطلات عن العمل من خريجي الجامعة، بحث قدم إلى المؤتمر الدولي لعلم النفس الأول، جامعة طنطا، (٢٦-٢٨ أبريل)، ص ص ٦٦١ - ٧٢٤.

٩١- محمد حسن غانم (٢٠٠٩): الشباب ولغة الروشنة، الإسكندرية، المكتبة المصرية

٩٢- محمد سليم العوا (٨/٦/٢٠٠٩). الثورة قادمة. مصريون ضد مصريين وليس ضد النظام، حوار ماهر حسن، المصري اليوم، ص٧.

٩٣- محمد طلعت الهواري (٨/٦/٢٠٠٩): حوار مع د. شوقي العقباوي: المصري (دجاجة): المصري اليوم، ص ٧

٩٤- محمد طلعت الهواري (٨/٦/٢٠٠٩): يوميات مواطن مقهور، المصري اليوم، ص ١٩

٩٥- محمد طلعت الهواري (٨/٦/٢٠٠٩): لماذا انهارت الأخلاق والبيوت أيضا، المصري اليوم، ملف المواطن مصري، نظرة في المرآة.

٩٦- محمد عزوز وهشام عمر (٨/٦/٢٠٠٩): تبرير الكل: ماذا حدث إذا كان رجل أعمال يسرقنا. يدفع (مليم) ويربح (مليون)، المصري اليوم، ملف المواطن مصري: نظرة في المرآة

٩٧- محمد مناوحية (٢٧/٢/٢٠١٠). عرض لكتاب السلطة وطول العمر، الدستور.

٩٨- مروى ياسين (٨/٦/٢٠٠٩) حوار مع د. جلال أمين: العمل لدى المصري عبودية ومعاداة القسط الكسل لبنات الأسرة المصري اليوم، ص ١٩.

٩٩- نادية إميل مينا (١٩٩٣)، بعض الظواهر السلوكية المستحدثة لدى شرائح من الشباب المصري (دراسة استطلاعية: القاهرة، كلية البنات عين شمس).

١٠٠- نشوى الحوفي (٨/٦/٢٠٠٩): المصري.. بطل العالم في الكآبة، المصري اليوم.

١٠١- نشوى الحوفي (٨/٦/٢٠٠٩): البيوت زجاج والطلاق شكة دبوس: المصري اليوم، ص ١٨

١٠٢- نفيسة الصباغ (٨/ ٦/ ٢٠٠٩): غسط وصهيب وصرام: ردود الكبار على أسئلة الصغار، المصري اليوم، ص ١٨

١٠٣- نفيسة الصباغ (٨/ ٦/ ٢٠٠٩): العمال وحقوقهم المشروعة: البعض يفضلونها خرابة، المصري اليوم

١٠٤- نوال السعداوي (٣/ ١١/ ٢٠٠٩): لماذا تنحط النخبة السياسية في مصر، المصري اليوم، ص ١٣

١٠٥- نيرة الشريف (٢٢/ ٢/ ٢٠١٠): بلد شهادات صحيح، المصري اليوم، ص ١٥ .

١٠٦- هادي العلوي (٢٨/ ٢/ ٢٠٠٩): سيكولوجية الحكام العرب، مركز النور، هاديات علوية، الإنترنت .

١٠٧- هشام الناصر (٢٠٠٨). أمن الدولة المصرية من محمد علي إلى مبارك، موقع الكاتب على الإنترنت .

١٠٨- هيثم دبور (٨/ ٦/ ٢٠٠٩): الرضا أول الاستسلام، المصري اليوم، ص١٩ .

١٠٩- هيثم دبور (٨/ ٦/ ٢٠٠٩): المصري هيفضل مصري. خائف من شيء ما، والشعب مكتوم جواه، المصري اليوم، ملف: المواطن مصري نظرة في المرآة .

١١٠- وائل فاضل (١٧/ ١/ ١٤٣٦هـ): انتشار المعتقدات اللاعقلانية في المجتمع العربي، مركز التنمية الأسرية

١١١- ويكيبديا الموسوعة الحرة (١٢/ ٢/ ٢٠١٦): ثورة ٢٥ يناير

●●●




ميدان التحرير
TAHRIR SQUARE